الأدب الرومانى

فى العصر الذهبى
نماذج من النثر اللاتينى



دكتور

محمد رضا قطب علام

كلية الآداب - جامعة عين شمس

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية

جلال حزى وشركاه

الناشر : منشأة المعارف ، جلال حزى وشركاه

٤٤شارع سعد زغلول – محطة الرمل – الاسكندرية – ت/ف ٤٨٥٣٠٥٥/٤٨٧٣٣٠٣ الإسكندرية

٣٢ شارع دكتور مصطفى مشرفة – سوتير – الاسكندرية ت/٤٨٤٣٦٦٢/ ٤٨٥٤٣٣٨الإسكندرية

الادارة: ٢٤شارع ابراهيم سيد احمد – محرم بك – الاسكندرية ت/ف ٣٩٢٢١٦٤ الإسكندرية

Email : monchaa@maktoob.com

اسم الكتاب : الأدب الرومانى فى العصر الذهبى

اسم المؤلف : د. محمد رضا قطب علام .

رقم الايداع : ٢٠٠٤/١٨٧٣٥

الترقيم الدولى : 0 - 1361 – 03 – 977

التجهيزات الفنية:

تصميم غلاف : مكتب المصرى

كتابة كمبيوتر : المؤلف

طباعة : مطبعة سعيد كامل

الأدب الرومانى
فى العصر الذهبى
نماذج من النثر اللاتينى

دكتـــــــــــــور

محمد رضا قطب علام

٢٠٠٥

الناشــــر منشأة المعارف بالاسكندرية

جلال حزى وشركاه

إهـــداء

إلى كل من شرفت بالتتلمذ على يديه

أهدى هذا العمل خطوة على طريق لا ينتهى،

ولهــم منى كل حب واحترام،

وكل تقدير وإعزاز

المحتويـــــات

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمـــــــة	١-٥
الفصل الأول: المراحل الأولى للنثر اللاتينى	٧-٣٥
١- النثر اللاتينى منذ البداية حتى نهاية الحرب البونية الأولى عام ٢٤١ ق.م	٩-١٧
٢- النثر اللاتينى من عام ٢٤١ ق.م حتى وفاة الديكتاتور سلا عام ٧٨ ق.م	١٧-٢٢
أ- ماركوس بوركيوس كاتو	٢٣-٣٠
ب- الأخوان جراكوس: تيبريوس وجايوس	٣١-٣٥
الفصل الثانى: النثر اللاتينى فى العصر الشيشرونى	٣٧-١٥١
١- المدارس الفكرية والفلسفية المتعددة فى عصر شيشرون	٤٠-٤٦
٢- الخطابة الرومانية ومكانة الخطباء الأتيكيين فى روما.	٤٦-٥١
٣- ماركوس تولليوس شيشرون	٥١-٦٨
مؤلفاته وأعماله	٦٨
أ- المؤلفات البلاغية	٦٩-٧١
ب- المؤلفات الفلسفية	٧١-٧٥
ج- الرسائل	٧٥-٧٧
د- الخطب	٧٧-١٥١
الفصل الثالث: أبرز كُتاب النثر اللاتينى فى العصر الشيشرونى	١٥٣-
١- جايوس يوليوس قيصر	١٥٥-١٥٩
مؤلفاته وأعماله	١٥٩-١٦١
ا- مذكرات عن الحرب الغالية	١٦١-١٦٣

ب- مذكرات عن الحرب الأهلية ١٦٣-١٦٩
ج- الحرب السكندرية ١٧٠-١٧١
د- الحرب الإفريقية ١٧١-١٧٢
هـ- الحرب الأسبانية ١٧٢-١٧٣
٢- جايوس ساللوستيوس كريسبوس ١٧٣-١٧٥
مؤلفاته وأعماله ١٧٥
أ- عن مؤامرة كاتيلينا ١٧٥-١٨٤
ب- عن حرب يوجورتا ١٨٤-١٨٩
ج- التواريخ ١٨٩
٣- كورنيليوس نيبوس ١٨٩-١٩٠
مؤلفاته وأعماله
٤- ماركوس تيرنتيوس فارو ١٩٠-١٩٢
مؤلفاته وأعماله ١٩٢
أ- عن اللغة اللاتينية ١٩٢-١٩٣
ب- عن الزراعة ١٩٣
ج- الهجائيات المنيبية ١٩٤-١٩٥
٥- النثر اللاتيني فى العصر الأوغسطي ١٩٥-٢٠١
٦- تيتوس ليفيوس ٢٠١-٢٠٣
مؤلفاته وأعماله ٢٠٣
أ- منذ تأسيس المدينة ٢٠٣
ب- الملخصات ٢٠٤
قائمة المراجع ٢٠٥

تمهيـــــد

يديـــن الأدب الرومانى بحق إلى الأدب الإغريقى فقد تأثرت غالبا جمـــيع فـــروع الأدب الـــرومانى بآداب الإغريق ففنون الخطابة والشعر والفلســفة الرومانـــية تدين للإغريق[١]، ومع ذلك لا نستطيع أن نقول إن أعمـــال وكـــتابات الـــرومان صور ضوئية لمؤلفات الإغريق وإنما أثبتت الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية الحديثة من خلال مقارنة بعض مقتبسات الكـــتاب والشعراء والخطباء الرومان أمثال شيشرون بمثيلاتها من أعمال الكتاب الإغريق ـ أن الرومان أكدوا ذاتهم وشخصيتهم وطبيعتهم الرومانية (romanitas) المـــتعارف علـــيها آنذاك فى تلك الاقتباسات، وتتضمن فى فضـــائل الأزمـــنة السالفة للمواطن الرومانى التى كانت تعبر عن أسلوب حياته وصفاته الخلقية والسلوكية التى كان يتحلى بها، والتى كونت بمرور الزمن بما يُعرف بعادات أو سنن الأسلاف (mores maiorum)، وكانت تتمثل فى الشعور بالواجب (pietas) تجاه الآلهة ونحو الوالدين، والأبناء، والأصـــدقاء، والوطن، والشعور بالمسئولية أو الجدية فى تحمل المسئولية (gravitas) الحـــزم أو التشـــبث بالمبدأ (firmitas). تحمل العمل الشاق (industria). والحلم (celementia). البساطة أو التقشف (frugalitas). والشجاعة (virtus). الإقدام (fortitudo).

إن أى أدب يمـــتلك شـــاعراً مـــثل لوكريتيوس (Lucretius) أو أوفـــيديوس (Ovidius) أو كـــاتوللوس (Catullus)، أو فيرجيلـــيوس

---

(١) أحمد عتمان الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى العصر الذهبى، سلسلة عالم المعرفه الكويتية عدد سبتمبر ١٩٨٩

(Vergilius) أو حتى كاتباً ناثراً مثل يوليوس قيصر (Julius Caesar)، أو قُــل خطيــباً مــثل شيشرون (Cicero) أو مؤرخاً مثل ساللوستيوس (Sallustius) أو ليفــيوس (Livius). أى أدب يمــتلك واحــداً فقط مثل هــؤلاء قمين بأن يصبح أدباً عالمياً وإنسانياً خالداً. إن الأدب الرومانى فى عصــره الذهبى ازدهر بجميع هؤلاء المؤلفين والشعراء، ولكن للأسف لم يصــل إلينا جميع مؤلفاتهم. ويطلق على المرحلة الثالثة التى ازدهرت فيها اللغة اللاتينية وأدبها بالعصر الذهبى (The Golden Age)، وهى تمثل الســنوات الأخيرة من تاريخ الجمهورية الرومانية (٧٨- ٣١ ق.م) وبداية العصر الإمبراطورى (سنة ٣١ ق.م – ١٤ ميلادية).

ينقســم تــاريخ الأدب الرومانى طبقاً لمراحل تطوره الطبيعية إلى خمس فترات زمنية يمكن إيرادها على النحو التالى:

الفترة الأولى: منذ البداية حتى نهاية الحرب البونية(Bellum Punicum) الأولى عام ٢٤١ ق.م.

الفترة الثانية: منذ عام ٢٤١ ق.م حتى وفاة الديكتاتور سلا (Sulla) عام ٧٨ ق.م.

الفــترة الثالثة: العصر الذهبى (The Golden Age) منذ عام ٧٨ ق.م حــتى وفاة الإمبراطور أوغسطوس (Augustus) عام ١٤ ميلادية.

الفترة الرابعة: العصر الفضى (The Silver Age) منذ عام ١٤ ميلادية حــتى وفاة الإمبراطور ترايانوس (Trajanus) عام ١١٧ ميلادية.

الفـترة الخامسة: الضعف والاضمحلال منذ عام ١١٧ ميلادية حتى عام ٤٧٦ ميلادية أو نهاية القرن الخامس الميلادى.

والجديـر بالذكر أن تطور الأدب الرومانى تزامن مع تطور اللغة اللاتينـية التى شهدت أثناء المراحل الثلاث لتطورها ــ التى استمرت منذ أوائـل القرن الثالث والثانى وحتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد تقريباً ــ محـاولات عديدة جادة لتدوين القواعد النحوية الثابتة وتسجيلها، ووضع المقايـيس والضـوابط لها بعد صراع لغوى طويل بين لهجة مدينة روما (Roma)، وهـى لهجـة أو لغـة منطقة لاتيوم (Latium) وبين لهجات ولغات شبه الجزيرة الإيطالية المختلفة مثل الإتروسكية (Etruscan) التى كان يتخاطب بها فى شمال روما، والأومبرية (Umbrian) التى كانت لغة التخاطـب فـى البلاد الواقعة فى شرق نهر التيبر (Tiber) والممتدة حتى سـواحل بحر الأدرياتك (Adriatic)، والأوسكانية (Oscan) التى كانت لغـة التخاطب فى البلاد الواقعة فى جنوب وفى شرق منطقة لاتيوم، وقد انتهى هذا الصراع اللغوى بالغلبة والسيادة لصالح لغة مدينة روما.

يـرى بعـض علماء اللغة المحدثين أن اللغة اللاتينية فى الأصل كانـت مـزيجاً مـن اللغتيـن: البلاسجية (Pelasgi)، والتى تُنسب إلى البلاسجيين، وكان شعباً زراعياً ومسالماً يعيش فى بلاد اليونان، وترك لنا بعض الآثار الدالة عليه ــ والأوسكانية (Oscan)، وهى اللغة التى تُنسب إلـى الأوسـكانيين، وكان شعباً يسكن فى جنوب إيطاليا، وقد دخلت على هاتيـن اللغتيـن بعـض الـتعديلات والتغييرات نتيجة لتأثرهما باللهجات

الإغريقـية المخـتلفة حتى أخذ المزيج شكله النهائى فى اللغة الإتروسكية (Etruscan)[١].

يجـدر بنا أن نقول إن اللغة والفكر هما أهم عنصرين من عناصر حضـارة أو أدب أى أمـة، ويرتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً بحيث يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به، لأن تاريخ الفكر الإنسانى يرتبط دائماً باللغة ونشأتها وطبيعتها وخصائصها. وهذا ما سوف نلاحظه عند الحديث عن نشأة اللغة اللاتينية وتطورها وعلاقتها بالمجتمع الرومانى على النحو التالى:

يـتفق معظـم علمـاء اللغـة والكُتاب القدماء من الرومان أمثال شيشرون (Cicero)، وفارو (Varro)، وكوينتيليانوس (Quintilianus)، وكذلك معظم علماء اللغة المحدثين فى وجهة النظر القائلة إن اللغة اللاتينية (أو الإغريقـية) من صنع الإنسان وأنها ظاهرة اجتماعية تنشأ مع المجتمع وتشـاركه حياته ضعفاً ورُقياً، وتعتبر وجهة نظرهم هذه مادية وعقلانية، وهى مثل نظرتهم إلى سائر المسائل العلمية والاجتماعية الأخرى.

كانـت اللغـة اللاتينية تخضع فى حياتها لحياة المجتمع الرومانى وطبيعـته، وظـروفه. أقصد أنها نشأت وتطورت مع المجتمع الرومانى وشـاركته حـياته ضعفاً ورُقياً. ففى الأطوار الأساسية الثلاثة لتاريخ حياة اللغة اللاتينية، نلاحظ أنها فى طور الطفولة، وفى طور الشباب نشأت نشأة بسـيطة فـى ألفاظهـا، وفى تراكيبها، ومحدودة فى أساليبها، وفى وسائل

---

(1) Scullard, H. H., A History of the Roman World 753-146 B.C., pp. 25-36; Collinge, N.E., The Latin Language, p. 16 ff.; Fowler, M.- Wolfe, R.G., Materials for the Study of the Etruscan Language.

التعبـــير عـــن المعانى، وفى طور النضوج فى منتصف القرن الأول قبل المـــيلاد تقريـــباً (حوالـــى سنة ٧٨ ق.م) عندما اتسع المجتمع الرومانى، واتســـعت مشـــاكله، وتعقدت أموره، استلزم الأمر أن تتسع لغته، وتتعدد تراكيبها، وتتشكل أساليبها وفق ما يقتضيه النمو العقلى فى المجتمع. وكان أول مظهـــر لنضوج اللغة اللاتينية ورقيها ووصولها إلى مرحلة الاكتمال والإتقـــان يتمـــثل فى تطور الجملة اللاتينية المركبة البليغة المتقنة على يد شيشـــرون، والتى تحيط فيها الجملة التأسيسية (principal sentence) بأجـــزائها المخـــتلفة وهى الجمل التابعة (subordinate clauses) التى تخضع للجملة التأسيسية لغوياً ومنطقياً.

الفصل الأول

المراحل الأولى للنثر اللاتينى

١- النثر اللاتينى منذ البداية حتى نهاية الحرب البونية الأولى عام ٢٤١ ق.م

لم يهتم الرومان فى بداية حياتهم سواء بالآداب أو الفنون، وإنما ركزوا اهتمامهم، وطاقتهم، ونشاطهم فى حماية الوطن والزود عنه، والرغبة فى الانتماء إليه، والحياة العسكرية الصارمة، والأخلاق الحميدة، والقيم والمبادئ والمثل العليا التى يجب أن يتحلى بها المواطن الرومانى. كذلك حرصوا على تدوين القوانين، وتسجيل مآثر وأمجاد الأسلاف للاقتداء بهم.

بفضل التاريخ المدون والآثار المتبقية وصلت إلينا بعض كتابات الرومان الأولى فى الفترة التى تبدأ تقريباً من عام ٧٥٣ ق.م، وهو تاريخ بناء مدينة روما حتى عام ٢٤١ق.م، وهو عام انتهاء الحرب البونية الأولى. وبالطبع لا تُمثل هذه الكتابات أدباً بالمعنى المفهوم والمتفق عليه، وإنما كانت مظاهر بدائية وملامح شخصية معينة خاصة تعبر عن طبيعة مجتمع من المجتمعات أو شعب من الشعوب. ويمكن تصنيف هذه الكتابات على النحو التالى: يتمثل الشعر فى الأناشيد الدينية والشعبية، ويتضمن النثر فى النقوش، وخطب التأبين، والقوانين.

تتضمن الأناشيد الدينية فى أناشيد الإله مارس المصحوبة بالرقص (Carmina Saliaria) وكان يقوم بإنشادها الساليون (Salii)، وهم إثنا عشر كاهناً يحملون الدروع المقدسة للإله مارس (Mars)، إله الحقول والشمس والحرب، ويطوفون أنحاء المدينة، لكى يبارك الإله مارس الحقول والحصاد، وكانت هذه الأناشيد مصحوبة بالرقص (saliaria). ويذكر الناقد الرومانى كوينتيليانوس (Quintilianus) أنها ترجع إلى عهد الملك نوما

(Numa)، وكانت غير مفهومة وغامضة حتى بالنسبة للكهنة أنفسهم الذين كانوا يقومون بإنشادها.

ويتمثل النوع الآخر من الأناشيد الدينية فى أناشيد الأخوة أرفاليس (Carmina Fratrum Arvalium)، وكان يقوم بإنشادها إثنا عشر كاهناً يُسمون الأخوة أرفاليس (Fratres Arvales)، ويشرفون على الأعياد الزراعية التى كانت تُقام فى شهر مايو، حيث كانت تُنشد أنشودة خاصة بالحقول المصحوبة بالرقص، ويُذبح خنزير وشاه وثور (suovetaurilia) كأضحية للإله مارس، وكانت تُتلى الأدعية والصلوات أثناء الذبح لكى يطهر الإله مارس أراضى المدينة من الشرور والآثام. ولقد وصلت إلينا لوحة للأخوة أرفاليس يرجع تاريخها إلى عام ٢١٨ ق.م، ومنقوش عليها بعضاً من الأشعار الخاصة بهم.

تتضمن الأناشيد الشعرية والبطولية فى أناشيد المآدب (Carmina Convivalia) وكان يقوم بإنشادها الفتيان أثناء المآدب (convivia) التى كان يقيمها الأشراف، وكانت تُنشد مصحوبة بالمزامير، وتتناول مآثر الأسلاف وبطولاتهم فى الحروب.

وهناك نوع آخر من الأناشيد الشعبية، يُطلق عليه اسم الأناشيد الجنائزية (Carmina Nemiae)، وكانت تُنشد مصحوبة بالمزامير للإشادة بمدح المتوفى، والحزن عليه، والرثاء له، وتمجيده، وكان يقوم بإنشادها أهل وأقارب وأصدقاء المتوفى أثناء الجنازة. وبالإضافة إلى هذا، كانت أسرة المتوفى تستأجر نساء ندابات (praeficae) ليقفن أمام منزل المتوفى، ويسرن خلف النعش، وينشدن المرثيات (neniae).

ظهــرت الــبذور الأولـــى للدراما (Drama) من خلال الأشعار الفيســكينية (Fescennini Versus)، حيث يرى بعض الباحثين أن كلمة (Fescennini) ربما اشتقت من مدينة فيسكينيا (Fescennium) الواقعة فى جنوب إتروريا (Etruria)، ويذكر البعض الآخر أنها اشتقت من كلمة (fascinum) بمعـــنى تعويذة سحرية. وكان يقوم بإنشاد هذه الأشعار أهل الريف فى أعياد الحصاد بصفة خاصة، وكذلك فى حفلات الزواج، وكانوا يلقون النكات والملح البذيئة. وكان الهدف من هذه الأشعار هو حجب العين الشريرة وإبعادها. كذلك يذكر بعض الباحثين أن كلمة (fascinium) هى الكلمـــة المعادلة لكلمة (phallus) الإغريقية، وتعنى عضو الإخصاب عند الذكر، حيث كان الإغريق يحملونه فى مواكبهم أثناء احتفالاتهم بأعياد الإله ديونيســوس (Dionysuis)، إلــه الخمــر والنبيذ. وكان ظهور الفاللوس (phallus)، الــذى كان شعاراً رمزياً لكثرة النسل والإنجاب ــ يدعو أهل الــريف إلـــى إنشـــاد الأشعار المضحكة والنكات البذيئة عن وجود القدرة الجنســية عند شخص ما أو الافتقار إليها. ومن هنا نشأ الهجاء والسخرية والانتقاد أثناء الأعياد.

وكذلــك برزت البذور الأولى للدراما من الساتورا (Satura)، التى يرى بعــض الباحثيــن أنهــا كانــت تعنى المزج أو الخلط عندما اندمج الغناء والــرقص معاً فى القرن الرابع قبل الميلاد. وترتبط كلمة ساتورا بالعبارة اللاتينــية (Lanx Satura)، وتعنى طبقاً مملوءً بأنواع مختلفة من الفاكهة كــان يُقــدم قرباناً للآلهة. ويذكر المؤرخ الرومانى ليفيوس (Livius) انه عــندما تفشـــى وبـــاء الطاعون فى روما فى حوالى عام ٣٦٤ ق.م، قرر المســئولون فى المدينة إقامة حفل كفارة لمحاربة هذا الوباء االلعين اشترك فــيه راقصـــون كانوا قد جاءوا من إتروريا، وكانوا يرددون أشعار شبيهة

بالأشـعار الفيسـكينية، ويرقصـون على أنغام الناى. وقد ظهر فيما بعد الـرقص تحـت اسم "ميموس" (mimus) فى روما فى حوالى عام ٢١١ ق.م. وأصـبح فـناً له نجوم كان يرعاهم الرجال البارزين والمشاهير فى عصر الجمهورية الرومانية، وتعهد برعايتهم الحكام والأباطرة فيما بعد.

وهـناك نـوع آخـر يمـثل البذور الأولى للدراما هو القصص الأتيلانية (Atellanae)، وتشـتق مـن كلمة أتيلا (Atella)، وهى مدينة فى إقليم كمبانـيا (Campania) جـنوب روما حيث كانت تُقدم فيها هذه الصورة المسـرحية البدائية، وهى هزليات ريفية كانت قد دخلت إلى روما حوالى القـرن الثالـث قبل الميلاد، ويرى بعض الباحثين أن كلمة (Atellanae) ترتـبط بكلمـة (Aterulanae)، وهـو القناع الذى كان يضعه الممثلون (histriones) علـى وجوهـم، وكانت هذه الهزليات الريفية تُمثل على خشبة المسرح، وتصور بعض الشخصيات ذات الطابع المميز الخاص مثل العجـوز الغـبى (pappus)، والبهلوان أو الأحمق (maccus)، والماكر المحتال (dossenus)، والشره الثرثار (bucco)، وكان الممثلون يؤلفون فكـرة هـذه الهزليات فيما بينهم بصورة ارتجالية ويضعون الأقنعة على وجوههم.

بفضـل بعـض النصوص المنقوشة على اللوحات البرونزية التى وُجـدت فـى الفـوروم (forum)، وهى السوق الرومانية العامة اليومية، وبفضـل مـا سجله لنا الكُتاب والمؤرخون القدماء ـ استطعنا أن نتعرف علـى طبيعة النثر اللاتينى ووظيفته فى تلك الفترة، والذى تناول كلا من الحياة العامة والخاصة.

ويمكـن إيراد بعض الأمثلة للنثر اللاتينى الذى تناول الحياة العامة على النحو التالى:

أولاً: نصوص المعاهدات (indutiae)

كانـــت نصوص المعاهدات تُحفر وتُنقش على لوحات من البرونز وتُعلــق على تل الكابيتول (Capitolinus) مثل المعاهدات المنسوبة إلى الملــوك: رومولـــوس (Romulus)، وســيرفيوس تولليوس (Servius Tullius)، وتاركينـــيوس ســـوبيربوس (Tarquinius Superbus) والمعاهدة التي عقدها القنصل سبوريوس كاسيوس (Spurius Cassius) مـــع اللاتين في حوالي عام ٤٩٣ ق.م، وكذلك المعاهدة التي عقدتها روما مـــع قرطاجـــنة (Carthago) في حوالي عام ٤٤٤ ق.م، وكذلك المعاهدة الأخـــرى التي عقدتها روما مع قرطاجنة في حوالي عام ٣٤٨ ق.م أو في حوالي عام ٥٠٩ ق.م.

ثانياً: قرارات الجمعيات الشعبية (acta populi)

كانـــت قـــرارات الجمعـــيات الشـــعبية تُحفر وتُنقش على لوحات برونزية ويتم إيداعها في معبد الإله ساتورنوس (Saturnus) بوصفه داراً للعبادة، ومكاناً للخزانة العامة، وداراً للمحفوظات العامة[1].

ثالثاً: قرارات مجلس السناتو (senatus consulta)

كانـــت قـــرارات مجلس السناتو تُحفظ في معبد الإله ساتورنوس. كذلـــك يذكر المؤرخ الروماني ليفيوس (Livius) أنه منذ عام ٤٤٩ ق.م تقريـــباً كانـــت نُسخ من قرارات مجلس السناتو تُسلم شخصياً إلى الأيديل،

---

(1) Cic. De Leg. 3. 66.

وهـــو المشرف الإدارى لإيداعها فى معبد الإله سيريس (Ceres) على تل أفنتينوس (Aventinus).

رابعاً: سجلات الحكام وكبار الكهنة الرومان

١- قوائم الأحصاء (censorum tabulae)

تحـــتوى هذه القوائم على بيانات إحصائية عن عدد المواطنين الرومان وجميع ممتلكاتهم.

٢- القوائم السنوية للحكام (fasti magistratuum)

تحـــتوى هـــذه القوائـــم على بعض التواريخ والمواعيد المحددة لعمل المحـــاكم، والمواعيد التى تُقام فيها الأعياد، والاحتفالات، والأسواق. وكان هـــناك قوائـــم للقناصـــل (fasti consulares)، وقوائـــم الكهنة (fasti sacerdotales)، وقوائـــم لانتصارات القادة أو مهرجانات النصر (fasti triumphales). وكـــان الـــرومان يســـتخدمون ســـنوات تولى القناصل لوظائفهم لتأريخ جميع الأحداث والوقائع العامة والخاصة. ونحن لدينا الآن بعض السجلات لبعض أسماء القناصل المنقوشة حوالى أواخر القرن الأول قـــبل المـــيلاد علـــى جـــدران المقـــر العام للكاهن الأعظم (pontifex maximus)، والذى كان يُسمى بـــ رجيا (Regia).

خامســـاً: حولـــيات كبار الكهنة (annales maximi) أو قوائم كبار الكهنة (tabulae pontificum)

بعد إقامة النظام الجمهورى فى روما كانت مهمة كبير الكهنة الرئيسية هـــى تحديد مواعيد الأعياد الدينية وكذلك أيام انعقاد المحاكم سنوياً. وكان

الكاهـــن الأكـــبر أو الأعظـــم يعـــد حولية (annal) يسجل فيها المواقيت والفـــترات، والأحداث والوقائع التى تحدث فى أثناء العام الذى يتولى فيه منصبه، ويذكر فى آخر الحولية أسماء الحكام الذين تولوا مهام منصبهم فى ذلك العام.

وكانـــت حولـــيات كبار الكهنة تُعرض على الملأ، وتضمنت أحداث تتعلق بالطقوس الدينية التى أقيمت مثل التكريسات، ومهرجانات القادة العسكريين المنتصرين، وأخبار المجاعات، والكوارث، والأحداث المرتبطة بالظواهر الكونية مثل كسوف الشمس، وخسوف القمر، وغيرها من الأحداث.

سادساً: قوانين الألواح الأثنى عشر (duodecim tabulae)

صدرت فى حوالى عام ٤٥٠ ق.م قوانين نُقشت على ألواح اثنى عشر، وكانـــت مواده وبنوده صارمة وقاسية جداً. ولم تعمر هذه الألواح طويلاً، ومـــع ذلك حفظ لنا الكُتاب الرومان، وبخاصة فى عصر شيشرون أجزاء كثيرة من هذه القوانين والتشريعات التى تلقى ضوءاً ساطعاً على كثير من جوانب الحياة المختلفة فى بداية عصر الجمهورية الرومانية. وهى توضح حقاً مدى عبقرية الرومان فى صياغة القوانين ووضع التشريعات.

سابعاً: كتاب الأمثال (الأحكام) (sententiae)

ألف الرقيب (censor)، أبيوس كلاوديوس (Appius Claudius) ــ وكان من أشهر خطباء عصره (حوالى عام ٣١٢ ق.م) ــ كتاب الأمثال الـــذى يُعتبر أول مؤلف رومانى أدبى. ويُقال إنه اقتبس مادته من أصول ومصـــادر إغريقية. وقد عارض بشدة فى مجلس السناتو مقترحات الملك بيرهوس (Pyrrhus) لعقد السلام مع روما ــ وكان بيرهوس يساعد أهل

مديـــنة تارنتوم (Tarentum) الإيطالية فى نزاعهم ضد روما ــ وبالفعل استجاب المجلس لنصيحة آبيوس كلاوديوس التى أدلى بها وهى أنه طالما وطأت قدم بيرهوس أرض روما، فإن الاستجابة له سوف تكون لطخة عار فى جبين الوطن.

ومـــن أمـــثلة النثر الذى يتناول الحياة الخاصة الرومانية يمكن أن نذكر خطب التأبين (funebres orationes) التى اعتادت طبقة الأشراف بصـــفة خاصة أن تفتخر بأصلها ونسبها وحسبها، وتذكر الأسلاف العظام البارزيـــن الذيـــن تولـــوا المناصب العليا فى الدولة. وتتميز هذه الخطب بالمغالاة والزيف.

يجـــدر بـــنا أن نذكـــر أهـــم نص لاتينى، وهو نقش على بروش (fibula) ذهـــبى، وُجد فى برينستى (praeneste) قد دُون عليه العبارة الآتية:

Manios med fhefhaked Numasioi

"صنعنى مانيوس من أجل نوميريوس"

ويعتـــبر هـــذا النقش أقدم نص لاتينى عُثر عليه حتى الآن إذ أنه يـــرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، وتُعزى أهميته أيضاً إلى أن الكتابة علـــيه قـــد دُونـــت بالطـــريقة المحراثـــية أو أســـلوب خـــط المحـــراث (boustrophedon)، أى يسير من اليمين إلى اليسار وينحنى بعد ذلك من اليســـار إلـــى اليمين على نسق خطوط المحراث الذى تجره الثيران، التى عندما تصل إلى نهاية الحقل تعود بخط جديد فى اتجاه مخالف.

وجديـــر بالذكـــر أن العبارة المدونة عليه لو كتبت بالطريقة التى اســتقرت عليها اللغة اللاتينية فى الفترة الكلاسيكية التى راعت فيها قواعد النحو والإعراب، لأصبحت مكتوبة على النحو التالى:

Manius me fecit Numerio

ونلاحـــظ فى هذه العبارة التغيير والتطور التى تعرضت له اللغة اللاتينية منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الأول قبل الميلاد بالنسبة لحالات الإعــراب، فالــنهاية (os) فى اسم (Manios) كانت علامة للرفع قديماً لــبعض الأسماء فى حالة الإفراد وأصبحت بعد ذلك علامة للنصب لبعض الأسماء فى حالة الجمع، وأصبحت علامة الرفع لهذا النوع من الأسماء فى حالة الإفراد (us). وكان ضمير المتكلم المفرد فى حالة النصب هو(med) ولكــنه أصبح (me)، وكانت علامة الفعل الماضى للشخص الغائب المفرد هى (ed) ولكنها أصبحت (it)، وكذلك كانت علامة الإعراب فى نفس هذا النوع من الأسماء فى حالة المفعول به غير المباشر (dative) هكذا:(oi)، ولكنها أصبحت (o) فى العصر الكلاسيكى.

٢- النــثر اللاتينى منذ عام ٢٤١ ق. م حتى وفاة الديكتاتور سلا عام ٧٨ ق.م

بعد نهاية الحرب البونية الأولى خرجت روما منتصرة، وأصبحت سردينيا (Sardinia)، وكورسيكا (Corsica). وصقلية (Ciclia) ولايات خاضـــعة وتابعـــة لروما. وبعد إخضاع مقدونيا (Macedonia)، وسوريا (Syria)، وأسبانيا، بدأ الرومان يعيشون حياة الاستقرار والأمان.

كان من نتائج الفتوحات الرومانية ازدياد تأثير الحضارة الإغريقية علـــى الـــرومان[١]، وبصفة خاصة طبقة الأشراف (Optimatcs)، الذين انهـــالوا علـــيها، واســـتبدلوا حياة التقشف والبساطة بحياة البذخ والترف والإســـراف بكـــل معانيه المختلفة. وأصبح من عشاق الحضارة الإغريقية بعـــض مشـــاهير الـــرومان وقادة الدولة البارزين مثل سكيبيو أفريكانوس (Scipio Africanus)، وفلامينـــيوس (Flaminius)، وإيميلـــيانوس (Ameilianus).

كان العبيد الإغريق الذين جلبهم الرومان وسيلة من الوسائل الفعالة والمؤثرة فى نقل تراث الحضارة الإغريقية إلى روما. فعلى سبيل المثال لا الحصـــر، اشترى كاتو الأكبر (Cato Maior) العبد إينيوس (Ennius) عام ٢٠٤ ق.م من جزيرة سردينيا، وأحضره معه إلى روما، والذى أصبح من أعظم الشعراء الرومان فى تلك الفترة.

لم يهتم الرومان بالآداب والفنون الأخرى وإنما كانوا مولعين بفنون الحـــرب والقـــتال وتنظـــيم الجـــيوش، ودراسة القوانين، وإصدار اللوائح والتشريعات، ودراسة التاريخ والأساطير، وتمجيد سيرة الأسلاف العظماء للاقتداء بهم. لذلك عندما بدأت الحضارة والثقافة الإغريقية تتغلغل فى قلب المجتمع الرومانى نهض ماركوس بوركيوس كاتو (M. Porcius Cato) ذلـــك الرومانى الأصيل الذى نشأ وترعرع وتشبع بعادات وسنن الأسلاف (mores maiorum) ـــ معارضاً بشدة وحزم انتشار ذلك الخطر المتمثل فـــى المد الثقافى الإغريقى بين الرومان وبخاصة الشباب، وما يحمله معه

---

(١) د. عـــبد المعطـــى شعراوى. النقد الأدبى عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ص ٢٢٩- ٢٣٥.

من أفكار ثورية وعادات وأخلاق جديدة وترف ورفاهية وتخنث. وناشد الرومان بكل ما أوتى من قوة للتمسك بعادات وسنن الأسلاف. وأصدر عدة قوانين اجتماعية للحد من البذخ والإسراف، ولكن لم يكن لها أى تأثير فعال أو صدى.

ونلاحظ أنه فى أواخر حياته يتجه لدراسة أدب هؤلاء الإغريق الذين قد هاجمهم من قبل فى خطبه، ونراهم يأسرونه بفلسفتهم وحكمتهم وثقافتهم.

كذلك ظهر تأثير الثقافة الإغريقية المتمثلة فى الفلسفة والخطابة ــ فى مفكرين ومصلحين اجتماعيين أمثال الأخوين جراكوس (Gracchus) اللذان تأثرا بالفلسفة الرواقية وتعاليمها ومبادئها الثورية والإصلاحية.

وعلى قمة أعلام الشعر الملحمى فى هذه الفترة يأتى كوينتوس إينيوس (Q. Ennius) (المولود فى حوالى عام ٢٣٩ ق.م)، وكان ماركوس بوركيوس كاتو (M. Porcius Cato) قد تعرف عليه فى سردينيا وأحضره معه إلى روما، وساعدته عائلة سكيبيو (Scipio) المشهورة والتى كانت تقدر المثقفين والشعراء والفنانين. وقام إينيوس بتدريس اللغتين الإغريقية واللاتينية لأبناء العائلات الثرية من الأشراف. وأهم الأعمال التى أكسبته شهرة عظيمة هى الحوليات (Annales) وتقع فى ثمانية عشر كتاباً بالوزن الشعرى السداسى (heameter)، وتحكى تاريخ روما بالترتيب الزمنى ابتداء من وصول إينياس (Aeneas) إلى إيطاليا حتى عام ١٨١ ق.م. وكان إينيوس يهدف لكتابة ملحمة للرومان تشابه ملحمة الإلياذة لهوميروس (Homerus) التى كتبها للإغريق. وقد تبقى لنا منها ما يقرب من ستمائة سطر متفرقة، وكان الرومان يقرأون حوليات إينيوس حتى أواخر عصر الإمبراطورية. وكان يسودها فكرة

الإيمان بعظمة روما وقوتها ومجدها. وامتازت لغتها بالجفاء، وكان الوزن بها غير متقن.

ولقد أثنى الخطيب شيشرون عليه كثيراً، واعتبره أبو الأدب اللاتيني، واستشهد بأشعاره، وتحدث عنه بعبارته المألوفة: "شاعرنا إينيوس" (noster Ennius). كذلك تعلم منه الشعراء الذين جاءوا من بعده أمثال لوكريتيوس (Lucretius)، هوراتيوس (Horatius)، أوفيديوس (Ovidius)، وفيرجيليوس (Vergilius) ــ كيف يصيغون أشعارهم بالروح الوطنية ويسجلون دائماً مجد روما وعظمتها فى أشعارها.

كذلك كان من أبرز شعراء هذه الفترة جنايوس نايفيوس (Gn. Naevius) (حوالى عام ٢٦٤ ق.م – عام ١٩٩ ق.م)، والذى خدم كجندى فى الحرب البونية الأولى، وكتب بعض مسرحياته الكوميديا والتراجيديا التى اقتبست معظم موضوعاتها عن الإغريقية. وألف روايات وطنية أطلق عليها اسم مسرحيات العباءة الرومانية (fabulae praetextae)، وتعالج موضوعات تاريخية. كما وضع كذلك ملحمة باسم "الحرب البونية" وبقيت لنا منها بعض الأبيات القليلة. ويتضح قيمتها فى أنها كانت أول ملحمة رومانية كُتبت بالوزن الساتورنى (Saturnus) الرومانى.

ولقد وصل إلينا تسعة عناوين لمسرحياته التراجيدية، وبعض الشذرات التى تحتوى على مائة وأربعين سطراً، وكذلك ثلاثين عنواناً لمسرحياته الكوميدية.

يجدر بنا أن نقول إن الأدب الرومانى بدأ بدايته الحقيقية على يد ليفيوس أندرونيكوس (Livius Andronicus) (حوالى عام ٢٨٤ ق.م – عام ٢٠٤ ق.م) عندما عرض مسرحياته الكوميدية والتراجيدية المترجمة عن الإغريقية فى حفلات النصر فى عام ٢٤٠ ق.م ابتهاجاً بانتصار

الجيوش الرومانية فى الحرب البونية الأولى، وقد صاغها بأسلوب يناسب ذوق الجمهـــور الرومانى وطبيعته. وقد قوبلت هذه المسرحيات باستحسان عظـــيم. وكـــان ليفـــيوس أول من عرف الرومان بالكوميديا والتراجيديا، وقدمهـــا لهـــم علـــى المســـرح. وكذلك ترجم ليفيوس ملحمة هوميروس "الأوديسيا" (Odysseia) إلى اللغة اللاتينية بالوزن الساتورنى.

ومـــن رواد الكوميديا فى هذه الفترة يأتى أمير الكوميديا اللاتينية، بلاوتوس (Plautus) (حوالى ٢٥٤- ١٨٤ ق.م)، ويرجح بعض الباحثين أنـــه كتـــب مائة وعشرين مسرحية كوميدية، ولكن للأسف لم يصلنا منها ســـوى واحـــد وعشـــرين مسرحية فقط، وهى أمفيتريو (Amphitruo)، الحمـــير (Asinaria)، وعـــاء الذهـــب (Aulularia)، التوأمتان باخيس (Bacchides)، الأســـرى (Captivi)، كاســـينا (Casina)، علبة الحلى (Cistellaria)، كوروكولـــيو (Curuculio)، إبـــيديكوس (Epidicus)، الـــتوأمان مينـــيخموس (Menaechmi)، التاجر (Mercator)، الجندى المغرور (Miles Gloriosus)، منزل الأشباح (Mostellaria)، الفارسية (Persa)، القرطاجنى الصغير (Poenulus)، بسيودولوس(Pseudolus)، الحـــبل (Rudens)، ســـتيخوس (Stichus)، ثـــلاث قطـــع مـــن النقود (Trinummus)، الأحمق (Truculentus)، حقيبة السفر (Vidularia).

واقتُبست معظم كوميديات بلاوتوس عن الكوميديا الأتيكية الحديثة، والـــتى بـــدأت من سنة ٣٣٨ حتّى سنة ٢٥٠ ق.م تقريباً، وكان من أهم كُـــتابها ميـــناندروس (Menandros)، وهى تعتمد فى المقام الأول على الأخطـــاء أو اخـــتلاط الفهـــم بيـــن أبطال الرواية مما ينتج عنه المواقف المضحكة (comic situations). وكانت جميع موضوعاتها وشخصياتها مســـتمدة ومســـتقاة من صميم الحياة العامة حيث تناولت طبائع الأشخاص

والحب والعواطف وغيرها. وكان الضحك فى كوميديات بلاوتوس وسيلة فقــط بينما كان هدفها الحقيقى والأساسى هو الإصلاح الاجتماعى. وتعتبر لغة بلاوتوس مصدراً حيوياً وهاماً لنا لمعرفة طبيعة اللغة اللاتينية فى هذه الفترة المبكرة ومدى تطورها.

كذلك يعتبر الكاتب الكوميدى بوبليوس تيرنتيوس (P. Terentius) (حوالــى ١٩٥ ق.م – ١٥٩ ق.م) من أبرز رواد الكوميديا اللاتينية، وأتى بعد بلاوتوس ليكمل مسيرة الكوميديا اللاتينية وتطورها. وكان يتميز بحس أخلاقى عال، وكان رزيناً فى كوميدياته، واهتم بالحبكة المسرحية، والعقدة الدرامــية، والبــناء المســرحى بصفة خاصة. وكان أسلوبه راقياً وصعباً بالنسبة للعامة الذين أعرضوا ذات مرة عن مشاهدة إحدى مسرحياته أثناء عرضها وغادروا المسرح.

لقــد وصــلت إليــنا جميع كوميديات تيرنتيوس الست، ويمكن أن نذكرها بالترتيب حسب ظهورها على المسرح لأول مرة على النحو التالى: أندريا (Andria)،الحماة(Hecyra)، المعذب نفسه(Heautontimorumenos)، الخصى (Eunchus). فورميو (Phormio)، والأخوان (Adelphi).

ومــن أبرز رواد النثر اللاتيني فى تلك الفترة الخطباء: ماركوس بوركيوس كاتو (M. Porcius Cato)، والأخوين جراكوس (Gracchus) وقد وصلت إلينا شذرات قليلة فقط من أعمالهم ومؤلفاتهم كان قد حفظها لنا بعــض المؤرخــون والكُــتاب الإغــريق والــرومان أمثال بلوتارخوس (Plutarchus)، وليفيوس (Livius)، وشيشرون (Cicero).

لقــد ساعدتنا تلك الشذرات القليلة فى الإلمام بطبيعة اللغة اللاتينية وشكلها فــى تلــك المــرحلة، وإلى أى مدى تطورت، وفى أى صورة كان النثر اللاتينى.

أ- ماركوس بوركيوس كاتو (Marcus Porcius Cato)

وُلـد مــاركوس بوركــيوس كاتو فى توسكولوم (Tusculum) (حوالــى عام ٢٣٤ ق.م – ١٤٩ ق.م)، وقضى فترة طفولته فى مزرعة صغيرة ورثها عن والده فى سابين (Sabine) بالقرب من توسكولوم، ولم يستنكف أن يعمل فى زراعة أرضه بنفسه[1]. ونشأ وترعرع متأثراً بعادات وسـنن الأسلاف (mores maiorum) التى لصقت فى أعماق قلبه وهى الصفات الأخلاقية لشخصية المواطن الرومانى الأصيل.

أدى مــاركوس بوركــيوس كــاتو، وهــو رجل سياسة، ومصلح اجــتماعى، وخطيــب رومــانى فذ ــ دوراً بارزاً لا بأس به فى التاريخ الرومانى بصفة عامة، وفى تاريخ الأدب الرومانى بصفة خاصة. وإذا ما ذكــرنا شــيئاً مــا عنه فنحن لا نستطيع أن نوفيه حقه قط، ولكن كفانا أن نعــرف فقــط بعــض المواقف التى قام بها فى مجال الإصلاح السياسى والاجــتماعى، والــتى تثبــت أنــه كان أول المصلحين للحياة الاجتماعية والسياسية للرومان، وكذلك أول المصلحين للقوانين الرومانية.

يصــف الناقد الرومانى كوينتيليانوس (Quintilianus) كاتو بإنه رجــل موسوعى، ويتحدث عنه كفيلسوف، وخطيب، ومؤرخ، وخبير فى القــانون والزراعة[2]. كما يتحدث شيشرون كذلك عن عمق علمه وتنوع

---

(1) Plutarch. Cat. 1-2.

يروى المؤرخ بلوتارخوس (Plutarchus) أن كاتو كان يعمل فى الشتاء القارس مثل العبيد، وكان يرتدى سروالاً قصيراً، ونتيجة لهذه الحياة القاسية الخشنة التى عاشها فى الريف فى فترة صباه، تميز فى خدمته العسكرية تحت قيادة القنصلين: كلاوديوس نيرون، وفابيوس ماكسيموس.

(2) Quint., XII. II, 23.

كتاباته[١]، ويقول إنه يُعتبر أبو النثر اللاتينى مثلما يُعتبر إينيوس أبو الشعر اللاتينى[٢]. كذلك يصفه المؤرخ بلينيوس (Plinius) بإنه سيد جميع الفنون[٣]. وقد وصف كاتو نفسه بأنه "رجل شديد وصارم" (vir fortis et strenuus)[٤].

عندما التحق كاتو بالخدمة العسكرية، خدم فى جيش فابيوس ماكسيموس (Q. Fabius Maximus) الذى استعاد تارينتوم(Tarentum) حوالى عام ٢٠٩ ق.م، كما خدم فى جيش جايوس كلاوديوس نيرون (Claudius Nero)، الذى هزم القائد القرطاجنى هاسدروبعال (Hasdrubal) فى معركة ميتاوروس (Metaurus) عام ٢٠٧ ق.م، واكتسب سمعة حسنة كجندى بارع. وتميز فى خدمته العسكرية بتواضعه وعدم إسرافه فى الطعام والشراب، وبقوة صبره التى أظهرها حينذاك. وكان يتباهى كثيراً بتقشفه.

بعد أن أنهى كاتو خدمته العسكرية، استقر فى مدينة روما، وبدأ رحلة حياته السياسية فى الفوروم (Forum)، واستطاع أن يغتنم الفرصة المناسبة التى جعلته قادراً على التدرج فى سلك الوظائف الحكومية (cursus honorum) كمواطن رومانى يتمتع بكافة حقوقه السياسية[٥].

---

(1) Cic., De Orat. 3, 135; Brut. 61, 69, 204.

(2) Ibid., Brut. 16, 61.

(3) Plin. Nat. Hist. XXV. 4.

(4) Liv. XXXIV. 40; Hadas, M., A History of Latin Literature, pp. 59-60.

(5) Cic. De Leg. 2. 2. 5: cum ortu Tusculanus esset, civitate Romanus habuit alteram loci patriam alteram iuris.

وفـــى نهايـــة عـــام ٢٠٦ ق.م شـــغل كـــاتو وظـــيفة كوايستور (quaestor)، المشرف المالى، مع سكيبيو أفريكانوس فى صقلية. والجدير بالذكـــر أنـــه ألقى فى روما خطبة مؤثرة ضد إسراف سكيبيو وإجراءاته التعســفية فـــى صـــقلية، ونتيجة لهذا توجه بعض المفوضين إلى صقلية للاستفســـار عن حقيقة هذا الأمر، ولكن نجاح سكيبيو الملموس فى أفريقيا أخرس جميع الألسنة لبعض الوقت. بالإضافة إلى هذا، أصبح سكيبيو أعظم رجل فى روما بعد انتصاره فى معركة ذاما (zama) عام ٢٠٢ ق.م.

وفـــى عـــام ٢٠٠ ق.م شـــغل كاتو وظيفة أيديل (aedilis)[١]، المشرف الإدارى. وفى عام ١٩٩ ق.م أصبح حاكماً قضائياً (praetor) فى سردينيا (Sardinia). ويُقـــال إنـــه أجبر كثير من المرابين على مغادرة سردينيا، ورفض أن يسمح للمسئولين هناك أن يقيموا له حفلة من أجل تكريمه، كما رفـــض كذلك للخيم والأثاث والملابس والعبيد التى كانت تخصص للحكام القضائيين الرومان على نفقة سردينيا[٢].

وبعد ذلك بحوالى ثلاث سنوات أُنتخب كاتو قنصلاً (consul) مع لوكـــيوس فاليريوس فلاكوس (L. Valerius Flaccus)، وعندما وُزعت ولايات القنصلية كانت أسبانيا من نصيبه، ولم تكن أسبانيا قد انقسمت بعد إلـــى ولايتين رومانيتين. وقبل أن ينطلق كاتو إلى أسبانيا، وقف معارضاً لقـــانون أوبـــيوس (Lex Oppia) الـــذى صـــدر حوالى عام ٢١٥ ق.م والقاضى بعدم امتلاك أى امرأة رومانية أكثر من نصف أوقية ذهب كحلية

(1) Liv 31 27; Seneca, Epist 86. 10

(2) Liv 31 27 8; Plutarch Cat. 6

و زيـــنة، وكذلـــك بعدم ركوبها عربة داخل مدينة روما، أو فى أى مدينة أخرى إلا فى أماكن تقديم الأضحية(١).

عـــندما اســـتلم كـــاتو مهـــام وظيفة الرقيب (censor) مع زميله لوكيوس فاليريوس فلاكيوس عام ١٨٥ ق.م تقريباً(٢)، أقام مراكز لخزانات المـــياه بكتل من البلاط الحجرى، وأزال أنابيب المياه التى كانت قد أُقيمت بـــدون وجـــه حـــق لصـــالح منازل الموسرين من مراكز إمدادات المياه المخصصـــة للعامة، وأمر بتنظيف المجارى والمصارف، وأنشأ مصارف وخطـــوط أخـــرى جديـــدة فـــى أحـــياء العامة فى روما، وأنشأ باسيليكا (Basilica)، وهو مبنى أو مركز لاجتماع التجار والناس.

واســـتبعد مـــن قوائم مجلس السناتو والفرسان أسماء الأعضاء ذو السمعة الســـيئة والمفلســـين لأنه كان من اختصاصات الرقيب مراقبة السلوكيات والأخلاق، والوضع الاجتماعى، وحصر ممتلكات المواطنين.

ويُحكـــى أنه استبعد اسم أحد أعضاء مجلس السناتو لأنه قام بتقبيل زوجته أمام ابنته، واعتبر هذا بمثابة عمل مشين وفاضح.

كـــان العمل الدؤوب عند كاتو هو المثل الأعلى، ومقياس شخصية الإنســـان. ولـــم يكن يميل إلى التأثير الشخصى وتأكيد صفة الذات الفردية لأنه كان يرى فى ذلك انهيار للأخلاق.

واشتهر كاتو بحكمته ورزانته فى معالجة مختلف الأمور العامة والخاصة، وكذلـــك كان يتمسك برأيه فى إصرار شديد. فعلى سبيل المثال، عندما بلغ الثمانيـــن كانت روما قد عقدت معاهدة مع قرطاجة، وكان مجلس السناتو

---

(1) Liv. 34. 1-4.

(2) Liv. 34. 40-44; Plutarch. Cat. 16-19.

يستدعيه دائماً للإدلاء برأيه وسماع حكمه ونصيحته بالنسبة لقرطاجة، كان ينهى حديثه بمقولته المشهورة "يجب أن تدمر قرطاجة" (Carthago delenda est) بالرغم من أنه كان يوجد أشخاص يدافعون عن قرطاجة مثل سكيبيو أفريكانوس، إلا أنه تمسك برأيه وتشبث به، وما كان منه إلا أنه أحضر بعض أغصان شجرة الزيتون إلى مجلس السناتو ليوضح لهم حقيقة أن قرطاجة طالما تزرع فاكهة وثماراً وأخشاباً، كذلك يمكن أن يظهر هانيبعال آخر بينهم.

لم يوافق كاتو على وجهة النظر القائلة بأن الحضارة الرومانية سوف تتقدم وتزداد ازدهاراً عندما تتصل اتصالاً وثيقاً بالفكر الإغريقى المتقدم والحضارة الإغريقية العريقة. وعندما كان الفيلسوفان الإغريقيان: كارنياديس (Carneades)، وديوجنيس (Diogenes) فى روما حوالى عام ١٥٥ ق.م، رأى كاتو أن الشباب الرومانى يتجمع حولهم، ويستمع إلى أحاديثهم بحماس شديد وإعجاب، عندئذ حثّ مجلس السناتو بشدة ليقرر فى الحال طرد هؤلاء الأجانب الخطرين، ولكى يقنع المجلس بحجته تنبأ بأن الفكر الإغريقى والثقافة الإغريقية سوف تكونان سبباً لدمار روما وهلاكها.

أعماله:

أما بالنسبة لأعمال كاتو ومؤلفاته، يُقال إنه ألف كتباً كثيرة مختلفة المناهج من أجل تعليم ابنه وتثقيفه[1]. هذا بالإضافة إلى خطبه التى بلغ عددها حوالى أكثر من خمسمائة خطبة، ولكن للأسف الشديد لم يصلنا منها سوى شذرات قليلة. وتوضح لنا الشذرات المتبقية من جميع أعماله أسلوب

---

(1) Jord., The Fragments of Cato's works, p. 77; Malcovati, H., Oratorum Romanorum Fragmenta.

النثر اللاتينى فى تلك الفترة ومدى تطوره، ووضوحه، ومزاياه، وعيوبه بوصفها مرحلة من مراحل تطور اللغة اللاتينية وآدابها.

١- الأصول (Origines)

كان هذا العمل فى البداية "قصة قصيرة" (Compendium) لكاتو عن التاريخ المحلى أو الإقليمى، ولكنه امتد وتوسع بالتدريج بعد ذلك ليشمل تاريخ روما، لأن كاتو كان يضيف إليه باستمرار حتى فى أواخر حياته. ولم يتبق لنا من هذا العمل سوى شذرات قليلة. وقد استخدم هذا العمل الكُتاب والمؤرخون بعد وفاته بالرغم من أن الخطيب الرومانى شيشرون (Cicero) انتقده ووصفه بأنه حوليات (annals) ركيكة وجافة[1].

ينقسم هذا العمل إلى سبعة كتب، ويفصح عنوانه "الأصول" عن فحوى الكتب الثلاثة الأولى. فعلى سبيل المثال، يتحدث الكتاب الأولى عن أصل مدينة روما، والملوك الأوائل الذين حكموها. ويتناول الكتاب الثانى والثالث أصل المدن الإيطالية، ويحكى الكتاب الرابع قصة الحرب البونية الأولى، وكذلك يتحدث الكتاب الخامس عن الحرب البونية الثانية. أما الكتاب السادس والسابع فيتناول تاريخ روما منذ نهاية الحرب البونية الثانية حتى أواخر أيام كاتو.

٢- الخطب (Orationes)

ألقى كاتو خطب كثيرة ومتنوعة ما بين خطب سياسية وعامة، سواء فى مجلس السناتو أو فى المحاكم. يذكر الخطيب شيشرون أنه قرأ

---

(1) Cic. De Leg. 1-2, 6.

أكـــثر مـــن مائة وخمسين خطبة من خطب كاتو[١]. ويقول إن كل صفات الخطابة الجيدة ومميزاتها تتجلى فيها. وتتميز خطبه بالمهارة الخطابية لأنه كان مُلماً بجميع الأساليب الخطابية، وكان واسع الحيلة والدهاء، وحصيف الرأى، وحكيماً، إذ كانت أقواله تنبعث من فكر ثاقب.

٣- إرشادات للابن (Praecepta Ad. Filium)

يتـــناول هـــذا البحـــث الصحة، والزراعة، والبلاغة، وفن القتال. ويتضح من العنوان أن كاتو ألفه خصيصاً من أجل تعليم ابنه.

٤- أنشودة عن الأخلاق (Carmen De Moribus)

يتضمن هذا البحث نصائح أخلاقية كتبها كاتو لتعليم ابنه.

٥- رسائل إلى الابن (Epistulae Ad Filium)

وهـــى رســـائل موجهـــة إلى ابنه لا نعلم عنها شيئاً مؤكداً، وكان شيشرون مُلماً بها[٢].

٦- مقالة "عن الزراعة" (De Agri Cultura)

تعتـــبر مقالة "عن الزراعة" أقدم عمل نثرى لاتينى وصل إلينا فى صـــورة كاملة تقريباً من هذه الفترة، وهى تشتمل على مزيج من القوانين الخاصـــة بـــزراعة العنـــب والزيتون، وتتحدث عن السماد وأسلوب شق الأرض الزراعـــية، كما تحتوى كذلك على نصائح اقتصادية تُوضح كيفية إدارة شـــئون المنزل والعبيد. كذلك تحتوى على وصفات طبية، و نصـائح

---

(1) Cic. Brut. 65.

(2) Ibid., De Orat. I. 171.

دينـــية لدرء غضب الآلهة، ووصفات لطبخ أصناف أو أطباق خاصة من الخضروات، وكذلك عمل أنواع معينة من الكعك.

لعلـــنا نذكـــر الآن مقدمـــة كتاب كاتو "عن الزراعة" (De Agri Cultura) كنموذج يوضح لنا طبيعة أسلوبه النثرى:

Est interdum praestare mercaturis rem quaerere, nisi tam periculosum sit, et item fenerari, si tam honestum sit. Maiores nostri sic habuerunt et ita in legibus posiverunt, furem dupli condemnari, feneratorem quadrupli- Quanto peiorum civem existimarint feneratorem quam furem, hinc licet existimare. Et virum bonum quom laudabant, ita laudabant, bonum agricolam bonumque colonum. Amplissime laudari existimabatur qui ita laudabatur. Mercatorem autem sternum studiosumque rei quaerendae existimo, verum, ut supra dixi, periculosum et calamitosum. At ex agricolis et viri fortissimi et milites strenuissimi gignuntur, maximeque pius quaestus stabilissimusque consequitur minimeque invidiosus, minimeque male cogitantes sunt qui in eo studio occupati sunt. Nunc ut ad rem redeam, quod promisi institutum principium hoc erit.

"مـــن المُـــربح أحـــياناً الحصول على المال بالتجارة، إذا لم تكن محفوفـــة بالخطر، ونفس الشئ بالنسبة لإقراض المال إذا كان شريفاً. لقد فكـــر أسلافنا بهذا الأسلوب ودونوا فى قوانينهم هكذا: يُعاقب اللص مرتين والمـــرابى أربع مرات. لقد اعتبروا أن المرابى كمواطن أسوأ من اللص. ويمكـــن أن يُعتـــبر هكذا. وعندما كانوا يمتدحون شخصاً، فإنهم يمدحونه هكذا: رجل طيب ومزارع طيب. وكان من المعتقد أن الشخص الذى كان يُمـــدح هكـــذا قد مُدح بأسلوب مُبجل، ولكننى أعتقد أن التاجر رجل نشيط

ومــتحمس للحصـــول علـــى المال، ولكن كما ذكرت بأعلاه، أنه يتعرض للمخاطرة والكارثة. وينشأ من الطبقة الزراعية أشجع الرجال وأشد الجنود. وتُعتــبر حرفــتهم ومعيشــتهم ثابتة جداً، وأقل حسداً. ويفكر هؤلاء الذين يشــتغلون فـــي هـــذا المجـــال بأسلوب أقل سوءاً. الآن سوف أرجع إلى موضوعى الذى بدأته وسوف يكون مقدمة".

جعـــل شيشـــرون كـــاتو المتكلم والمحاور الرئيسى، والشخصية الأساســـية التى تعتمد عليها محاورته "عن الشيخوخة" (De Senectute). وقد بذل شيشرون مجهوداً صعباً وشاقاً ليبرز شخصية كاتو.

وهـــذا إن دل علـــى شئ فإنما يدل على قدرة كاتو فى شيخوخته وعظمته عندما قام بأعمال شاقة وإنجازات لا يستطيع أحد القيام بها إلا إذا توافـــرت فيه صفات معينة كتلك التى كان كاتو يتجلى بها. فقد قضى كاتو خمسة وثمانين عاماً من حياته فى نشاط وعمل دؤوب، ذلك النشاط الذى لم يتخلى عنه حتى آخر رمق من حياته.

ب- تيبريوس وجايوس جراكوس (Tiberius, Gaius Gracchus)

كذلـــك مـــن أبرز خطباء هذه الفترة الخطيبان الأخوان: تيبريوس ســـمبرونيوس جـــراكوس (Tiberius Sempronius Gracchus)، وجـــايوس سمبرونيوس جراكوس (Gaius Sempronius Gracchus)، وكانا من نقباء العامة (tribunes plebes).

ويـــرجع الفضـــل فى تربيتهما وتنشأتهم السياسية والخطابية إلى أمهمـــا كورنيلـــيا (Cornelia)، ابنه سكيبيو أفريكانوس الكبير (Scipio Africanus)، الـــتى اشتهرت بكبريائها، وتواضعها، وثقافتها. إذ كرست حـــياتها بعـــد مـــوت زوجهـــا لتعليم ولديها الاثنين: تيبريوس وجايوس،

فأحضـــرت لهما أشهر أساتذة البلاغة والفلسفة الإغريق، ومنهم على سبيل المـــثال، ديوفانـــيس (Diophanes) مـــن ميتيلينى (Mytilene)، أستاذ الـــبلاغة والخطابـــة. وبلوســـيوس (Blossius) من كوماى (Cumae)، الفيلسوف الرواقى.

كان تيبريوس جراكوس تريبون (tribunus)، نقيب العامة فى سنة ١٣٣ ق.م، وقد حاول توزيع الأراضى التى استحوذ عليها ملاك الأراضى بـــدون وجـــه حق بين الفلاحين الفقراء فى روما، وتم ذلك التوزيع بإيجار اسمى، وسعى تيبريوس لترشيح نفسه تريبون مرة أخرى لعام ١٣٢ ق.م، وخطط لتطبيق قوانينه الجديدة ضد رغبة مجلس السناتو.

وإزاء ذلـــك، قرر مجلس السناتو منعه من الانتخاب لوظيفة التريبون مهما كلفـــه هذا من ثمن، وعندما فشل قرر إعدامه. وبمقتضى هذا القرار، أمر القنصـــل بوبيللـــيوس لايـــناس (Popillius Laenas) بـــإعدام تيبريوس جـــراكوس وأعوانـــه، وجمـــع القنصـــل ب. كورنيليوس سكيبيو ناسيكا (P. Cornelius Scipio Nasica)، وكـــان ابن خالة تيبريوس جراكوس – عـــدداً كبـــيراً مـــن الـــرجال التابعين لمجلس السناتو، وقتلوا تيبريوس جراكوس وثلاثمائة رجل من أتباعه فى الفوروم (forum)، وكان هذا أول مثال لإراقة الدماء فى مجال الحياة السياسية داخل مدينة روما[1].

واصل عمل تيبريوس وتحديه لإرادة مجلس السناتو أخوه الأصغر جـــايوس جراكوس الذى رشح نفسه لوظيفة التريبون فى عام ١٢٤ ق.م، واســـتطاع أن يشـــغل المنصب لمدة عامين متتاليين ١٢٣ ، ١٢٢. وكان

---

(1) Badian, E., "Tiberius Gracchus and the Beginning of the Roman Revolution", in: Aufstieg und Niedergang der römischen Welt I, 1972, 668-73.

خطيباً مفوهاً، يمتلك قدرة فائقة ومهارة خطابية عظيمة، واستطاع أن يؤثر علـــى سامعيه، ويقنعهم بأسلوبه السهل الممتنع، وذلك بالإضافة إلى كونه سياسياً قديرا. ويذكر شيشرون جايوس جراكوس كنموذج للخطيب القدير، ويحـــتفظ المـــؤرخ جيلليوس (Gellius) بفقرة من خطبته التى ألقاها أمام الرقباء (censores) فى عام ١٢٤ ق.م، وفيها يبرأ نفسه من رجوعه من جزيرة سردينيا بدون استدعاء رسمى حيث إنه كان يعمل هناك كوايستور بتكليف من مجلس السناتو[١].

وفى خلال مدة عامين لشغله وظيفة التريبون استطاع أن ينفذ عدة إصـــلاحات فـــى المجتمع الرومانى، واستصدر قرارات وتشريعات بلغت سبعة عشر قانوناً ما بين قرارات قضائية واقتصادية، واجتماعية بالإضافة إلـــى قوانيـــن تتعلق بإدارة الولايات الرومانية بالرغم من معارضة مجلس الســـناتو الشـــديدة[٢]. وانتهز القنصل لوكيوس أوبيميوس (L. Opimius) فرصـــة مقتل تابعه على يد أحد حراس جايوس جراكوس، فاستصدر قرار مجلـــس الســـناتو الـــنهائى، وشكل قوة مسلحة من رجال مجلس السناتو، والأتـــباع، والعبيد، وطلب من جايوس جراكوس وصديقه القنصل السابق فولفـــيوس فلاكـــوس (F. Flaccus) المثول أمام مجلس السناتو، ولكنهما رفضـــا وفضـــلا المقاومـــة، وتحصـــنا مع أنصارهما وأتباعهما فوق تل

(1) Münzer, F., Paulys Realencyklopädie 2A, S.V. "C. Sempronius Gracchus 1375-1400; Cic. Brut; 125; Gellius, Noctes Atticae 15. 12.

(2) Judeich, W., Die Gesetze des Gaius Gracchus, in: Historische Zeitschritft 3(1913), 473- 494; Meyer, Ed., Untersuchungen zur Geschichte der Gracchen. Klassische Schrift, Halle (1924), 363-398; Münzer, op.cit., C Gracchus, 1375 ff.; 1409 ff; Heuβ, A., Römische Geschichte, pp. 144-184; 553.

الأفنتيــنوم (Aventinum)، وهاجمهم القنصل أوبيميوس بقواته، وقُتل فى هــذه المعــركة مائتان وخمسون رجلاً، وقُتل فولفيوس فلاكوس، وقُطعت رأس جــايوس جراكوس، وحُملت إلى أوبيميوس الذى أعطى وزنها ذهباً لمــن أحضــرها. وقــد أقــام أوبيمــيوس المحــاكم الطارئة الاستثنائية (quaestiones extra ordinariae)وأصــدرت أحكامها العرفية بإعدام ثلاثـــة آلاف رجل من أنصار جايوس جراكوس ومؤيديه، وقد انتهك بذلك قانون سمبرونيوس الخاص بحق الاستئناف (de provocatione)، وقانون فالــيريوس (Lex Valeria) الخــاص بحــق الاستئناف الصادر فى عام ٣٠٠ ق.م.

يذكر المؤرخ الرومانى تاكيتوس (Tacitus) (حوالى ٥٤- ١٢٠ ميلادية) فى ديالوجه "عن الخطباء" (De Oratoribus) أن أسلوب جايوس جــراكوس أكثر ثراءً من أسلوب كاتو[1]. وقد كون تاكيتوس رأيه هذا بعد دراسته لبعض المقتطفات من خطب جايوس جراكوس التى كان شيشرون يستشهد بها فى أعماله[2].

لعلنا الآن نستطيع أن نتعرف على طبيعة أسلوب جايوس جراكوس مــن خــلال إحــدى الشذرات التى وصلت إلينا من خطبته "عن القوانين التشــريعية" (De Legibus Promulgatis)[3] التى ألقيت فى حوالى عام ١٢٢ ق.م:

---

(1) Tacit. Dial. Orat. 18: Catoni seni comparatus C. Gracchus plenior et uberior.

(2) Von Albrecht, M., Meister römischer Prosa von Cato bis Apuleius: Interpretation, p. 55 ff.

(3) Malcovati, H., Oratorum Romanorum Fragmenta, p. 191, fr. 48.

Nuper teanum Sidicinum consul venit. uxor eius dixit se in balenis virilibus lavari velle. quaestori Sidicino M. Mario datum est negotium, uti balneis exigerentur, qui lavabantur. uxor renuntiat viro parum cito sibi balneas traditas esse et parum lautas fuisse. idcirco palus destitutus est in foro, eoque adductus suae civitatis nobilissimus homo M. Marius. vestimenta detracta sunt, virgis caesus est. Caleni, ubi id audierunt, edixerunt, ne quis in balneis lavisse vellet, cum magistratus Romanus ibi esset. Ferentini ob eandem causam praetor noster quaestores abripi issuit: alter se de muro deiecit, alter prensus et virgis caesus est.

" منذ فترة قصيرة جاء القنصل إلى تيانوم سيديكينوم، وقالت زوجته إنها ترغب في استعمال حمام الرجال. وطُلب من ماركوس ماريوس، المشرف الإدارى على سيديكينوم بأن يخلى الحمام من الذين كانوا يستعملونه. أبلغت الزوجة زوجها بأن الحمام لم يسلم إليها بسرعة بدرجة كافية، ولم يكن نظيفاً بدرجة كافية. لذلك أُقيم عامود فى الفوروم، وسيق إليه الرجل الشريف جداً فى بلدته، ماركوس ماريوس. وانتزعت منه ملابسه، وتم جلده. عندما سمع الكالينيون بذلك، أصدروا قرارهم: عندما يتواجد حاكم رومانى هناك، لا يُسمح لأى شخص باستعمال الحمام.
أمر حاكمنا القضائى فى فيرينتينوم بالقبض على المشرفين الإداريين لنفس السبب، الأول ألقى به على الحائط، والثانى قُبض عليه وضُرب بالعُصى".

الفصل الثانى

النثر اللاتينى فى العصر الشيشرونى

تُسمى الفترة الثالثة فى تاريخ الأدب الرومانى باسم العصر الذهبى (The Golden Age) وتنقسم إلى فترتين:

الفترة الأولى: ويُطلق عليها العصر الشيشرونى، وتغطى السنوات الأخيرة مـن الجمهورية الرومانية، وتبدأ من عام ٧٨ ق.م ـ وهو العـام الـذى اعـتزل فيه الديكتاتور سلا (Sulla) الحياة السياسية ثم مات ـ وتنتهى فى عام ٣١ ق.م ـ وهو العام الذى أسس فيه الإمبراطور أوغسطوس (Augustus) الحكم الإمبراطورى فى روما.

الفـترة الثانية: وتُسمى العصر الأوغسطى (The Augustan Age) أو عصـر الإمبراطور أوغسطوس، وتبدأ من عام ٣١ ق.م حـتى عـام ١٤ مـيلادية ـ وهـو العام الذى مات فيه الإمبراطور أوغسطوس.

تميزت الفترة الأولى من العصر الذهبى، وهى العصر الشيشرونى بازدهـار النـثر اللاتيـنى، وبخاصـة النثر اللاتينى المقفى أو الإيقاعى (numerosa prosa) علـى يـد شيشرون ـ أكثر من الشعر لأنه ارتبط بالحـياة السياسية، وفيه تطورت البلاغة وارتقت وبلغت درجة كبيرة من الكمـال. فلقد ابتعد الشعراء بعيداً عن ساحة الأحداث السياسية بينما شارك كُـتاب النثر الخطابى والتاريخى، وتفاعلوا مع مجريات الأحداث السياسية اليومية فى الفوروم (forum)، وهى مركز الحياة الرومانية العامة اليومية الـتى كان يُقام فيها الأسواق وتعقد فيها المحاكم جلساتها. فقط كانت ساحة فخمـة وفسيحة يمارس فيها الناس جميع الأنشطة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، إذ كان يقع على حدودها مبنى الـ كوريا (Curia)، وهـو المبـنى المخصـص لاجتماع أعضاء مجلس السناتو، وكذلك الـ

روسترا (Rostra)، وهو المبنى المخصص للخطابة، وكان الخطباء يلقون من فوقه خطبهم أمام عامة الناس.

١- المدارس الفكرية والفلسفية المتعددة فى عصر شيشرون:

بعدمـــا نجحت روما فى استيعاب الممالك الهلينستية فى الشرق فى حوالى عام ١٣٣ ق.م انتشرت الثقافة الهلينستية فى روما، واستهوت عدداً كبـــيراً مـــن المثقفين فى روما، ومنذ ذلك الحين بسطت الفلسفة الإغريقية نفوذها فى روما، وكان الشباب الرومانى من الطبقات الراقية يتابع دراسته على مستوى عالى فى مراكز العالم الإغريقى الثقافية[١].

كانـــت روما فى العصر الشيشرونى تجتذب بصفة مستمرة زواراً مـــن الفلاسفة الإغريق أمثال فيلون (Philo) من بلدة لاريسا (Larissa)، وهو مؤسس الأكاديمية الجديدة، الذى قام بالتدريس فى روما بعد عام ٨٨ ق.م، وأنتـــيوخوس (Antiochus) مـــن بلدة عسقلان (Ascalon) الذى أصـــبح فـــيما بعد رئيساً للأكاديمية فى أثينا، وكذلك الفيلسوفان الرواقيان: بوسيدونيوس (Poseidonius) وديودوتوس (Diodotus).

كما قصد روما الفيلسوف الإبيقورى، فيلوديموس (Philodemus) مـــن بلـــدة جـــادارا (Gadara) فـــى عـــام ٧٥ ق.م، واستقر فى مدينة هيركولانيوم (Herculaneum)، وقام بتدريس الفلسفة الإبيقورية فى منزل ريفـــى أهدته إليه عائلة بيسو (Piso) الثرية، وكذلك قصد روما الفيلسوف الإبيقورى، فايدروس (Phaedros).

---

(1) Fuhrmann, M., Römische Literatur, p. 67 ff.; Harder, R., Die Einbürgerung der Philosophie in Rom, in: Die Antike 5, 1929, pp. 291-316.

استقطبت الفلسفة الإغريقية بمذاهبها المختلفة عدداً كبيراً من المثقفين ورجال السياسة البارزين فى عصر شيشرون، واعتنقوا المذهبين: الإبيقورى والرواقى بصفة خاصة. فمثلاً اعتنق الفلسفة الإبيقورية لفيف من مشاهير الرومان أمثال لوكيوس كالبورنيوس بيسو (L. Calpurnius Piso)، وتيتوس بومبونيوس أتيكوس (T. Pomponius Atticus)، صديق شيشرون، والقنصل مانليوس توركواتوس (T. Manlius Torquatus)، وكاسيوس لونجينوس (Cassius Longinus) الحاكم القضائى فى عام ٤٤ ق.م. وكان من أتباع الفلسفة الرواقية سكيبيو إيميليانوس (Scipio Aemilianus)، قنصل عام ١٣٤ ق.م، وموكيوس سكايفولا (Mucius Scaevola)، قنصل عام ١٣٣ ق.م، وابنه موكيوس سكايفولا، قنصل عام ٩٩ ق.م. وكذلك يوليوس قيصر، قنصل عام ٥٩ ق.م، وماركوس بوركيوس كاتو أوتيكينسيس (M. Porcius Cato Uticensis)، نقيب العامة (tribunus) فى عام ٥٤ ق.م، وحفيد كاتو الأكبر (Cato Maior)، رقيب عام ١٤٩ ق.م، الذى ترجع إليه فكرة تدمير قرطاجة (Carthago).

يؤكد شيشرون ضرورة ارتباط الفلسفة بالخطابة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يعبر فى كتابه "الخطيب" (Orator)[1] عن رغبته فى أن يكون الخطيب ملماً بالفلسفة لأنه بدون الفلسفة لا يستطيع الخطيب أو المحامى أن يتكلم ويتناقش فى الموضوعات الهامة المختلفة بإفاضة وقوة. كما يذكر كذلك فى محاورته الفلسفية "عن طبيعة الآلهة" (De Natura Deorum) أن خطبه تحتوى على كم هائل من الأسس والمبادئ الفلسفية الإغريقية

---

(1) Cic. Orat. 14.

المختلفة[١] ــ عندما يناقش المذاهب الفلسفية الثلاثة: الإبيقورية، والرواقية، والأكاديمية القديمة والحديثة.

كان المذهب الرواقى أكثر تطوراً من الإبيقورى على الرغم من أن المذهبيــن قــد نشــأ فــى وقت واحد، وكانت المشكلات التى انشغلت بها الرواقية أكثر اتساعاً فى نطاقها من مشكلات الإبيقورية. لقد تأسس المذهب الــرواقى فــى أثينا عام ٣١٥ ق.م على يد الفيلسوف زينون (Zeno) من مواطنى مدينة كيتيوم (Citium) فى قبرص (Cyprus)، ولقد اتخذ اسمه مــن حقــيقة أن مؤسسه كان يستخدم الرواق (stoa)، ومن ثم جاء الاسم "الرواقية"، كمدرسة لتعليم مبادئ فلسفته.

نظر زينون فى مخالفة لمعاصره الفيلسوف إبيقوروس(Epicurus) مؤســس الإبــيقورية إلى العالم على إنه كل متحرك تدفعه ملكات العقل، ومقومــات العــالم مطلقان: المبدأ الإيجابى المتمثل فى الله ثم المادة التى يتناولها الله بالتشكيل، وهذان الأساسان مظهران لا ينفصلان، وهما يعبران عن الوجود والكون عند الرواقية سرمدى، دورات مستمرة لا تنتهى، وكل حلقــة من هذه الدورات المتعاقبة تستوعب فى مداها بالضرورة فى عمق النار الإلهية، وبعدها تبدأ حلقة أخرى تمثل تلك التى سبقتها، فهى بعث لها مــن جديد. وقد عبر عن هذا المفهوم الشاعر الإنجليزى شيللى (Shelly) فى خاتمة مؤلفه "هيلاس" (Hellas):

Worlds on Worlds are rolling ever
From creation to decay
Like the bubbles on a river
Sparkling, bursting, borne away

---

(1) Ibid., De Nat. Deor. 1. 6.

وبالنســبة للأحلاق بشر ريئون بأن أفضل غايات الإنسان هى أن يحــيا فى انسجام مع الطبيعة، أى يحيا حياة فاضلة لأن الفضيلة هى قانون الطبيعة ومشيئة الله، وأن السلوك الفاضل يولد السعادة. ونادت الرواقية بمبدأ الأخوة بين كافة البشر دون تمييز أو تمايز بين الإغريق والأجانب، والحر والعبد. وهى بهذا تمهد للعدالة والمحبة. ولقد صادف المذهب الرواقى هوى فــى أفــئدة عدد كبير من أبرز الشخصيات الرومانية وبخاصة من الطبقة الأرســتقراطية ذات التعليم الراقى، وكان له صدى على القانون الرومانى، وظهــر أثــره فــى كتابات الفيلسوف الرومانى سنيكا (Seneca) (حوالى ٤ ق.م – ٦٥ مــيلادية)، كذلــك كان من أخلص معتنقى المذهب الرواقى الإمــبراطور مــاركوس أوريلــيوس أنطونيــنوس (M. Aurelius Antoninus)، (حوالــى ١٢١- ســنة ١٨٠ م)، مؤلــف كتاب التأملات (Mediationes).

تُنســب الأكاديمية (Academia) إلى مؤسسها ومنشأها فى أثينا، الفيلســوف الإغــريقى أفلاطــون (Plato)، تلمــيذ الفيلســوف ســقراط (Socrates) ـ وذلك فى حوالى عام ٣٨٧ ق.م، وكانت تهتم بالرياضيات والآداب والفلسفة.

إذا اســتثنينا بعض كتابات شيشرون الفلسفية المتعددة التى وصلت إلينا، نستطيع أن نقول إن خطب شيشرون ومرافعاته القضائية كافية وحدها بــأن تلقــى ضوءً ساطعاً على معرفته الوثيقة، وإلمامه التام العميق بأسس المذاهب والمدارس الفلسفية الثلاثة: الإبيقورية والرواقية والأكاديمية، إذ أنه يشير فى مواضع مختلفة إلى آراء الفلاسفة عن اللذة والخلود[1].

---

(1) Cic Pro Cael 4. Pro Sest 47

يشـــير شيشـــرون فى الفقرة السادسة والستين من مرافقته الجنائية الأولـــى "فـــى الدفاع عن سيكستوس روسكيوس أمرينوس"(١) إلى الفلسفة الإبـــيقورية الـــتى تـــرى أن الفكـــر مصدره القلب (animus). إذ يرجع الفيلسوف الإغريقى إمبيدوكليس (Empedocles) (حوالى ٤٩٣ – ٤٣٣ ق.م) أصـــل ونشأة الكون إلى أربع عناصر أساسية: الماء والهواء والنار، والـــتراب. ويـــرى أن الأجسام الحية تتكون جميعاً من هذه العناصر، وأن الفكـــر يتمركز فى القلب حيث إن الدم خليط كامل من الماء والنار والهواء والـــتراب، وكذلـــك الفيلسوف الإغريقى إبيقوروس (Epicurus) (حوالى ٣٤١ – ٢٧٠ ق.م)، الـــذى مجـــد فلســـفته الشاعر الرومانى لوكريتيوس (Lucretius)، (حوالـــى ٩٩ – ٥٥ ق.م) فـــى ستة كتب أطلق عليها اسم "عـــن طبيعة الأشياء" (De Rerum Natura)، ففى الكتاب الثالث عندما يـــتحدث لوكريتيوس عن نفس الإنسان التى تتكون من ذرات دقيقة تتفرق عـــند موته، يذكر أن النفس تنقسم إلى نوعين: نفس تبعث الحياة فى جسد الإنسان، وهى نفس غير مفكرة، وتسمى (anima) تنتشر فى جسد الإنسان كلـــه، وهـــى باعثة للإحساس، والنفس الأخرى مفكرة تسمى (animus) تستقر فى قلب الإنسان، وهى باعثة للإدراك والإرادة.

ويرى لوكريتيوس أن النفس والجسد مرتبطان معاً ارتباطاً جوهرياً والنفس بنوعـــيها تدفع جميع أعضاء الجسد إلى الحركة فهى التى توقظ الجسد من

---

(1) Cic. Pro Rosc. Amer. 66.

Magnam vim, magnam mecessitatem, magnam possidet religionem paternus maternusque sanguis; ex quo si qua macula concepta est, non modo elui non potest, verum usque eo permanat ad animam, ut summus furor atque amentia consequatur.

سبات النوم، وهى التى تغير ملامح جسد الإنسان عند إصابته، أقصد أنها تـــتأثر بالإحساس (sensus)، وتؤدى النفس وظيفتها بينما يستغرق الجسد فـــى النوم، ولا تتوقف عن عملها حتى بعد إزالة معظم أعضاء الجسد[١].

والـــنفس والجســـد مُولـــدان معاً ويفنيان معاً عندما تنفصل ذرات الجســـد، وتـــنطلق النفس وتتبدد ذراتها. وطبقاً لفلسفة إبيقور ينشأ كل شئ ويُخلـــق من المادة حتى الروح، ويمكن أن تتفكك المادة إلى ذرات، ولكن الذرات لا يمكن أن تتفكك أو تتلاشى.

كذلك يذكر شيشرون فى الفقرة الواحدة والسبعين من مرافعته "فى الدفـــاع عن روسكيوس أمرينوس" نظرية أصل الكون ونشأته من عناصر الطبـــيعة الأربعة: الماء والهواء والنار والتراب التى ترجع إلى الفيلسوفين الإغريقيين: إمبيدوكلـــيس، وإبـــيقوروس، عندما يصف عقوبة قاتل أبيه (parricidium) بإلقائه فى البحر، وذلك أثناء حديثه إلى القضاة[٢].

---

(1) Lucr. De Rer. Nat. 3. 98- 135.

(٢) "يستحوذ دم الأب والأم على قوة هائلة، وإلزاماً عظيماً، وقداسة، وكل بقعة من هذا يدركهـــا الإنســـان، ولا يمكن إزالتها، بل إنها تمتد حتى القلب، ويلى ذلك أقصى هوس عقلى وجنون".

Ibid., 71: Nonne videntur hunc hominem ex rerum natura sustulisse et eripuisse, cui repente caelum, solum, aquam terrarumque ademerint, ut, qui eum necasset, unde ipse natus esset, careret üs rebus omnilus, ex quibus omnia nata esse dicuntur?

"آلا يبدو إنهم قد أبعدوا مثل هذا الشخص من عناصر الطبيعة عندما يحرمونه فجأة من الهواء والشمس والماء والأرض حتى يفتقد ذلك الشخص الذى قتله أبيه ــ وإليه يرجع مولده ــ جميع عناصر الطبيعة التى يُقال إن كل شئ منبثق منها".

يذكر شيشرن فى الفقرة الخامسة والعشرين من خطبته الثانية "ضد كاتيليـــنا" (In Catilinam) الفضـــائل (virtutes) الأربعـــة لأفلاطـــون والرواقيين[١] حيث إنه كان أفلاطونياً أكاديمياً ويؤمن بالآلهة.

وكذلـــك يشير فى الفقرة الحادية والعشرين من خطبته الثالثة "ضد كاتيلينا" إلى الفلسفة الإبيقورية حيث يعتقد أن هؤلاء الذين ينكرون أن الآلهة ليست لها دوراً فى حكم العالم شأنهم فى ذلك شأن الإبيقوريين، بالعكس إنه يؤكد مشيئة الآلهة فى حياة الناس[٢].

٢- الخطابة ومكانة الخطباء الأتيكيين فى روما:

كانت الخطابة محببة جداً لدى الرومان لميلهم الطبيعى لاستخلاص العـــبر، وتمجيد المُثل الأخلاقية التى كانوا يعتزون بها، وكان المنبت الذى ترعـــرت فـــيه الخطابـــة يتمثل فى المجالس أو المؤسسات السياسية (مثل مجلس السناتو والجمعية القبلية (comitia tributa)، ودور المحاكم.

وكانـــت الخطابة وفن البلاغة (ars rhetorica) جزءان أساسيان مـــن تعلـــيم الشـــاب الرومانى الذى كان يسعى أو يطمح للعمل سواء فى

---

(1) Ibid., In Cat. II. 25: denique aequitas, temperantia, fortitudo, prudentia, virtutes omnes certant cum iniquitate, luxuria, ignavia, temeritate, cum vitiis omnibus.

"أخـــيراً، تقف جميع الفضائل: العدالة، الاعتدال، الشجاعة، والحكمة فى مواجهة جميع رذائل كاتيلينا: الظلم، الإسراف، الجبن والتهور".

(2) Ibid., III. 21: qui neget haec omnia, quae videmus, praecipueque hanc urbem deorum immortalium nutu ac potestate administrari?

"الـــذى ينكر أن جميع هذه الأشياء التى نراها، وبخاصة هذه المدينة تُدار بمشيئة وقوة الآلهة الخالدة".

المـيدان السياسـي أو المحاماة، وكان يدرك تماماً أنه يجب وأن تتناسب وكيفية عرضه لقضيته، واللغة التى ينبغى أن يستخدمها فى العرض.

كانت مدارس الخطابة والبلاغة موجودة فى مراكز العالم الإغريقى الثقافـية وهى برجاموم (Pergamum)، وأثينا (Athena)، وكانت تقوم بـتدريس الـبلاغة بالأجـر، وكان الشباب الرومانى من الطبقات الراقية يقصدها من أجل المزيد من المعرفة والعلم.

وقـد انـتمى إلـى هـذه المدارس بعض مشاهير الخطباء الرومان أمثال مـاركوس أنطونـيوس (M. Antonius) (حوالـى ١٤٠ – ٩١ ق.م) وماركوس بروتوس (M. Brutus) (حوالى ١٤٣ ق.م)، وكانوا يتدربون علـى انتقاء الكلمات المناسبة، وفن الإلقاء، والحركة المعبرة، وإدارة دفة المحادثات.

يرجع الفضل فى نمو فن الخطابة الرومانية وتطورها إلى آبيوس كلاوديوس (Appius Claudius)، رقيب عام ٣١٥ ق.م، وأبرز خطباء عصره، والذى كان يميل إلى البلاغة الهلينستية. كذلك كان يوجد فى روما فى عصر شيشرون جدل طويل عن مزايا أساليب مدارس البلاغة المتنافسة مثل المدرسة الآسيوية (Asianismus) والأخرى الأتيكية (Atticismus) ويذكر شيشرون أن الخطابة كانت فناً مرغوباً فيه فى روما فى بداية الأمر وذلـك لسـهولتها وبسـاطتها، وبعـد ذلك تطورت إلى خطابة مدروسة ومتقنة[1]، كما يشير كذلك إلى تكوينه الخطابى قائلاً: "إن اهتمامه بالخطابة

---

(1) Cic. Brut. 53; Tusc. I, 5: oratorem celeriter compelxi sumus, nec eum primo eruditum, aptum tamen ad dicendum, post autem eruditum.

كـــان قوياً حتى أنه لم يدع يوماً يمر عليه بدون أن يقوم ببعض التدريبات على الخطابة"(١).

هــناك اتجاهان أو مذهبان(٢) شائعان للأساليب المستخدمة فى النثر اللاتينى فى عصر شيشرون فى روما

أولهمـــا: المذهـــب الآســـيوى (Asianismus) الـــثرى، الآخاذ، ويتميز بالـــتكلف، والاستعارات الفجة، والتلاعب بالألفاظ غير الملائمة، والأفكار العامـــة الناقصـــة، وقـــد ازدهر هذا المذهب فى خطب القنصل كوينتوس هورتنســـيوس هورتـــالوس (Q. Hortensius Hortalus)، وقد اعترف شيشرون به كخطيب روما الثانى، وأثنى عليه فى مقدمة كتابه "بروتوس" (Brutus)(٣).

---

(1) Ibid., Brut. 309: ita eram deditus ut ab exercitationibus oratoriis nullus dies vaccus esset.

(2) Leeman, A.D., Orationis ratio, vol. I, p. 71 ff.

(3) Cic. Brut. 1.

يعتبر هوتنسيوس (Hortensius) (حوالى ١١٤ – ٥٠ ق.م)، الراعى الأول للأسلوب الآســـيوى فـــى رومـــا، فلقد كانت خطبه تبهر المستمعين بأسلوبها الرصين وبلاغتها المتمـــيزة بالعبارات البراقة الآخاذة، وعلاوة على ذلك، كان هورتنسيوس يسحر عقول المستمعين إليه بأساليب إلقائه المدروسة.

وثانـيهما: المذهـب الأتيكى (Atticismus) الصارم، المحافظ، ويتميز بـدوره بالاهتمام باختيار الألفاظ المناسبة، واستخدام لغة الحديث اليومية النقـية، وتحاشى الاستعارات الفجة، وكان ممن يمثلون هذا الأسلوب من الخطـباء فـى رومـا هـم: ماركوس بروتوس، وماركوس أنطونيوس، ومـاركوس كراسـوس (M. Crassus). وقـد اتخـذوا مـن الخطيبين الإغريقيـن ليسياس (Lysias)، وهيبريديس (Hyperides)، والمؤرخين الإغريقيين ثوكيديديس (Thucydides)، وأكسينفون (Xenophon) مثلهم الأعلى.

يميز شيشرون الخطباء الأتيكيين فى محاورته "عن الخطيب" (De Oratore)[١] بكلمـة واحدة تحدد مدى تفوق السمات الأسلوبية لكل منهم، مـثل كلمة النعومة (suavitas) صفة للخطيب إيسوكراتيس (Isocrates) وكلمـة البسـاطة (subtilitas) صفة للخطيب ليسياس (Lysias)، وكلمة حـاد (acumen) صـفة للخطيب هيبريديس (Hyperides) وكلمة هدير (sonitas) صـفة للخطيب إيسخينيس (Aeschines)، وكلمة قوة (vis) صفة للخطيب ديموستنيس (Demosthenes).

ويجـدر بنا أن نذكر فى هذا المقام منزلة هؤلاء الخطباء الأتيكيين وأهميـتهم. يذكـر شيشرون[٢] أن الخطباء الأتيكيين: إيسايوس (Isaios) ولـيكورجوس (Lycurgos)، وهيـبريديس (Hyperides) كانوا تلاميذ لإيسـوكراتيس، وأن أسـلوبهم لم يحمل طابع إيسوكراتيس، إذ أنهم كانوا

---

(1) Cic. De Orat. 3. 28: suavitatem Isocrates, subtilitas lysias, acumen Hyperides, sonitum Aeschines, vim Demosthenes habuit.

(2) Cic De Orat. 2. 10.

يتمتعون بشخصية قوية مستقلة وأسلوب خاص يميزهم. ويرى شيشرون أن هؤلاء الخطباء بأسمائهم اللامعة وبدراستهم لفن الخطابة على يد إيسوكراتيس يجعلون إيسوكراتيس جديراً بأن يحمل لقب "أبو البلاغة" (pater eloquentiae). ويميز شيشرون أسلوب نثر إيسوكراتيس عمن سبقه من الخطباء الأتيكيين بثلاث نقاط:

أولاً: تواضعه في اختيار الكلمات أكثر من الخطب جورجياس (Gorgias)[١].

ثانياً: أسلوب تكوينه للخطبة، فقد كان يمتلك ناصية الكلمات ذات الوقع والتأثير، تلك التي كان يختارها بعناية فائقة[٢].

ثالثاً: تفوقه في فن الإيقاع الموسيقي (rhythmus) بعد جورجياس، وكذلك في الصور البلاغية[٣].

كانت خطبة إيسوكراتيس "بانجيريكوس" (Panegyricos) التي مدح فيها مجد أثينا مشهورة جداً عند الجمهور اللاتيني في عصر شيشرون[٤]. وقد اقتبس شيشرون منها فقرات عديدة، وكذلك فعل مع أعماله الأخرى.

---

(1) Ibid., Orat. 175.

استخدم الخطيب جورجياس (Gorgias) (حوالي ٤٨٣ – ٣٧٦ق.م) أسلوباً خاصاً به يتميز بالجمل ذات الأطوال المتشابهة، وذات النهايات المتشابهه، والتي تقابل بين فكرتين (antithesis)، وامتازت هذه الجمل بإيقاع موسيقى رنان، وكان مغرماً جداً بهذا الأسلوب.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Dionys. Halicar, De Isocr. 14; Plutarch. Moralia 350; Quint. Instit. Orat. 10. 4.

عـندما يذكـر شيشرون ديموستنيس كخطيب يُحتذى به فى البلاغة، نجـده كذلـك يدين بشدة فى أسلوبه الخطابى إلى إيسوكراتيس، ففى فترة قنصليته كتب إلى صديقه أتيكوس (Atticus) رسالة قائلاً[1]:

"استغل كـتابى جميع العطور التى فى حوانيت إيسوكراتيس، وصناديق الروائح التى يملكها أتباعه مثلما استخدم قبساً من ألوان أرسطو"

كـان ليسـياس (Lysias)[2] يعتـبر النموذج المحبب والمفضل لدى الخطباء الرومان الذين يتبعون المذهب الأتيكى المناهض للمذهب الآسيوى.

٣- ماركوس توللِيوس شيشرون

(Marcus Tullius Cicero)

وُلد ماركوس توللِيوس شيشرون ــ وهو من مشاهير الخطباء فى الـتاريخ بوجـه عام، ومن أشهر الخطباء الرومان بوجه خاص، والرائد الأول لأسـلوب النـثر اللاتيـنى ــ فى عام ١٠٦ ق.م فى مدينة أربينوم (Arpinum)[3]، الـتى تـبعد عـن روما بنحو ستين ميلاً تجاه الجنوب،

=فى عام ٣٨٠ ق.م تقريباً نشر إيسوكراتيس خطبته "بانجيريكوس" (Panegyricos)، وموضـوعها هو دعوة المدن الإغريقية لتحقيق الوحدة الإغريقية والقيام بغزو مشترك ضـد الفـرس. ويذكـر بعـض الـنقاد أمـثال ديونيسـيوس هاليكارناسـوس (Dionysius Halicarnasus) إنهـا أعظـم أعمالـه وأشـهرها، ويقول المؤرخ الإغـريقى بلوتـارخوس (Plutarchus)، والـناقد الـرومانى كوينتيلـيانوس (Quintilianus) إن إيسوكراتيس أمضى فى تأليفها ما يقرب من عشر سنوات كاملة.

(1) Cic. Ad Att. 2.1: Meus autem liber totum Isocrati μυροθήκον atque omnes eius discipulorum arculas ac non etiam Aristotelia pigmenta consumpsit.

(2) Carey., C. Lysas: Selected Speeches, p. 19 ff.

(3) Ippoliti. L., Il luogo di nascita di Marco Tullio Cicerone. 17

ودخلـــت تحـــت سيطرة ونفوذ الرومان فى عام ٣٠٥ ق.م، ومُنح سكانها بعـــض حقوق المواطنة الرومانية، وبعد ذلك مُنحوا حق المواطنة الكاملة (civitas Romana) فى حوالى عام ١٨٨ ق.م.

كـــان شيشـــرون خطيباً رومانياً مفوهاً، ومحامياً باهراً، وسياسياً محنكاً، وفوق ذلك كان مؤلفاً وعالماً كبيراً، فقد ترجم العديد من الكتب عن الإغريقـــية، وألـــف فى الخطابة والبلاغة والدين والفلسفة. وقد وصل إلينا بعضـــاً مـــن هـــذه المؤلفـــات بجانب عدد لا بأس به من خطبه ورسائله الشخصـــية الـــتى تحتوى على كم كبير من المعلومات ذات القيمة الكبيرة والتى تغطى تقريباً حقبة هامة فى تاريخ الجمهورية الرومانية.

كانـــت عائلة شيشرون من العائلات الريفية الميسورة الحال، وكان والـــده يمتلك أرضاً زراعية كبيرة، كما تمكن كذلك من جمع ثروة جعلته يصـــبح عضواً فى طبقة الفرسان (equitatus)، ومع ذلك حافظت عائلة شيشرون على طابعها الريفى.

كـــان والـــد شيشرون يميل إلى الآداب أكثر من اهتمامه بالزراعة، وكان يقضـــى معظـــم وقـــته فـــى القراءة والإطلاع، لذلك استقر فى كاريناى (Carinae) بروما، واتخذ له منزلاً بها لكى تتاح الفرصة لولديه شيشرون وكوينـــتوس (Quintus) ـــ الـــذى كان يصغر شيشرون بأربع سنوات ـــ لنيل قسطاً وافراً من التعليم الراقى فى روما[1].

=تطل مدينة أربينوم (Arpinum)، وهى مدينة جبلية على وادى نهر ليريس (Liris)، جـــنوب شـــرق رومـــا، ويذكر عالم الآثار إيبوليتى (Ippoliti) انه تعرف على منزل شيشرون بها.

(1) Gelzer, M., Cicero, Paulys Realencyklopädie 7 A 827- 1091; Idem, Cicero, ein biographischer Versuch, pp. 15- 32.

تأثـر شيشـرون بوالده الذى أورثه حبه الدراسة والإطلاع الذى صـاحبه ولازمه فى جميع مراحل حياته، كما تأثر كذلك بجده الذى أورثه الاهـتمام بشئون الحياة العامة، فقد كان أحد القائمين بإدارة وتنظيم شئون مدينة أربينوم، مسقط رأس شيشرون، حيث كانت لمدينة أربينوم إدارة بلدية محلـية (municipium)، وكانت تتبع أسلوب الإدارة الرومانية فى بعض الجوانب، ولكنها مع ذلك كانت تتمتع بالاستقلالية فى الإدارة بصفة خاصة.

يذكـر المـؤرخ الإغـريقى بلوتـارخوس (Plutarchus)[1] أن شيشـرون برز وهو فى سن مبكرة فى المدرسة، وأن صداقته مع تيتوس بومبونـيوس أتـيكوس (T. Pomponius Atticus) بدأت فى تلك الأيام تـنمو وتـترعرع، وكـان أتيكوس يكبره بعامين، وكان ينتمى إلى طبقة الفرسان، واستطاع أن يعقد وينشأ صداقات متعددة مع كثير من الشخصيات ذات المـيول والاتجاهات السياسية المختلفة، واحتفظ أتيكوس بصداقته مع شيشـرون وكـان يتحمل بصبر شديد عصبيته وتقلب مزاجه، وكان يعالج أحـياناً مشـاكله الشخصية، وبخاصة علاقته مع زوجته التى كان يشوبها كثير من المشاحنات. كان أتيكوس رجل أعمال ناجح ومشهور، ولم يتوان عـن تقديـم ما يطلبه شيشرون ويحتاجه من مال، ولا سيما أن احتياجات شيشرون ومتطلباته كانت كثيرة لأقصى الحدود.

كانـت زوجة شيشرون تُدعى تيرنتيا (Terentia)، وقد أنجبت له ابنة اسمها توللیا (Tullia) وابنا اسمه ماركوس، وكانت توللیا محببة لديه كثـيراً، ويـبدو أن تيرنتيا كتبت إلى شيشرون أثناء غيابه عن روما عدة رسـائل رقـيقة، ولكـن هذه الرسائل لم تصل إلينا، ويتضح ذلك من رد

---

(1) Plutarch. Cic. 1

شيشـــرون علـــيها، فمـــن ثنايا الردود على الرسائل تظهر تيرنتيا كإنسانة رقـــيقة، وزوجـــة عطوفة، ولكن شيشرون طلقها عام ٤٦ ق.م عقب وفاة ابنـــته توللـــيا وبعد زواج دام ثلاثين عاماً، وتزوج من شابة صغيرة ثرية اســـمها بوبليليا (Publilia)، ويُقال كذلك إن تيرنتيا كانت ذات مزاج حاد، وكانـــت تتشـــاحن مع عديلتها بومبونيا (Pomponia)، زوجة كوينتوس شيشرون، وأخت بومبونيوس أتيكوس. يتضح من رسائل شيشرون[١] أنها لم تكن سيدة مدبرة، ولم تكن خبيرة ومقتصدة فى الأمور المنزلية. وبالطبع لا يعـــنى هـــذا أنهـــا فشلت فى إحدى الصفات الأساسية للزوجة الحكيمة المخلصـــة لزوجها والأم الصالحة. ويذكر المؤرخ الإغريقى ديوكاسيوس (Dio Cassius) أنها عاشت حتى بلغت من العمر مائة وأربع عاماً، وأنها تزوجت ثلاث مرات بعد طلاقها من شيشرون.

عـــاش شيشرون مع زوجته الجديدة بوبليليا فترة قصيرة، وطلقها هـــى الأخـــرى بدون سبب مؤكد. ومن الأرجح أن السبب فى ذلك يرجع لاضطراب أعصابه وتوترها نتيجة آلامه الشخصية لفقدانه ابنته توليا التى كان يحبها حباً جماً، وكذلك بسبب الأحداث السياسية الجسام التى عاصرها واشترك فيها كما سوف نرى.

نكتفى هنا بالقول إن تلك المؤثرات فى حياة شيشرون، التى تشمل الآلام النفســـية والأحـــزان الناشئة من مشكلاته الشخصية كان لها انعكاساً وأثراً عظيماً فى أفكاره، وفى كثير من كتاباته الفلسفية.

عـــندما ارتدى شيشرون معطف الرجولة (toga virilis) اشترك فى الحرب الأهلية الإيطالية (حوالى ٩٠ – ٨٨ ق.م) التى نشبت بين روما

---

(1) Gelzer, op.cit., Carcopino, J., Les secrets de la correspondance de Cicéron.

والمدن الإيطالية، وخدم تحت قيادة القنصل بومبيوس (Pompeius)، والد بومبــيوس العظيم (Pompeius Magnus)، وكانت هذه أول تجاربه فى الحــياة العســكرية، وعندما وضعت الحرب أوزارها، عاد شيشرون إلى رومــا، وأعد نفسه لمهنة المحاماة، وبدافع من ميل طبيعى قرر أن يكرس نفسه للخطابة، فكان ينصت دائماً إلى مشاهير الخطباء فى ذلك الوقت أمثال مــاركوس كراســوس، ومــاركوس أنطونــيوس[١]. وكان يرتاد مجالس المحاميــن البارزيــن أمــثال كوينيوس فابيوس سكايفولا (Q. Fabius Scaevola)، وازداد معرفة بالقانون الرومانى. وبدأ يمارس المحاماة وكان يــبلغ مــن العمر حوالى خمسة وعشرين عاماً. وكان يقبل الترافع فى أى قضــية كانت تُعرض عليه. ويذكر لنا المؤرخون أن أول قضية ترافع فيها كانــت قضــية "فــى الدفاع عن كوينكتيوس" (Pro Quinctio) فى عام ٨١ ق.م تقريــباً[٢]. وكانت أول قضية جنائية (causa publica) أكسبته شهرة عظيمة فى روما وأظهرت موهبته الخطابية وقدرته البلاغية هى "فى الدفــاع عــن سيكســتوس روســكيوس أمرينوس (Pro Sex. Roscio Amerino) فــى عــام ٨٠ ق.م تقريــباً. وكــان شيشرون يتفاخر دائماً بشجاعته لأنه تعهد بالدفاع عن روسكيوس أمرينوس الذى كان مُتهماً بقتل والــده، وهــاجم أهــم شخصية من أعوان الديكتاتور سلا، إذ كان مبتغاه الحقيقى هو مهاجمة سلا نفسه[٣].

كــان شيشرون فى فترة شبابه تواقاً إلى المعرفة والآداب والفلسفة الإغريقــية، فــتلقى دروســاً فى الفلسفة والخطابة الإغريقية من الأساتذة

---

(1) Cic. Brut. 89, 305.

(2) Gellius, A., Noctes Atticae 15, 28.

(3) Cic. Pro. Rosc. Amer. 127.

الإغـــريق الذيــن جـــاءوا إلـــى روما لنشر ثقافتهم والسعى وراء الشهرة العريضـــة. وفى حوالى عام ٧٩ ق.م ذهب شيشرون إلى مدن الإغريق، ومنطقة بحر إيجه سعياً وراء المزيد من المعرفة والثقافة، وتعرف فى آسيا علـــى أهـــم خطـــبائها[١]، ودرس فـــى أثيـــنا الفلسفة على يد أنتيوخوس (Antiochus)، وزيـــنون (Zeno). ودرس البلاغة على يد معلم البلاغة ديميتريوس (Demetrius)، وكذلك درس فى رودوس (Rhodos) الفلسفة علـــى يد بوسيدونيوس (Poseidonius) مثلما تتلمذ على يد معلم البلاغة أبوللونـــيوس موللو (Apollonius Molo)، الذى دربه على فن الإلقاء، وعلمه مراعاة أخطاء الكلام[٢].

عندما عاد شيشرون فى عام ٧٧ ق.م إلى روما من رحلته فى بلاد الإغـــريق، كان وضعه الاجتماعى لا يزال وضع المحامى المبتدئ، وفى عام ٧٥ ق.م عندما أتم عامه الحادى والثلاثين وهى السن التى كانت تُعتبر الســـن القانونـــية لبداية الممارسة الفعلية للحياة السياسية وتولى الوظائف الحكومية (cursus honorum) فى روما، استطاع شيشرون أن ينجح فى الانتخابات التى تقدم إليها لشغل وظيفة كوايستور (quaestor)، وهى بداية الســـلم الوظـــيفى الحكومى فى روما، وعُين شيشرون كوايستور (مشرف مالى) فى صقلية، وكانت واجبات وظيفته مرتبطة بالنواحى المالية فى هذه الولاية، وكانت الأمانة، وأنكار الذات هى المؤهلات اللازمة والمطلوبة من الشخص الذى يسعى لشغل هذه الوظيفة.

---

(1) Ibid., Brut. 95, 3, 5.

(2) Ibid., 316.

ولقـد ترك شيشرون أثراً طيباً فى نفوس أهل صقلية لدرجة أنهم اخـتاروه بعـد خمس سنوات ليدافع عن قضيتهم ضد فيريس (Verres)، الـذى حكـم صقلية بوصفه حاكماً قضائياً (praetor) لمدة ثلاث سنوات، وكـان أهل صقلية قد اتهموه باستخدام القوة والابتزاز، واستطاع شيشرون أن يكسب القضية ببراعته ومهارته الخطابية بالرغم من دفاع هورتنسيوس (Hortensius) عـن فيريس، وكان هورتنسيوس يُعد من أشهر المحامين وأقدرهم حينذاك[1]، وكان شيشرون يطلق عليه لقب "أبو المحاكم". وصدر الحكم ضد فيريس بالنفى إلى مارسيليا، ورفعت تلك القضية شيشرون إلى مصاف السياسيين ورجال القانون المشهورين فى روما.

شـغل شيشـرون فى عام ٦٩ ق.م وظيفة أيديل (مشرف إدارى) (aedilis)، وبعـد ثلاث سنوات أصبح حاكماً قضائياً (praetor) فى عام ٦٦ ق.م، وأُسـندت إليه رئاسة محكمة الابتزاز، وأثناء شغله لهذه الوظيفة وقف شيشرون أمام الجمعية القبلية (comitia tributa) ليدافع عن القانون الـذى تقـدم بـه نقيب العامة مانليوس (Manlius)، والذى يخول للقائد بومبـيوس (Pompeius) سـلطات عسكرية استثنائية فى آسيا الصغرى، وتكليفه بقيادة الحرب ضد ميثراداتيس (Mithradates) والقضاء عليه لأنه نقض الهدنة التى عقدها مع سلا. وهكذا مُنحت قيادة الحرب إلى بومبيوس بـدل من القائد لوكوللوس (Lucullus)، الذى كان يمثل طبقة الأشراف. وكـان مجلس السناتو يرى أنه صاحب الحق الوحيد فى الفصل والبت فى أمـر القيادات والولايات، وليست الجمعية القبلية (بوصفها المجلس الشعبى التشريعى فى روما).

---

(1) Ibid.; De Orat 3. 132.

والجدير بالملاحظة أن هذا الحق كان قد بدا يتزعزع عندما أعطت الجمعية القبلية من قبل فى ٦٧ ق.م بومبيوس قيادة شرقى البحر المتوسط للقضاء على خطر القراصنة فى تلك المنطقة بناءً على قانون نقيب العامة جابينـيوس (Gabinius) بـدل من أن تعطيها للقائد لوكوللوس، واضطر مجلـس السـناتو إلى الموافقة بالرغم من عدم ارتياحه وشكوكه فى نوايا بومبيوس وعلاقته الجديدة مع الفئات الشعبية (Populares).

يبيـن لنا موقف شيشرون من قانون مانليوس الذى منح القيادة إلى بومبيوس معارضته لمجلس السناتو وتأييده لطبقة الفرسان والفئات الشعبية، حيـث إن استقرار الأمور فى آسيا الصغرى كان يمثل ضمان مشروعاتهم ومصالحهم هناك. كذلك يوضح لنا هذا الموقف دفاع شيشرون عن مصالح طـبقة الفرسـان الـتى ينتمى هو أصلاً إليها. ويزودنا المؤرخ الإغريقى ديوكاسـيوس (Dio Cassius)[1] بصـورة خلابة عن شخصية شيشرون كسياسى فى تلك الحقبة قائلاً: إن شيشرون من جانبه كان يشتاق إلى تولى منصـب قـيادى فـى الدولة، وكان يحاول إظهار ثقته لكل من الأشراف والفئات الشعبية، واعتاد أن يلعب دوراً مزدوجاً بتأييده أحياناً قضية العامة، وقضـية الأشـراف أحـياناً أخرى. وكان شيشرون يتملق الفئات الشعبية والأشراف معاً، ولكنه انحاز تماماً فى سنة ٦٤ ق.م إلى جانب الأشراف، وكانوا فى قرارة أنفسهم يحتقرونه على أساس أنه حديث النشأة (novus homo)، أقصـد أول رجـل مـن عائلـة لا يرجع أصلها إلى عائلات الأشراف ولم تتقلد سلك الوظائف الحكومية.

---

(1) Dio Cassius 36. 43-4.

وفــى بداية يناير سنة ٦٣ ق.م تقلد شيشرون أعلى منصب فى الدولة وهو منصــب القنصــلية، وأثــناء شــغله لمنصــبه حدثــت مؤامــرة كاتيلينا (Catilina) لقلب نظام الحكم فى روما، واستطاع شيشرون بفضل يقظته وحيطــته أن يكشــف النقاب عنها قبل أن تُنفذ، ويرجع سبب المؤامرة إلى فشل كاتيلينا مرتين متتاليتين فى انتخابات القنصلية.

وكانــت هــذه المؤامــرة تهدف فى المقام الأول إلى قتل القناصل وأعضاء مجلس السناتو، وحرق المدينة بأكملها، وإثارة القلاقل فى إيطاليا، وكــان معظــم أعــوان كاتيليــنا مــن الشباب الصغير، والعاطلين ذوى الشخصيات الضعيفة الواهنة، المُثقلين بأعباء الديون الذين أغراهم كاتيلينا بتولى المناصب الإدارية الهامة فى الدولة فى حالة نجاح المؤامرة ليتمكنوا مــن التخلص من أزماتهم المالية نتيجة إفراطهم وإسرافهم وانغماسهم فى الملــذات، وضم كاتيلينا إليه كذلك بعض الشراذم من عامة الشعب الفقراء المتذمريــن من أوضاعهم المتعسرة والمحتجين على الأوضاع الاجتماعية القائمة(١).

اعتقل شيشرون زعماء المؤامرة الخمسة الذين كانوا موجودين فى رومــا، وكانت مهمتهم هى إثارة الشغب والحرق والقتل فى المدينة تمهيداً لوصــول كاتيليــنا ومعــه جيشه الذى سيقوم بجمعه من البلدان الإيطالية المجــاورة، وأصدر شيشرون أوامره بإعدامهم بقرار من مجلس السناتو، وكذلك تمكن شيشرون من القضاء على كاتيلينا وجيشه فى موقعة بيستوريا (Pistoria) فى سنة ٦٣ ق.م بموجب القرار النهائى الذى أصدره مجلس السناتو (Senatus Consultum Ultimum) فى ٢١ من أكتوبر سنة ٦٣

---

(1) Cic. In Cat. 2. 18-22; Sallust. Cat. 16. 4; 27. 4; Plutarch. Cic. 10. 4; Dio Cassius 37 1-2; Cic. Pro Mur. 49; Pro Sull. 60.

ق.م وكـــان هدا القرار ينص على أنه يجب على القناصل أن يدافعوا عن الدولة وأن يأخذوا حذرهم حتى لا يلحق أى ضرر بها.

ويـــروى المؤرخان بلوتارخوس وديوكاسيوس سبب صدور قرار مجلس السناتو النهائى كالآتى: عندما أكمل المتآمرون استعداداتهم للمؤامرة فـــى رومـــا وإيطاليا، وصلت المعلومات إلى شيشرون أولاً بما يحدث فى المدينة من خلال بعض الخطابات المجهولة، وكانت موجهة إلى كراسوس وبعض الشخصيات البارزة الأخرى، وقد قدم شيشرون تلك الخطابات إلى مجلس السناتو، وحثّه على إعلان حالة الطوارئ، وبعد أن استمع المجلس إلـــى محـــتويات الخطابـــات، وألمّ بها، أصدر قراره بأن يتقصى القناصل المعلومـــات المـــتعلقة بالمؤامرة، واجتمع مجلس السناتو مرة أخرى عندما وصلت أخبار من إتروريا (Etruria) تؤكد تلك المعلومات، وأصدر قراره النهائى بأن يأخذ القناصل حذرهم ألا يلحق أى ضرر بالدولة[١].

كـــان شيشـــرون يحرص على السرعة فى إعدام زعماء المؤامرة الخمســـة لأنه كان يدرك أن ذلك الإجراء سوف يترتب عنه خوف ورعب وتـــردد بيـــن أتباع كاتيلينا وأعوانه، وأراد أنه يكون الإعدام بدون انتظار محاكمة، وكان يدرك كرجل قانون أن انتهاك حق الاستئناف سوف يسبب لـــه نقـــداً ولومـــاً، بالرغم من إنه كان مزوداً بسلطة قرار مجلس السناتو الـــنهائى، ورأى أن يتحاشى ذلك كله، لهذا طلب من مجلس السناتو تقرير مصـــير المتهميـــن الخمسة لإصدار حكم بإعدامهم حتى تقع مسئولية حكم

---

(1) Cic. In Cat. 1. 4; Mitchell, Th. N., "Cicero and The S. C. Ultimum", Historia 20 (1971), pp. 47-61; Sallust. Cat. 26, 28, 32; Plutarch. Cic. 15. 1-2; Crassus 13; Dio Cassius 37 31, 1-2.

الإعدام على عاتق مجلس السناتو، وليس عليه شخصياً ويستطيع أن يدعى أنه ينفذ فقط أوامر مجلس السناتو[١].

لذلـك قرر مجلس السناتو توجيه الشكر إلى شيشرون، ومنحه لقب "أبـو الوطن" (pater patriae) لأنه أنقذ الدولة من خطر كاتيلينا وأعوانه المتآمرين[٢].

مدح شيشرون فترة قنصليته فى معظم أعماله التى كتبها من نثر وشعر، وحفظ لنا الناقد والخطيب الرومانى كوينتيليانوس(Quintilianus)، الـذى عـاش فـى القرن الأول الميلادى ـ بيتا من الشهر مشهوراً عن شيشرون فى ذكرى قنصليته[٣]:

"يا لحسن حظ روما التى أُنقذت من الدمار عندما كنت قنصلاً"

ولم ينس بالطبع أعداء شيشرون من الفئات الشعبية أنه السبب فى إعدام هؤلاء المواطنين بدون محاكمة أو منحهم حق الاستئناف.

يوضـح لـنا موقف شيشرون وسياسته من مؤامرة كاتيلينا ماهية اتجاهاتـه وميوله السياسيـة المتذبذبة فهو من قبل وقف إلى جانب الفئات الشعبية ضد الأشراف، والآن يقف إلى جانب الأشراف ضد الفئات الشعبية التى كانت تهدف إلى تصحيح أوضاعها الاقتصادية.

اقتـنع شيشرون بضرورة مؤازرة طبقتى الفرسان ومجلس السناتو لمواجهـة الفـئات الشـعبية ومطالـبها بعـد أن أدرك دور بعض القادة الطموحين أمثال يوليوس قيصر (Julius Caesar)، وماركوس كراسوس (Marcus Crassus) فـى الحركات الشعبية المناهضة للحكومة، ومدى

(1) Cic. In Pis. 14; Pro Sest. 53; Dio Cassius 37. 35, 4.

(2) Cic. In Pis. 6; Dio Cassius 37. 36-3.

(3) Quint. Instit. Orat. 2. 1. 24: O fortunatam natam me consule Romam.

انقياد الفئات الشعبية لهما، وبخاصة دورهما فى مؤامرة كاتيلينا من وراء الستار[١].

كان شيشرون بدافع من إيمانه العميق بأفكاره السياسية يسعى بإصرار شديد لمنع أى اقتراح أو تشريع يتقدم به أحد القادة أو الساسة الطموحين بطريق مباشر أو غير مباشر لاجتذاب الفئات الشعبية إليه. فمثلاً، عندما تقدم نقيب العامة روللوس (Rullus) فى بداية شهر يناير عام ٦٣ ق.، قبيل تولى شيشرون لمهام منصب القنصل، وذلك بإيعاز من كراسوس وقيصر بمشروع قانون لإعادة توزيع الأراضى الزراعية على الفقراء، حينئذ استطاع شيشرون إيقاف هذا المشروع، ولكن فيما بعد فى عام ٥٩ ق.م، عندما شغل قيصر منصب القنصلية قام بتوزيع الأراضى الزراعية على المُعدمين من جنود بومبيوس المسرحين لاجتذابهم إليه، وكذلك استصدر النقيب كلوديوس (Clodius)، أحد أذناب قيصر، قراراً فى نفس العام يقتضى بتوزيع القمح مجاناً على العامة.

كانت الآثار التى لحقت بشيشرون نتيجة إحباطه لمؤامرة كاتيلينا سيئة ووخيمة، فقد نال شيشرون جزاءه لأنه وافق وأيد قرار مجلس السناتو بإعدام أعوان كاتيلينا الخمسة المقبوض عليهم داخل روما بدون محاكمة رسمية وبدون منحهم حق الاستئناف أمام الجمعية المئوية (comitia centuriata). فقد أجبرت حكومة الائتلاف الثلاثى الأول(triumvirate) ـ التى أقيمت فى حوالى سنة ٦٠ ق.م بين القادة الرومان الثلاثة: ماركوس بومبيوس، وماركوس كراسوس، ويوليوس قيصر ـ شيشرون للذهاب إلى المنفى لأنها قررت تقليم أظافر أعضاء مجلس السناتو، وكان

---

(1) Plutarch. Cic. 20; Sueton. Divus Iulius 9; Appian. Bell. Civ. 2-6; Dio Cassius 33-35.

فـــى مقدمـــتهم شيشـــرون الـــذى كـــان يعرقل دائماً خططهم ومشاريعهم وطموحاتهم السياسية ويعطلها.

اقـــترح نقيب العامة كلوديوس بولكير (Clodius Pulcher) فى ٢٠ مارس سنة ٥٨ ق.م قانوناً بإيعاز من رجال الحكم الثلاثى، ونجح فى ســن هــذا القــانون بعد موافقة الجمعية القبلية عليه[1]، وكان ينص على ضــرورة الحكم بالنفى على كل من قام بإعدام مواطن رومانى بدون إدانة أو محاكمـــة، وكـــان يعتبر بمثابة إعادة وتأكيد لقوانين بوركيوس الخاصة بحق الاستئناف (de provocatione).

والجدير بالذكر أن قيصر قد أوعز إلى التريبون كلوديوس اقتراح ذلـــك القانون من أجل التخلص من شيشرون الذى كان يمثل العقبة الكؤود أمـــام آماله وأحلامه لتحقيق أمجاد عسكرية شخصية، فقد سبق أن عارض شيشرون وزميله كاتو (Cato) ترشيح قيصر لقنصلية عام ٥٩ لعدة أسباب منها:

أولاً: كـــان أعضاء مجلس السناتو يخافون من نوايا قيصر الخفية، فهو قد عـــاد مؤخـــراً منتصراً من أسبانيا ومعه أموالاً كثيرة كان قد جمعها هناك، وهى بالطبع سوف تساعد فى تعزيز نفوذه ومركزه وقوته فى روما.

ثانياً: تمتع قيصر بحب الشعب الرومانى، وكانت له شعبية عظيمة، وكان يمـــثل زعيم الفئات الشعبية التى كانت لها دائماً مطالب، وكانت تواقة إلى تغيير فى نظام السياسة والإدارة والحكم.

(1) Velleius Paterculus 2, 45; Plutarch. Cic. 30-31; Livius. Per. CIII.

ثالثاً: خاف مجلس السناتو أن يصبح قيصر قنصلاً (consul) وحاكماً على ولايـة، ويسـتطيع تجنيد جيشاً كبيراً ويأتى إلى روما لتهديد مجلس السناتو فى حالة الاعتراض على مطالبه.

وبالـرغم من أن اسم شيشرون لم يُذكر صراحة فى هذا القانون فإن شيشرون استشعر أن ذلك القانون يهدف إليه لأنه أمر بإعدام أعوان كاتيلينا الخمسة فى عام ٦٣ ق.م. ورفض القنصلان فى ذلك العام ٥٨ ق.م وهما بيسـو (Piso)، وجابينـيوس (Gabinius) الـتدخل مـن أجل مساعدة شيشـرون، كمـا رحـب رجـال حكومة الائتلاف الثلاثى الأول بخروج شيشرون من المدينة، وانتاب شيشرون الخوف والفزع لأن صديقه القنصل بومبيوس رفض مساعدته، لذلك انسحب فى هدوء متسللاً هارباً من المدينة قـبل أن يُحاكم بهذا القانون الجديد[١]، وانطلق هارباً إلى منفاه فى سالونيك (Thessalonik) فـى بـلاد الإغـريق، وعـرض علـيه حاكم مقدونيا (Macedonia) الحماية والمساعدة.

وكـان قيصر على وشك الرحيل بقواته إلى غالة (Gallia)، فاضطر إلى الانتظار بجيشه على أبواب روما وعندما اطمأن وتأكد من رحيل شيشرون عن روما، واصل سيره متجهاً إلى غالة. وقد اقترح النقيب كلوديوس قائمة بأسماء المحكوم عليهم الذين ينطبق عليهم نص القانون، وشملت هذه القائمة اسم شيشرون، وأعلن كلوديوس أن شيشرون أصبح فى المنفى إذ ذاك[٢].

---

(1) Plutarch. Cic. 30-33; Dio Cassius 37, 17-3-6, 18-30; Appian B. C. 2, 14- 15.

(2) Cic. De Dom. 47; Ad Att. 3, 4; Post Redit. In Senat. 4; De Dom. 5, 9, 26, 33, 43- 45, 50, 68-91, 77-92.

يذكــر شيشرون أن تلك القائمة قد أصدرتها عصابة مستأجرة من العبــيد والمجرميــن[١]. وهكــذا بذهاب شيشرون إلى المنفى بدون انتظار المحاكمــة أثبــت أنــه أصبح طريداً للعدالة، وصُودرت ممتلكاته. ودمر كـــلوديوس منزله الواقع على تل البــلاتين (Palatium)، وكذلك فيللته نُذرت كيما تكون معبداً للحرية. وهكذا حُلّت المصائب بشيشرون، وأُصيب فــي سمعته. ومكث شيشرون في المنفى طوال ستة عشرة شهر فقط، من أول أبــريل عــام ٥٨ ق.م حتى شهر أغسطس عام ٥٧ ق.م، وهو تاريخ استدعاء شيشرون. وهذا لا يعنى تأييداً لموقفه أو أنه ظُلم. وإنما يوضح لنا انعكاساً للتغييرات في الموقف السياسى، فعندما كان قيصر بعيداً عن روما، قائمــاً بأعمال القنصل (proconsul) في غالة، تحدى كلوديوس بومبيوس وقام بإلغاء قراراته، وحاول اغتياله، واحتمى بومبيوس فى منزله، وتجنب الخروج أو الظهور فى الأماكن العامة، وذلك عندما أثار كلوديوس الرعب والفــزع داخــل رومــا بعصاباته المسلحة، عندئذ قرر بومبيوس استدعاء شيشرون من منفاه من أجل اتخاذ إجراء حاسم ضد كلوديوس[٢].

تعهد باستدعاء شيشرون من المنفى القنصلان بوبليوس كورنيليوس لينــتولوس (P. Cornelius Lentulus)، وميــتللوس نيــبوس (Q. Metellus Nepos)، الــذى كــان عدواً لدوداً لشيشرون عندما كان نقيباً للعامــة فــى عام ٦٢ ق.م، إلا أنه انحاز إلى جانب بومبيوس والأشراف، وأيدهــم فى ذلك نقباء العامة وهم ت. آنيوس ميلو (T. Annius Milo) وك. فابريكــيوس (Q. Fabricius)، وم. كيســبيوس (M. Cispius)،

---

(1) Ibid., De Dom. 5, 77-92: In Pis. 30.

(2) Plutarch. Cic. 33; Pompeius 48-49; Dio Cassius 37. 30, 39. 6-11; Appian B. C 2, 16.

ونفــذوا اســتدعاء شيشــرون بموافقــة مجلس السناتو. واقترح القنصل لينــتولوس، وكذلــك زمــيله القنصل ميتيللوس نيبوس قانوناً أمام الجمعية المئوية يسمح بعودة شيشرون إلى الوطن، ونُفذ هذا القانون فى الرابع من أغســطس عــام ٥٧ ق.م بالرغم من معارضة النقيب كلوديوس الشديدة، وإثارته للعديد من القلاقل داخل روما.

ألقى شيشرون فى اليوم التالى لعودته إلى روما خطبته الأولى "بعد العودة (Post Reditum I) فى مجلس السناتو، وفيها شكر مجلس السناتو، وفى اليوم الثالث ألقى خطبته الثانية "بعد العودة" (Post Reditum II) من فوق الروسترا (Rostra)، منبر الخطابة الموجود فى الفوروم، وفيها شكر الشعب.

وأعاد مجلس السناتو إلى شيشرون ممتلكاته المصادرة، وأعاد بناء منزله وفيللته على نفقة الدولة بالرغم من تحدى كلوديوس وأخافته للعمــال القائميــن على عملية إعادة البناء[1]. وفى نفس العام ألقى شيشرون خطبته "عــن منزله" (De Domo Suo)، وفيها أظهر عدم شرعية إهداء النقيب كلوديوس لداره المصادرة إلى الآلهة، ورد على هجوم كلوديوس بأنه قام ببناء قصر لنفسه، وفى العام التالى لعودته ٥٦ ق.م، ألقى شيشرون خطبته "عــن رد العرافيــن" (De Haruspicum Responso)، وفيها ردّ على مزاعم كلوديوس وافتراءاته أمام الشعب بإنه أثار غضب الآلهة باسترداده لمنزله الذى صّودر وأُهدى إلى الآلهة.

خلاصــة القــول إن نفى شيشرون كان بدافع سياسى ولم يكن له مــبرر، فلمــا ذهب المحرضّ الأصلى على ذلك إلى بلاد الغال، فُتّ فى

---

(1) Cic. De Haru. Resp. 15- 16; In Pis. 52; Ad Att. 4. 2; Post Redit. In Senat. I. 9.10.

عضد صنيعته كلوديوس، ولم يستطع الحيلولة دون استدعاء شيشرون ورد اعتـبـاره إليه بإعادة أملاكه المصادرة. وهكذا كانت السياسة قُلّب فى روما فـى هذه الحقبة بالذات، وسوف يلقى شيشرون حتفه ويُقطع لسانه وتوضع على منبر الخطابة الـ روسترا التى كان صوته يجلجل عليها، ويكون هذا المصـير فـى فـترة حكومـة الائـتلاف الثلاثى الثانى بين أنطونيوس وأوكتافيوس (Octavius)، وليبيدوس (Lepidus) فى عام ٤٣ ق.م.

الجدير بالذكر أن شيشرون كرسّ حياته كلها من أجل وطنه وتحمل الـنفى، ومصـادرة ممـتلكاته، وهدم بيته، وتشويه سمعته من أجل إنقاذ الجمهورية الرومانية المحتضرة. وبعث الحياة فيها من جديد. وكان يتباهى دائماً ويتفاخر بأنه أنقذ الوطن من مؤامرة كاتيلينا[١] ويستحق أن يحمل لقب "أبو الوطن" (pater patriae) بجدارة.

كانـت جميع أفكار شيشرون وتأملاته وآرائه السياسية مستمدة من الفلسـفة الإغريقية التى درسها، وتوغل فى دروبها، وشرب من منابعها، وبخاصـة فلسفة أفلاطون. إذ كانت جميع أفكاره وآراءه هى آراء وأفكار أفلاطونية، ولكن كان يوجد اختلاف جوهرى بينهما يتضح فى أن شيشرون لم يكن فيلسوفاً إغريقياً يعيش فى برج عال ومستغرق فى تفكيره وتأملاته، ويحلم بتطبيق أفكاره، بل كان رجلاً سياسياً حاول تطبيق أفكاره السياسية. وكانت فكرة الوفاق بين الطبقات (concordia ordinum)[٢] تمثل الركن

---

(١) د. محمد رضا قطب علام، الخطبة السياسية عند شيشرون فى ضوء خطبه الأربع "ضد كاتيلينا"، بحث بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٨.

(2) Strasburger, H., Concordia Ordinum. Eine Untersuchung zur Politik Ciceros, 7-8 ff.; Cic. In Cat. 4. 14-16, 19; Ad Att. 1. 14. 4, 16. 6, 17. 9-10.

الأساسى الأول لبرنامجه السياسى الذى أعلن عنه أثناء توليه القنصلية فى عـــام ٦٣ ق.م، وأطلـــق على الركن الثانى لبرنامجه السياسى اتفاق جميع الـــرجال الأخيار (consensus bonorum omnium)، وكان يهدف فى المقام الأول إلى اتحاد جميع المواطنين الموسرين سواء من طبقتى الفرسان أو مجلـــس السناتو لمواجهة أية نزعة أو موجة تجريبية أو همجية تصدر مـــن طبقة العامة التى كانت سهلة الإنقياد من القادة أو الساسة الطموحين أمثال: ماركوس كراسوس أو يوليوس قيصر وغيرهم. وكان الركن الثالث لـــبرنامجه السياسى هو القيادة السياسية الحكيمة المتمثلة فى سلطة مجلس الســـناتو (auctoritas)(١). لقد صور شيشرون مجلس السناتو بأنه الميناء والمـــلاذ (portus et refugium) لجمـــيع المواطنيـــن، كما أن ساحات القضاء هى الميناء والملاذ للمتهمين(٢).

مؤلفاته وأعماله:

يمكن تقسيم مؤلفات شيشرون وأعماله الأدبية التى وصلت إلينا إلى أربع مجموعات على النحو التالى:

---

(1) Heinze, R., Auctoritas, Hermes 60 (1925), p. 348; Cic. In Cat. 1. 3, 4, 30; II. 32; Idem, De Republ. 2. 27; Idem, De Leg. 2. 27.

(2) Cic. De Off. 2. 8. 26.

يعتـــبر مجـــاز ســـفينة الوطـــن أكـــثر مجازات السفينة انتشاراً فى الأدبين الإغريقى والـــرومانى، وفيه تمثل السفينة الوطن، ويمثل الربان السلطة الحاكمة، وركاب السفينة هـــم المواطـــنون، أمـــا الأمواج والعواصف فهى الصراعات السياسية والحروب التى تعصـــف بالوطن. انظر: د. على عبد التواب، هوراتيوس والسفينة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣، ص ص ٢٦٥- ٢٠٣.

١ - المؤلفات البلاغية (Rhetoricae Scriptae)

ألــف شيشــرون أعمــال أدبية متعددة فى الخطابة (Oratoriae) والــبلاغة (Rhetoricae) وقــدم فــيها نصــائح خطابية وبلاغية غالية، ونظــريات أدبية ونقدية[١]. ويجدر القول إن النقد الأدبى عند الرومان بدأ بشيشــرون، وتشهد بذلك مؤلفاته الخطابية والبلاغية المقتبسة عن النماذج الإغريقــية والــتى توضح قدرته الإبداعية وتفرده بسمات أسلوبية تميزه. فمثلاً، فى مستهل حياته فى حوالى عام ٨٤ ق.م عندما كان يتتلمذ على يد مولون (Molon)، وديودوتوس (Diodotus) كتب بحثاً فى الخطابة "عن الإبــداع" (De Inventione) ووصلنا منه كتابان فقط. وبعد ذلك انشغل شيشرون بحياته السياسية ومناصبه الحكومية التى تقلدها لمدة ثلاثين عاماً.

وفــى عــام ٥٥ ق.م عــاد مرة أخرى للكتابة فى الخطابة، وألف محاورة "عن الخطيب" (De Oratore)، وكان الحوار بين رجال السياسة الأثنيــن: كراســوس وأنطونيوس، وتتكون من ثلاث كتب، حيث يتحدث الكتاب الأول عن ثقافة الخطيب وتعليمه، ويتناول الثانى موضوع الخطبة وترتيــب أجــزائها، أمــا الثالث فهو يناقش فن الخطيب وموهبته، وكيفية عــرض الخطيــب لموضوع قضيته. ومن خلال هذا العمل قدم شيشرون أسس الفلسفة والبلاغة الإغريقية للقارئ الرومانى[٢].

فــى عــام ٤٦ ق. تقريباً ألف محاورته "بروتوس أو عن الخطباء البارزين" (Brutus sive De Claris Oratoribus)، التى تروى تاريخ

---

(1) Atkins, J. W. H., Literary Criticism In Antiquity, vol. II, pp. 20 ff.

(2) Fantham, E., The Roman World of Cicero's De Oratore, pp. 15, 53 ff.

الخطابـــة الرومانية فى صورة محاورة بالنمط الأفلاطونى، وكان الحوار بين المتحدث الرئيسى شيشرون وأصدقائه أتيكوس وبروتوس.

وتـــبدأ بمقدمـــة عن البلاغة الإغريقية وتنتهى بالمدح والثناء على الخطيـــب والمحـــامى الـــرومانى الشهير، هورتنسيوس (Hortensius)، وتتناول حوالى مائتين خطيباً من الخطباء الرومان البارزين.

وفـــى نفـــس العام ٤٦ ق.م تقريباً ألف شيشرون كتابه "الخطيب" (Orator) وأهـــداه إلى بروتوس (Ad Brutum)، والذى من خلاله يرسم شيشـــرون صـــورة للخطيـــب المثالى النموذجى، ويذكر الشروط الواجب توافـــرها فـــيه. كذلك يناقش أساليب النثر الثلاث التالية ووظائفها: البسيط (genus tenue)، والمتوســـط (genus medium)، والرصين (genus grande). كما يتحدث كذلك عن طبيعة وأسس الإيقاع الموسيقى فى النثر (numerosa oratio). وفـــى حوالى عام ٤٦ أو ٤٥ ق.م كتب شيشرون محاورته "التقاسيم الخطابية" (Partitiones Oratoriae)، وهى تحليل لفن الخطابة فى قالب تعليمى يتكون من مجموعة من الأسئلة والإجابات. وهى بذلك بعيدة كل البعد عن أن تكون تحليلاً للخطابة. وفى عام ٤٤ ق.م تقريباً ألـــف كـــتابه "الجـــدل" (Topica)، وأهداه إلى صديقه تريباتيوس (Ad Trebatium)، وهو ملخص لطرق وأساليب أرسطو (Aristoteles) فى التدلـــيل بأمـــثلة مستمدة من القانون الرومانى[1]. وفى نفس العام ٤٤ ق.م تقريـــباً كتـــب مؤلفـــه "أفضل أنواع الخطباء" (De Optimo Genere Oratorum). ويـــناقش فيه أساليب النثر اللاتينى المستخدمة فى الخطابة: الأسلوب الأتيكى (Atticismus) والأسلوب الآسيوى (Asianismus).

---

(1) Reinhardt, T., Cicero's Topica. Edited with an Introduction, Translation, and Commentary.

ترتكــز أصـــالة شيشرون وإبداعه على الجمع والنقد فهو يقبل أو يــرفض طــبقاً لحكمـــه ورأيه الشخصى (iudicio arbitrioque suo) ويتضح هذا عندما يقول إنه مثل الرسام زيوكسيس (Zeuxis) عندما أراد أن يؤلــف كــتاب عــن فــن الحديث لم يختار مثالاً واحداً ليطبقه فى كل مناقشاته، ولكنه جمع كل آراء الكتاب الآخرين عن الموضوع، واختار بعد ذلك أفضل الآراء من بينهم[1]. كذلك يذكر شيشرون عند تحليل نثره الذى كُتب باللغة الإغريقية فى وصف قنصليته:

"اســتعمل كــتابى جميع العطور التى فى حوانيت إيسوكراتيس، وصناديق الروائح التى يملكها أتباعه مثلما استخدم قبساً من ألوان أرسطو"[2].

ب- المؤلفات الفلسفية (Philosophiae Scriptae)

إن تأثير شيشرون ككاتب فلسفة فى الفكر والآداب الأوربية الحديثة عميق. وبالرغم من أن مؤلفاته الفلسفية مقتبسة عن الإغريقية، فإننا نستطيع أن نقــول إنـــه قـــدم أسس ومبادئ المدارس الفلسفية الإغريقية المختلفة: الرواقية، والإبيقورية، والأكاديمية فى ثوب جديد وبصياغة جديدة سواء من ناحية الأسلوب أو اللغة أو العرض، ولقد بقيت مؤلفاته الفلسفية حتى وقتنا هــذا كمصـــدر أساســـى أو ينـــبوع نغترف منه الفكر الإغريقى والفلسفة الإغريقية.

(1) Cic., De Invent. 2, 1.

(2) Cic. Ad Att. 2. 1: Meus autem liber totum Isocrati μυροθήκον, atque omnes eius discipulorum arculas ac non nihil etiam Aristotelia pigmenta consumpsit.

في عام ٥٤ ق.م تقريباً كتب شيشرون محاورته "عن الدولة" (De Republica)، ونشـرها فـي حوالى عام ٥١ ق.م، وتقع فى ستة كتب، وتـأتى فى صورة محاورة بالنمط الأفلاطونى ومطابقة للأصل الإغريقى "الدولـة" (Politea) لأفلاطون، حيث يتحاور سكيبيو (Scipio) وليليوس (Laelius) وآخريـن وهى تبحث فى أحسن دستور للدولة. وبدأ شيشرون فـى عـام ٥٢ ق.م تقريـباً فـى كتابه محاورته "عن القوانين" (De Legibus)، واستأنف كتابتها مرة أخرى فى حوالى عام ٤٦ ق.م، وتستند أفكارهـا الأساسـية إلى آراء الرواقيين عن القانون بأنه هبة إلاهية، وهى تتكون من ستة كتب. ولقد وصل إلينا منها ثلاثة كتب فقط، فالكتاب الأول يـناقش الحـق المستمد من الإله، ويتناول الكتاب الثانى القوانين الخاصة بالدولة والدين، أما الكتاب الثالث فهو يتحدث عن المحاكم القضائية.

وفـى عـام ٤٦ ق.م تقريـباً ألـف شيشرون كتاب المتناقضات (Paradoxa) وهو بحث لست من المتناقضات الأخلاقية الرواقية.

كتـب شيشـرون فـى عام ٤٥ ق.م مؤلفه "عن المواساة" (De Consolatione) بعـد وفـاة ابنـته توللـيا (Tullia)، وكذلـك مؤلفه "هورتنسـيوس" (Hortensius)، ولـم يصل إلينا منها سوى أجزاء قليلة. وكذلـك مؤلفه "الأكاديمية" (Academica) الذى لم يصل إلينا منه سوى الكتاب الثانى وعنوانه "لوكوللوس" (Lucullus).

ألف شيشرون فى حوالى عام ٤٥ ق.م محاورته "عن حدود الخير والشر" (De Finibus Bonorum et Malorum)[1] التى تقع فى خمس كتـب وهـى مُهداة إلى بروتوس حيث يتناول الكتابان الأول والثانى آراء

---

(1) Reynolds, L.D., De Finibus Bonorum et Malorum. Intro. 1.

الإبـــيقورية، ويناقش الكتابان الثالث والرابع المذهب الرواقى وتعاليمه، أما الكـــتاب الخامس فهو يقدم آراء الأكاديمية والمشائية. ويهاجم فيه شيشرون النظرية الإبيقورية القائمة على أساس المنفعة البحتة حيث إنه كان أكاديمياً أفلاطونـــياً أصيلاً. كذلك كتب شيشرون فى حوالى عامى ٤٥ - ٤٤ ق.م محاورتـــه "المحـــاورات التسكولانية" (Tusculanae Disputationes)، وترجع هذه التسمية إلى توسكولا (Tuscula)، وهى اسم الفيلا التى تم فيها الحـــوار بين المعلم والتلميذ. وتبحث هذه المحاورة فى الأسس التى تحقق الســـعادة، وهـــى تقـــع فى خمس كتب، حيث يتناول الكتاب الأول ازدراء الموت، ويتحدث الكتاب الثانى عن أسلوب تحمل الآلام، كما يناقش الكتاب الثالـــث أســـلوب تخفيف آلام النفس البشرية، ويتحدث الكتاب الرابع عن أحاســـيس ومشاعر النفس البشرية، أما الكتاب الخامس فهو يتناول الفضيلة التى تسبغ السعادة على النفس البشرية.

وفـــى عام ٤٤ ق.م كتب شيشرون مؤلفه تيمايوس (Timaeus)، وهـــو ترجمة لمحاورة من محاورات أفلاطون ويحمل نفس العنوان. وفى نفـــس العـــام ٤٤ ق.م ألـــف شيشرون محاورته "عن طبيعة الآلهة" (De Natura Deorum)، وتقع فى ثلاث كتب مُهداه إلى بروتوس.

حيث يعرض الكتاب الأول معارضة للمذهب الإبيقورى، ويتحدث الكتاب الثانى عن المذهب الإبيقورى وعلاقته بالآلهة، وعن العناية الإلهية التى تحمى الإنسان، أما الكتاب الثالث فهو يقدم معارضة المذهب الرواقى.

وفـــى نفـــس العـــام ٤٤ ق.م تقريباً ألف شيشرون محاورته "عن الشـــيخوخة" (De Senectute) حيـــث يـــزور ســـكيبيو وليليوس الرجل العجـــوز، كاتو الأكبر (Cato Maior) فى منزله، ويستمعان لحكمته وفى نفـــس العـــام ٤٤ ق.م تقريباً كتب شيشرون محاورته "عن العرافة" (De

Divinatone)، وتقع فى كتابين، وهى تتحدث عن وجود الآلهة وطبيعتها، وتــأخذ شكل محاورة أفلاطونية حيث يتحاور شيشرون وأخيه كوينتوس. وكذلــك فى نفس العام ٤٤ ق.م تقريباً ألف شيشرون محاورته "عن القدر" (De fato)، وفــيها يعارض شيشرون نظرية الرواقيين، وكذلك فى نفس العام ٤٤ ق.م كتب شيشرون محاورته "ليليوس عن الصداقة" (Laelius De Amicitia)، وهى تتحدث عن أسس الصداقة وواجبات الصديق تجاه الصديق.

وكذلك فى نفس العام ٤٤ ق.م تقريباً ألف شيشرون محاورته "عن الواجــبات" (De Officiis)[1]، وتقــع فى ثلاث كتب، وتأتى فى صورة محــاورة بالــنمط الأفلاطونــى حيــث يتحاور شيشرون وابنه ماركوس (Marucs). إذ يتــناول الكــتاب الأول أنــواع الواجبات بالنسبة للفضائل الأربــع الأساســية عــند أفلاطــون: العدالــة (aequitas)، الاعــتدال (temperantia)، الشجاعة (fortitudo)، والحكمة (prudentia).

ويتحدث الكتاب الثانى عن المنفعة فى الأعمال، أما الكتاب الثالث فهــو يــناقش الصراع بين الواجب والمنفعة. توضح هذه المحاورة بالذات تــأملات شيشرون الأخيرة فى الحياة السياسية والسلوك الإنسان الرومانى. فقــد كتــبها بعد اغتيال يوليوس قيصر مباشرة وكلفته حياته لأنه عبر عن رأيه السياسيى وأكد موافقته على هذا الاغتيال، هذا بالإضافة إلى أنه هاجم أنطونيوس وسياسته وطموحه فى خطبه المُسماة الفيليبيات (Philippicae) وعددهــا أربــع عشــرة خطــبة أطلق عليها المؤرخ الرومانى جيلليوس (Gellius) الأنطونينــيات. وبناء عليه وضع أنطونيوس اسم شيشرون فى

---

(1) Winterbottom,M., De Officiis, Introd. 11ff.

قائمة المحكوم عليهم بالموت، وأرسل من يتعقبه فى كل مكان ويقتله ويمثل بجسده بوحشية وفظاعة.

ج- الرسائل (Epistulae)

تمثل مراسلات شيشرون قيمة أدبية ومصدر تاريخى لا غنى عنه، لأنهـا تزودنا بمعلومات وتواريخ وأخبار ووقائع وأحداث تاريخية وآراء سياسية تغطى حقبة هامة فى تاريخ الجمهورية الرومانية من عام ٦٨ ق.م حـتى عـام ٤٣ ق.م.[١] وتظهر الرسائل اختلافاً كبيراً فى الأسلوب الذى يـتجه إلى لغة الحديث اليومية. وتوجد رسائل كثيرة من رسائله الموجهة إلـى أصـدقائه (Ad Familiares) تمـاثل خطبه فى أسلوبها الرصين (genus grande)[٢]. ولقـد جمع رسائل شيشرون معتوقه تيرو (Tiro) بمسـاعدة صديقه المخلص أتيكوس (Atticus). وتنقسم رسائل شيشرون التى وصلت إلينا إلى أربع مجموعات كالآتى:

١- الرسائل الموجهه إلى الأصدقاء (Epistulae Ad Familiares)

تحـتوى الرسـائل الموجهه إلى الأصدقاء على ستة عشر كتاباً، وتشمل الرسائل التى أرسلها شيشرون من عام ٦٢ ق.م حتى عام ٤٣ ق.م تقريـباً إلـى أصـدقائه ومعارفه وزوجته وإلى معتوقه تيرو، كذلك تشمل

---

(1) Tyrrell, L. C. Purser, The Correspondence of M. Tullius Cicero, 7 Bd, London, 1901-1933, Hutchinson, G.O., Cicero's Correspondence, A Literary Study, Clarendon, Oxford, 1998.

(2) Dräger, A., Historische Syntax, p. 20 ff; Nägelsbach, C. F., Lateinische Stilistik, 220 ff.

الرســـائل الـــتى أرسلها إليه أصدقائه مثل ليليوس (Laelius)، وبلانكوس (Plancus)، وفاتينيوس (Vatinius)، وبروتوس (Brutus)[١].

٢- الرسائل الموجهه إلى أتيكوس (Epistulae Ad Atticum)

تحتوى الرسائل الموجهه إلى أتيكوس على ستة عشر كتاباً، وتشمل الرســـائل الـــتى أرســـلها شيشـــرون إلى صديقه الحميم المخلص تيتوس بومبونـــيوس أتيكوس (T. Pomponius Atticus) وإلى بعض أصدقائه الآخرين، وهى تغطى الفترة من عام ٦٨ ق.م حتى عام ٤٣ ق.م[٢].

٣- الرسائل الموجهه إلى أخيه كوينتوس (Epistulae Ad Quintum Fratrem)

تحتوى الرسائل الموجهة إلى أخيه كوينتوس على ثلاثة كتب، وهى تغطـــى الفـــترة من عام ٦٠ ق.م حتى عام ٥٤ ق.م. كذلك تحتوى على "شـــرح صغير للدعاية الانتخابية" (Commentariolum Petitionis)، وهـــو عـــبارة عـــن كتيـــب صغير يشمل نصائح أرسلها كوينتوس، أخو شيشرون الأصغر إلى أخيه ماركوس شيشرون[٣].

---

(1) Watt, W.S., Epistulae. Vol. I. Ad Famibares.

(2) Ibid., Epistulae. Vol. II. Part I. Ad Atticum 1-8; Shackleton Bailey, D.R., Epistulae. Vol. II. Part II. Ad Atticum 9-16.

(3) Watt, W.S., Epistulae. Vol. III. Ad Quintum Fratrem,ad Brutum Fragmenta Epistularum.

٤- الرسائل الموجهه إلى بروتوس (Epistulae Ad Brutum)

تحتوى الرسائل الموجهه إلى بروتوس على كتابين[1].

د- الخطب (Orationes)

وصلت إلينا سبعة وخمسين خطبة من خطب شيشرون فى صورة كاملـــة مـــا بين خطب سياسية ومرافعات قضائية تعتبر النبراس أو المثل الذى يُحتذى به فى أساليب اللغة والبلاغة اللاتينية.

كانـــت خطـــب شيشـــرون ومرافعاته القضائية على مر العصور القديمـــة حـــتى وقتنا هذا موضوعاً لعناية علماء اللغة اللاتينية من مختلف أنحاء العالم، فقد تتباعت أنواع التآليف الكثيرة فى تفسيرها، وفى بلاغتها، وفـــى لغـــتها وحتى فى إعرابها. وتزودنا تلك الخطب السياسية التى كانت تُلقـــى سواء فى المجالس الشعبية أو فى المؤسسات السياسية بموضوعات تاريخية قيمة، وكذلك تمدنا الخطب الخاصة أو المرافعات التى أُلقيت أمام المحاكم بمعلومات قانونية وحضارية وأدبية، وبصور حية عديدة ومختلفة عـــن الحـــياة العامة والخاصة التى كان يحياها الشعب الرومانى فى نهاية عصر الجمهورية الرومانية.

كـــان شيشـــرون يحبذ استخدام الأسلوب الأتيكى فى خطبه، الذى امتاز بأنه أسلوب محافظ، وكان الخطيب الإغريقى ديموستنيس زعيماً لهذا الأســـلوب، وقد اتخذه شيشرون قدوة يحتذى به فى خطبه. ويتميز أسلوب خطـــب شيشـــرون فـــى مجلـــس السناتو والمحاكم بصفة عامة بالأسلوب الرصـــين (genus grande) والمحـــافظ، بينما يتميز أسلوب خطبه أمام الشعب باختلاف الأسلوب طبقاً للمواقف والموضوع والغرض.

---

(1) Ibid.

لعلنا نذكر الآن نموذج من أروع نماذج النثر اللاتينى، والذى ظل باقــياً خــالداً لعدة قرون طويلة وهو مرافعة شيشرون الجنائية الأولى "فى الدفــاع عــن سيكســتوس روسكيوس أمرينوس" (Pro Sex. Roscio Amerino) وكانت القضية الأولى التى ترافع فيها شيشرون فى عام ٨٠ ق.م، وكــان يــبلغ من العمر آنذاك سبعة وعشرين عاماً[١]. وكان يتفاخر دائماً بشجاعة لأنه تعهد بالدفاع عن سيكستوس روسكيوس الذى كان متهماً بقتل والده، وهاجم أهم شخصية من أعوان حزب الديكتاتور سلا (Sulla)، إذ كــان مبتغاه الحقيقى هو مهاجمة سلا نفسه[٢]. وكانت شجاعته وإقدامه ضــروريتان جداً لكسب هذه القضية، وكان تعهده بالدفاع عنها يعتبر من أكــبر المخاطر التى واجهته فى حياته، وقد تمسك شيشرون بقدر الإمكان بذكــر حقــيقة أنه محام مبتدئ وليس له اسم يُذكر بعد لكى يقلل من قدر الخطــر الــذى قــد يواجهه، وكان يشير دائماً إلى الديكتاتور سلا باحترام وحــذر، فقــد عزله عن أتباعه وألقى اللوم كله عليهم. كما ذكر أيضاً فى المرافعة أن حماس الشباب فقط هو الذى دفعه لمساعدة موكله.

يمكن تلخيص وقائع قضية روسكيوس أمرينوس على النحو التالى:

كان والد المتهم ويُدعى روسكيوس أمرينوس رجلاً ثرياً، ومواطناً بــارزاً يســتحوذ على ممتلكات تُقدر بثلاثة عشر إقطاعية فى بلدة أميريا (Ameri a)، وكــان يؤيــد طــبقة الأشــراف (Optimates) المواليــة للديكــتاتور ســلا، وبذلــك اســتطاع الإفــلات مــن قوائم المصادرات (proscriptiones) التى فرضها سلا على أعدائه، والمناهضين له سواء

(1) Gellius, A., Noctes Atticae 15. 28; Plutarch. Cic. 10.

(2) Cic., De Off. 2. 14. 51.

مـــن أعضـــاء مجلـــس السناتو أو أعضاء طبقة الفرسان. أقام روسكيوس أمريـــنوس فـــى رومـــا بصفة دائمة، وكانت تربطه علاقات صداقة و ود بأعـــرق العـــائلات الرومانية مثل عائلة ميتيللوس (Metellus)، وسكيبيو (Scipio).

وفـــى ذات لـــيلة عندما كان عائداً من مأدبة عشاء كان مدعواً إليها هُوجم وأُغتـــيل بالقـــرب مـــن حمامات بالاكينا (Pallacina)، وكان ابنه المتهم موجـــوداً فـــى ذلك الوقت فى أميريا، وكان مشغولاً بالإشراف على شئون الأسرة، وإدارة ممتلكات والده.

كان قد نشب عداء طويل وقديم بين القتيل واثنين من أميريا، هما: تيـــتوس روسكيوس كابيتو (T. Roscius Capito)، وتيتوس روسكيوس ماجـــنوس (T. Roscius Magnus)، وكـــان ماجنوس موجوداً فى روما عـــندما أُغتـــيل روســـكيوس أمرينوس، وأرسل فى الحال شخصاً يُدعى ماللـــيوس جلاوكيا (Mallius Glaucia) إلى أميريا ليخبر أخيه ماجنوس بأمـــر الاغتـــيال، ولـــم يذهب مالليوس جلاوكيا إلى ابن القتيل سيكستوس روسكيوس ليخبره بمقتل والده. وفى خلال أربعة أيام من الاغتيال وصلت أخـــبار هـــذه الحادثـــة المروعة إلى خريسوجونوس (Chrysogonus)، معـــتوق الديكـــتاتور سلا، ومن أفضل أتباعه وله حظوة عنده، ويعتبر من أقـــوى الرجال فى الدولة ــ وكان موجوداً فى معسكر سلا فى فولاتيراى (Volaterrae) عـــندما وصلت هذه الأخبار إليه. وعندما أحاطه الأخوان روســـكيوس علمـــاً بـــأن القتـــيل روسكيوس قد ترك وراءه ثروة ضخمة وممتلكات هائلة لابنه، وضع خريسوجونوس خطة مع الأخوين روسكيوس للاســـتيلاء علـــى تلـــك الممـــتلكات والـــتخلص مـــن ابن القتيل، فأدرج خريســـوجونوس اســـم القتيل فى قوائم مصادرات سلا من أجل مصادرة

ممـــتلكاته، وبذلـــك تصـــبح حقاً لخزانة الدولة بالرغم من أن ميعاد قوائم المصـــادرات قـــد انـــتهى العمـــل به وأُقفل منذ غرة يونيو عام ٨١ ق.م، وبالرغم من أن صلة القتيل روسكيوس بطبقة الأشراف كانت معروفة لدى الجميع.

وفـــى مـــزاد علـــنى (auctio) تابع للدولة بيعت ممتلكات القتيل روسكيوس أمرينوس، ورسّا المزاد على خريسوجونوس، حيث اشترى تلك الممـــتلكات وهـــى ثلاثـــة عشـــر إقطاعـــية بمبلغ زهيد وتافه جداً، ألفان سيســـتركيس، ووزعها بينه وبين شركائه: كان نصيب تيتوس روسكيوس كابيـــتو هو ثلاث إقطاعيات، وحصل خريسوجونوس على العشرة الباقية الأخـــرى، وعيـــن تيتوس روسكيوس ماجنوس وكيلاً له، ومديراً لأعماله، ومشـــرفاً علـــى إقطاعياته العشرة فى أميريا. وذهب ماجنوس إلى أميريا واستولى على ممتلكات القتيل كما استولى على منزله بالقوة الغشوم، وطرد ابنه شر طردة.

استشـــاط ســـكان أميريا جميعهم غيظاً وغضباً عندما علموا بهذا الأمر، وأصدر مجلس مدينة أميريا قراره بأن يذهب وفد مكون من عشرة رجـــال (decemprimi) مـــن أبـــرز أعضائه، وكانوا يُعرفون باسم الـــ "ديكوريـــون" (decuriones) لمقابلـــة ســـلا فى معسكره فى فولاتيرى، ويوضـــحون له شخصـــية القتيل البارزة، وكيف كان يساعد بقوة وحماس حـــزب الأشـــراف، ويحثونه لحماية اسم القتيل وسمعته بأن يبعد اسمه من قوائـــم المصـــادرات، ويعـــيد لابـــنه ميراثه الشرعى، ومما يدعو للدهشة والتعجـــب أن تيـــتوس روســـكيوس كابيتو كان واحداً من هؤلاء الرجال العشرة. وبطبيعة الحال استطاع أن يفسد خططهم كلها، فعندما وصل الوفد إلـــى معســـكر ســـلا، كان عليه أن يمنعهم من الوصول إلى سلا ومقابلته

شخصياً، وإخباره بحقيقة الأمر، وأقنع خريسوجونوس بالخسارة التى سوف تلحــق به إذا تم إلغاء بيع ممتلكات القتيل، واستطاع فى الوقت نفسه إقناع الوفد بأن خريسوجونوس الذى يستحوذ على أقوى نفوذ فى الدولة والمقرب الأول إلــى سلا أعطى وعداً بأنه يستبعد اسم القتيل من قائمة المصادرات وأنه سوف يساعد ابن القتيل لاستعادة ميراثه. واضطر الوفد للرجوع إلى أمــيريا بدون أى نتيجة تُذكر بعد أن فشل فى مقابلة سلا شخصياً، وأدرك المــتآمرون الــثلاثة أنهــم لن يهنأوا بممتلكات روسكيوس أمرينوس التى اســتولوا عليها بالتدليس والتزوير طالما أن ابنه الوريث الشرعى لا يزال علــى قيد الحياة. لذلك حاولوا اغتياله مرات عديدة، ولكنهم أخفقوا فى كل محاولة. واضطر المتهم سيكستوس روسكيوس بناء على نصيحة أصدقائه ومعارفه للفرار واللجوء إلى روما، وهناك وجد الحفاوة والتكريم والترحيب والحماية فى منزل السيدة كايكيليا (Caecilia)، صديقه والده.

وأخــيراً دبــر المتآمرون الثلاثة خطة جهنمية للتخلص من المتهم نهائياً وهى اتهامه بجريمة قتل الأب، عندما عرفوا أنه قد سبق أن نشأ سوء تفــاهم بســيط وتباعد بين الأب وابنه يرجع إلى أن الأب روسكيوس كان يخــالط أرقــى العائلات الارستقراطية المتحضرة فى روما، وأصبح غير راضياً عن سذاجة ابنه سيكستوس، ولا يعجبه سلوكه الريفى بتاتاً.

واخــتار المتآمرون شخصاً يُدعى جايوس أروكيوس (Gaius Erucius) كمــدع (accusator) ضــد سيكستوس روسيكيوس، وكان أروكيوس هذا صــاحب خبرة طويلة فى مجال الإدعاء، وتمتع بسمعة رديئة للغاية، ولم يكن يعرف القتيل أو شيئاً ما عن شخصيته، وكذلك لم يكن يعرف شيئاً ما عن ابنه.

جلب المتآمرون بعض الشهود إلى المحكمة ليشهدوا زُوّراً ضد سيكستوس روسكيوس لإقامة الدليل ضده. علاوة على ذلك لم يسمح المتآمرون بتسليم عبيد القتيل لاستجوابهم حيث إن العبيد انتقلوا إلى خريسوجونوس وأصبحوا فى حوزته. ويجدر التنويه بأن هؤلاء العبيد رافقوا من قبل سيدهم القتيل إلى روما، وكانوا متواجدين معه طوال فترة إقامته بها.وظن المدّعون أن الخوف من الديكتاتور سلا سيمنع أى شخص من اتهام أحد أتباعه، وأنه لن يتجرأ اى شخص أن يتولى الدفاع والمرافعة عن سيكستوس روسكيوس أو يتفوه بكلمة واحدة عن موضوع بيع ممتلكات القتيل. وبالفعل كان الخوف مسيطراً على عدد كبير من أعضاء مجلس السناتو، ولم يتجرأوا على مواجهة خريسوجونوس، أقوى أتباع سلا، ومن أكثر المفضلين والمقربين لديه، وبالرغم من ذلك كان بعضهم يظهر الود ويُبدى التعاطف معه فى قضيته العادلة إيماناً منهم ببراءته، ومنهم النبيل الشاب، ماركوس فاليريوس ميسالا (M. Valerius Messalla)، الذى حثّ المحامى الشاب شيشرون، وأقنعه بأن يتولى الدفاع عن قضية سيكستوس روسكيوس.

تضمنت مرافعة شيشرون "فى الدفاع عن روسكيوس أمرينوس" عقوبة جريمة قتل الأب، وهى أن مرتكبى هذه الجريمة يُقيدون داخل حقيبة وهم لا يزالون على قيد الحياة، ويُلقى بهم فى البحر أو النهر، وهكذا يُحرمون من عناصر الطبيعة الأربعة: الهواء والشمس والماء والأرض. ينقد شيشرون فى كتابه "الخطيب" (Orator) [1] أسلوبه الخطابى وإطنابه فى فترة شبابه، ومع ذلك يذكر كم كان الإعجاب عظيماً بالتركيبات اللغوية

---

(1) Cic. Orat. 107.

العنـــيفة التى استخدمها للتأثير على مشاعر المستمعين إليه عندما تكلم عن عقوبـــة قتل الآباء فى أثناء مرافعته، وأنه بدأ يلاحظ أنها قد أصبحت أقل عـــنفاً وحدة بعد مضى الوقت، ويقتبس شيشرون مثالاً على ذلك من الفقرة الثانية والسبعين من مرافعته "فى الدفاع عن روسكيوس أمرينوس":

quid enim tam commune quam spiritus vivis, terra mortuis, mare fluctuantibus, litus eiectus? ita vivunt, dum possunt, ut ducere animam de caelo non queant; ita moriuntur, ut eorum ossa terra non tangat; ita iactantur fluctibus, ut saxa quidem mortui conquiescant.

"مـــا هو الشئ العادى مثل التنفس للأحياء، ومثل الأرض للموتى، ومـــثل الـــبحر لمـــن قذفت بهم الأمواج، ومثل شاطئ البحر لمن ألقى بهم الـــبحر. وهم يعيشون هكذا ما أمكنهم لدرجة أنهم لا يغتسلون أبداً بالماء. وأخيراً يُلقى بهم إلى الشاطئ هكذا لدرجة أنهم لا يستريحون على الصخور حتى بعد موتهم".

تعتبر جريمة قتل الأب (parricidum) من أبشع الجرائم وعقوبتها مـــن أقسى العقوبات فى القانون الرومانى. وهذا يدعونا بطبيعة الحال إلى الحديـــث عـــن عقوبـــة جريمة قتل الآباء عند الإغريق والرومان. إذ كان الإغـــريق والرومان يعتقدون قديماً فى قوانين العدالة الإلهية، ويتصورون أن جوبيتر (Jupiter)، كبير الآلهة، يدير شئون العدالة والقدر فى الكون، ويرســـل آلهـــات الغضـــب والانتقام وراء الآثمين والمجرمين حيث كانت تتعقبهم فى كل زمان ومكان، وتجعل حياتهم شقاء وعذاب دائم حتى يصلوا إلى مرحلة الهوس والجنون.

كذلـــك تضـــمن قـــانون العقوبات الرومانى القديم عقوبات بشعة ومخـــتلفة وأنواع متعددة للتعذيب الجسدى مثل بتر الأعضاء وغيرها من

الاختراعات الشاذة التى برع فيها الرومان مثل إلقاء قاتل أبيه فى البحر أو النهر وهو مقيد ومربوط ومصحوب لمصيره مع كلب وديك وأفعى وقرد داخل كيس. وكان الرومان يعتقدون أنه حتى لو تمكن من الإفلات من عقوبة البشر، فإن الآلهة سوف تنزل به العقاب المناسب بأسلوبها فى الزمان والمكان الذى تحدده.

يذكر موديستينوس (Modestinus) فى كتابه "ملخص القانون" (Digest)[١] أنه طبقاً لعادة الأسلاف كان قاتل الأب (parricida) يُعذب بعصى لونها أحمر قان مثل لون الدم، ويُربط وهو حى داخل كيس من الجلد ومعه كلب وديك وأفعى وقرد. ثم يُلقى بالكيس فى أعماق البحر أو النهر بغرض حرمانه من التمتع بعناصر الحياة الأساسية الأربع: الهواء والشمس والماء والأرض.

يوضح جستنيان (Justinian)[٢] فى كتابه "المبادئ القانونية" (Institutiones) أن الغرض من ربط قاتل الأب داخل كيس والإلقاء به فى أعماق البحر أو النهر هو حرمانه من التمتع بعناصر الحياة الأساسية الأربع: الهواء والشمس والماء والأرض. ويعلق لاندجراف (Landgraf)[٣] على تلك العقوبة بأن الكلب والديك كانا فى الأزمنة الغابرة من الحيوانات المقدسة، فالكلب حامى النارو المنزل، والديك رسول الصباح ورمز الضوء والشمس، لذلك عندما يُلقى الأب فى البحر، فإن هذا العنصر يطهره من جريمته، وبما إن الكلب والديك كانا رمزا للخير وأعداء للشر

---

(1) Modestinus, Digest. 48- 9.9.

(2) Justinian. Institutiones 4. 18. 6.

(3) Landgraf, G., Kommentar zu Ciceros Rede Pro Sex. Roscio Amerino, 14.

المتمثل فى القرد والأفعى، فإن اتحاد الزوجين داخل الكيس يمثل الصراع بين الخير والشر.

يذكـــر شيشرون فى الفقرة السادسة والستين من المرافعة شخصين قـــتلا أمهما انتقاماً لمقتل والدهما، هما: أوريستيس (Orestes) وألكمايون (Alcmaeon). إذ قـــتل أوريســـتيس أمه كليتيمنسترا (Clytemnestra) بدافع من الانتقام لأنها قتلت والده أجاممنون (Agamemnon) ـ أحد قادة الإغـــريق الذيـــن ذهـــبوا لمحاربة طروادة (Troia) ـ بمساعد عشيقها أيجيســـتيوس (Aegistheus) وذلـــك لتنتقم لابنتها إيفجينيا (Iphigenia) التى ذبحها أجاممنون وقدمها قرباناً للآلهة، ولكى تخفى كذلك جريمة الزنا الـــتى ارتكبتها، وقبل أن يقتل أوريستيس والدته كان قد أجهز على عشيقها أيجيســـتيوس. وهكـــذا أصـــبح أوريســـتيس مـــتهماً بجـــريمة قـــتل الأم (matricidum). وقد اقتفت أثره آلهات الغضب والانتقام، ولاحقته فى كل مكـــان يذهـــب إليه، هذا بالإضافة إلى أن روح والدته كانت تطارده أينما يذهب. كذلك قتل ألكمايون (Alcmaeon)، ابن العراف المشهور بأرجوس (Argos) فـــى البلوبونـــيز، والدته إريفيلى (Eriphyle) بناء على رغبة والـــده، وتلبـــية للنبوءة لأنها خانت والده عند بولينيكيس (Polynices) من أجـــل قـــلادة ذهبية، وقد طاردته آلهات الغضب والانتقام إلى أن أدى به الحال إلى الجنون والهوس.

يقول شيشرون:

Videtisne, quos nobis poetae tradiderunt patris ulciscendi causa supplicium de matre sumpsisse, cum praesertim deorum immortalium iussis atque oraculis id fecisse dicantur, tamen ut eos agitent furiae neque consistere umquam patiantur, quod ne pii quidem sine scelere esse potuerunt?

"هــل تعــرفون الذين ذكرهم لنا الشعراء بأنهم عاقبوا أمهم انتقاماً لأبــيهم، بالرغم من أنه يقال إنهم فعلوا ذلك بناء على أوامر ونبوءات من الآلهة الخالدة، إلا أنكم تعرفون أن آلهة الغضب والانتقام جعلتهم يهتاجون، ولم تنعم عليهم بالراحة لأنهم لم يستطيعوا أن يكونوا أبراراً لوالديهم بدون ارتكاب الجريمة".

تصــور الإغــريق والرومان أن دم الأب والأم يستحوذ على قوة إلهــية عظيمة، وأن كل قطرة من هذا الدم يتخيلها الإنسان لأنها تسرى فى عقله وقلبه ووجدانه، لذلك تسيطر الأفكار الشريرة ووخزات الضمير على قــاتل الأب، ولا يســتطيع أن يهنأ بلحظة سلام وسكينة، ولا يستطيع حتى التنفس بدون أن يشعر بالخوف والفزع.

ويصور شيشرون ذلك فى الفقرة السادسة والستين من المرافعة قائلاً:

Magnam vim, magnam necessitatem, magnam possidet religionem paternus maternusque sanguis; ex quo si qua macula concepta est, non modo elui non potest, verum usque eo permanat ad animum, ut summus furor atque amentia consequatur.

"يســتحوذ دم الأب والأم على قوة عظيمة، وإلزام عظيم وقداسة، وكــل بقعة من هذا الدم يتصورها الإنسان، ولا يمكن إزالتها، بل إنها تمتد حتى القلب، ويتبع ذلك أقصى هوس عقلى وجنون".

يذكــر باوسانياس (Pausanias)[١] أن الشاعر الملحمى الإغريقى هسيودوس (Hesiodos) أطلق على آلهات الغضب والانتقام اسم إرينوس (Ἐρινύς) وأن الأثينيين أطلقوا عليهم اسم إيومنيديس (Εὐμενίδες). كما

(1) Pausanias I. 28. 6; Aeschyl. Eum. 334-340.

يذكـــر أيضـــاً أن الكاتــب المســرحى التراجــيدى الإغريقى إيسخيلوس (Aeschylus) صـــور آلهـــات الغضـــب والانتقام فى مسرحيته "آلهات الغضـــب" (Εὐμενίδες) علـــى هيئة ثعابين ذات شعر فى رأسها، وذات مـــنظر مرعـــب ومتعطش للدماء، وكان المشاهدين من الصبيان والنساء يُغمى عليهم عند رؤيتهن على خشبة المسرح بهذه الهيئة.

يصور شيشرون فى الفقرة السابعة والستين من المرافعة ــ منظر آلهات الغضب والانتقام الذى يبعث على الخوف، ويثير الرعب والفزع فى قلوب المجرمين، ويذكر أنهن يظهرن فى الظلام الدامس، ويحملن المشاعل المـــتوهجة أثـــناء مطاردتهـــن القـــتلة فى كل مكان يذهبون إليه من أجل القصـــاص العادل للآباء من الأبناء الملطخين بدمائهم، وأنها تلازم مقترف هـــذه الجريمة النكراء الشنعاء نهاراً وليلاً وحتى فى نومه وتعذبه وترعبه وتقوده إلى الجنون المطلق:

Nolite enim putare, quem ad modum in fabulis saepenumero videtis, eos, qui aliquid impie scelerateque commiserunt, agitari et perterreri Furiarum taedis ardentibus. Sua quemque fraus et suus terror maxime vexat, suum quemque scelus agitat amentiaque adficit, suae malae cogitationes conscientiaeque animi terrent; hae sunt impiis assiduae domesticaeque Furiae, quae dies noctesque parentium poenas a consceleratissimis filiis repentant.

"يجـــب أن تفكـــروا كمـــا تقرأون دائماً فى الروايات كيف أثارت المشـــاعل المتوهجة لآلهة الغضب والانتقام وأرعبت هؤلاء الذين ارتكبوا فعلـــة شـــنيعة وإجرامية. إن غلطة ورعب كل واحد منهم هى التى تعذبه كثـــيراً. إن جـــريمة كل واحد منهم هى التى تثيره وتقوده إلى الجنون. إن

الأفكار الشريرة ووخزات ضمير كل واحد منهم هى التى ترعبه. إن آلهة الغضب والانتقام تلازم دائماً الأشرار وتسعى ليلاً ونهاراً من أجل القصاص للآباء من الأبناء الملطخين بالجريمة".

يلمح شيشرون فى الفقرة المائة إلى أن تيتوس روسكيوس كابيتو ألقى بروسكيوس أمرينوس من فوق الكوبرى فى نهر التيبر للتخلص منه نهائياً ولم يكن قد بلغ بعد الستين عاماً وذلك من خلال التورية (ambiguum) عندما يشير متهكماً إلى حياة تيتوس روسكيوس كابيتو الإجرامية السابقة وأن روما أصبحت ميداناً جديداً إجرامه بعد أن كانت أميريا (Ameria) مسرحاً لعملياته الإجرامية، وتعتمد فكاهة شيشرون على المثل القديم أو العادة الرومانية القديمة وهى الإلقاء بشخص من فوق الكوبرى عندما يبلغ الستين عاماً[1]، ويعتبر التعبير "فى نهر التيبر" ضرورياً لتكملة المعنى المقصود والمراد، فبدونه لا يستطيع المستمع فهم الفكاهة أو الدعابة الصادرة من شيشرون: كذلك يستند تهكم شيشرون من تيتوس كابيتو إلى التعبير "من الكوبرى" (de ponte) المصحوب بالفعل "يلقى أو يدفع بشخص" (deiecerit) الذى يتضمن تورية ـ يعنى إما إلقاء

---

(1) Otto, A., Die Sprichwörter und Sprichwortlichen Redensarten der Römer, 9.

يشير شيشرون إلى العادة الرومانية القديمة التى أصبحت بمرور الزمن مثلاً شائعاً بين الرومان وهى الإلقاء بالعجائز الذين بلغوا سن الستين من فوق كوبرى سولبيكيوس (Sulpicius) بغرض التخلص من عدد السكان الزائد، أو بغرض تقديمهم قرباناً للآلهة عندما احتل الغال (Galli) مدينة روما حوالى عام ٣٩٠ ق.م لمدة سبعة شهور. يذكر الشاعر الرومانى أوفيديوس (Ovidius) (حوالى ٤٣ ق.م – ١٧ م) أن الشباب الرومان كانوا يدفعون بالعجائز من فوق الكوبرى (pons) المؤدى إلى سور الانتخابات (saepta) بهدف التحكم فى الانتخابات، انظر: Ovid. Fasti., 5. 634

شـــخص من الكوبرى فى النهر، أو دفع بشخص من الكوبرى المؤدى إلى السـد أو الحاجـز (saepta) الـذى يُدلـى فيه المواطنون بأصواتهم فى الانتخابات:

habeo etiam dicere, quem contra morem maiorum minorem annis sexaginta de ponte in Tiberim deiecerit.

"أنا كذلك أستطيع أن أذكر الشخص الذى ألقى به من فوق الكوبرى فى نهر التيبر طبقاً لعادة الأسلاف بالرغم من أنه كان أقل من ستين عاماً".

يجدر بنا أن نسوق نموذجاً آخر من خطب شيشرون الأربع ذائعة الصـيت "ضد كاتيلينا" (In Catilinam)، وهو الخطبتين الأولى والثانية "ضـد كاتيلينا": الأولى التى أُلقيت فى ٨ نوفمبر عام ٦٣ ق.م فى مجلس السـناتو، والثانـية التى أُلقيت فى اليوم التالى فى ٩ نوفمبر ٦٣ ق.م أمام الشـعب ــ لتميـيز الاختلاف بينهما من ناحية الأسلوب، واللغة، وعرض الموضوع.

يتمـيز أسـلوب خطـب شيشرون فى مجلس السناتو بصفة عامة بالـرقى والمحافظة، كما يتميز أسلوب خطبه أمام الشعب بالتنوع والتميز طـبقاً للمواقـف والموضوع والغرض. فعلى سبيل المثال، يتميز أسلوب خطبـته الثانية "ضد كاتيلينا" التى أُلقيت أمام الشعب بالسمو والرقى، بينما يتمـيز أسـلوب خطبته الثالثة "ضد كاتيلينا" التى أُلقيت كذلك أمام الشعب بالبساطة.

تتصف لغة خطب شيشرون السياسية الأربع "ضد كاتيلينا" بكلماتها البسـيطة والسـهلة والمتناسقة، وجملها المركبة الطويلة التى تحتوى على جمـل قصـيرة كاملـة المعـنى (cola)، وتعبيراتها القصيرة الواضحة (commata)، وصورها الخيالية الجذابة، واستعاراتها الرائعة.

كمـــا تحـــتوى تلـــك الخطـــب الأربـــع كذلك على جميع الصور والأغـــراض البلاغـــية (الوســـائل الريطوريقية) التى تعتبر بمثابة أسلحة خطيرة للخطيب شيشرون لمهاجمة خصمه السياسى كاتيلينا والقضاء عليه.

تخـــتلف الخطبة الأولى عن الثانية من ناحية عدد وكم الاستعارات والمحسنات والصور البلاغية التى تخدم فى المقام الأول عرض الموضوع كالآتى:

١- يـــزداد عـــدد الاســـتعارات المحصـــورة فى الخطبة الأولى (تقريباً معظم الفقرات ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١ ، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣) اكـــثر من عددها فى الخطبة الثانية (الفقرات ٢، ٧، ١١، ٢٠، ٢٤، ٢٨).

٢- يـــزداد عـــدد المحســـنات مـــثل التشخيص أو التمثيل (prosopopoia)، والمـــبالغة (hyperbolae) وليتوتـــيس (litotes)، وإيوفيميســـوس (eupemismus)، وأوكســـيمورون (Oxymoron)، وهنديادويـــن (hendiadoin) فـــى الخطبة الأولى (الفقرات المحصورة ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٤، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣) أكـــثر من عددها فى الخطبة الثانية (الفقرات المحصورة ٢، ٢٠، ٢٤، ٢٩).

٣- يـــزداد عـــدد الصـــور البلاغـــية مثل السجع (alliteration)، والجناس (homoeoteleuton)، و(anaphora)، و(emphasis)، (geminatio)، (chiasmus)، (hyperbaton)،(pleonasmus)، (anacoluthon)، (praeteritio)، (zeugma)، (gradatio)، (polyptoton)، (adnominatio)، (tricolon)، (disiunctio)، (distributio)، (descriptio)، (rhetorica quaestio) فى الخطبة الأولى (تقريباً معظم الفقرات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨،

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١) أكثر من عددها فى الخطبة الثانية (الفقرات ١، ٣، ٧، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٥، ٢٩).

٤- يزداد عدد الأسلوب الريطوريقى المميز وهو التهكم أو الاستهزاء (ironia) فى الخطبة الأولى (الفقرات المحصورة ٢، ٥، ١٣، ١٩، ٢٣) أكثر من الخطبة الثانية (الفقرات المحصورة ١٤، ٢٣، ٢٤).

مما سبق نرى أن الخطبة الأولى أعدت ونُظمت بأسلوب بليغ، ومنمق، وراق لكى تتناسب مع ذوق فئة معينة وهى فئة المثقفين والمتعلمين المتمثلة فى أعضاء مجلس السناتو.

يبرز الاختلاف فى الخطبتين الأولى والثانية واضحاً من ناحية عرض شيشرون لموضوع قضيته الأساسى ــ وهو توضيح صورة كاتيلينا وشخصيته، ومدى الأخطار التى ستلحق بالدولة ونظامها من وراء مؤامرته. كما يبين عرض شيشرون كذلك كيفية تأثيره فى أعضاء مجلس السناتو والشعب، ويعتمد ذلك العرض على النقاط الآتية:

١- يستشهد شيشرون بالمبادئ الفلسفية فى خطبته الأولى ولا يذكرها فى الثانية، ففى الفقرة الخامسة والعشرين من الخطبة الأولى يذكر شيشرون الفضائل الأربع لأفلاطون والرواقيين وهى العدالة، والاعتدال، والشجاعة، والحكمة فى مواجهة رذائل وشرور كاتيلينا وأعوانه وهى الظلم، والإسراف، والجبن، والتهور. وجدير بالذكر أن الفلسفة الرواقية كانت تخاطب الساسة والمثقفين، وتهتم بالدولة والنظم فى المقام الأول.

٢- يستشهد شيشرون بالديانة، ويشير فى الخطبة الأولى مرة واحدة إلى الإله جوبيتر، رب الأرباب، ونبؤاته، ومعابده (الفقرة الثالثة والثلاثين)، بينما يشير عدة مرات فى خطبته الثانية إلى الإله جوبيتر وبقية الآلهة الخالدة، ونبؤاتها، ومعابدها، والعالم السفلى (الفقرات ٧، ١٢، ١٥، ١٩، ٢٠، ٢٥،

٢٩). توضح الفقرات المتعددة سالفة الذكر فى الخطبة الثانية التى ذكرت الإلـــه جوبيتر والآلهة الخالدة إلخ.. مدى استغلال شيشرون لتأثير الديانة العمـــيق فـــى الشعب الرومانى، وكيفية توظيفه لهذا التأثير لإثارة الشعب الرومانى ضد كاتيلينا.

٣- يستشهد شيشرون بالتاريخ الرومانى، وتاريخ الأمم الأجنبية، سواء تاريخ القـــادة المشـــاهير وإنجازاتهم البارزة أو سنن الأولين فى خطبته الأولى (الفقـــرات ٣، ٤، ١٢، ٢٨، ٢٩)، بينما يشير إلى التاريخ مرتين فقط فى خطبته الثانية (الفقرات ٣، ٢٧).

تبيـــن الفقـــرات العديـــدة فى الخطبة الأولى التى أشارت إلى التاريخ الرومانى والذى كان معروفاً لدى الرومان بمصطلح (res gestae) بمعنى إنجـــازات أو أعمـــال القادة والزعماء المشاهير، وكان معظمهم من رجال طـــبقة الأشـــراف ومجلس السناتو. وقد أوضح شيشرون أن هؤلاء القادة البارزيـــن لم يتهاونوا فى ردع الثائرين والخارجين على القانون من أمثال كاتيلينا.

٤- يستشـــهد شيشـــرون بالقوانيـــن والقـــرارات الرومانية فى خطبته الأولى (الفقرتيـــن ٤، ٢٨)، بيـــنما يشـــير إلـــيها مـــرة واحدة فى خطبته الثانية (الفقرة ٥).

تبين الفقرتين (٤، ٢٨) من الخطبة الأولى قرارات مجلس السناتو وكذلك القوانين التى صدرت لحماية الدولة ومعاقبة المواطنين الرومان.

ORATIO IN CATI LINAM PRIMA IN SENATU HABITA

1 I. Quo usque tandem abutere, Catilina, patientia nostra? quam diu etiam furor iste tuus nos eludet? quem ad finem esse effrenata iactabit audacia? Nihilne te nocturnum praesidium Palati, nihil urbis vigiliae, nihil timor populi, nihil concursus bonorum omnium, nihil hic munitissimus habendi senatus locus, nihil horum ora voltusque moverunt? Patere tua consilia non sentis, constrictam iam horum omnium scientia teneri coniurationem tuam non vides? Quid proxima, quid superiore nocte egeris, ubi fueris, quos convocaveris, quid consilii ceperis, quem nostrum ignorare arbitaris?

2 O tempora, o mores ! Senatus haec intellegit, consul videt; hic tamen vivit. Vivit? Immo vero etiam in senatum venit, fit publici consilii particeps, notat et designat oculis ad caedem unum quemque nostrum. Nos autem fortes viri satis facere rei publicae videmur, si istius furorem ac tela vitemus. Ad mortem te, Catilina, duci issu consulis iam pridem oprtebat, in te conferri pestem, quam tu in nos machinaris.

3 An vero vir amplissimus, P. Scipio, pontifex maximus, Ti. Gracchum mediocriter labefactantem statum rei publicae privatus interfecit; Catilinam orbem terrae caede atque incendiis vastare cupientem nos consules perferemus? Nam illa nimis antiqua praetereo, quod C. Servilius Ahala Sp. Maelium novis rebus studentem manu sua occidit. Fuit, fuit ista quondam in hac re publica virtus, ut viri fortes acrioribus suppliciis civem perniciosum quam acerbissimum hostem coërcerent. Habemus senatus consultum in te, Catilina, vehemens et grave non deest rei

publicae consilium neque auctoritas huius ordinis; nos, nos, dico aperte, consules desumus.

II. Decrevit quondam senatus, ut L. Opimius consul videret, ne quid res publica detrimenti caperet; nox nulla intercessit; interfectus est propter quasdam seditionum suspiciones C. Gracchus, clasissimo patre, avo, maioribus, occisus est cum liberis M. Fulvius consularis. Simili senatus consulto C. Mario et L. Valerio consulibus est permissa res publica; num unum diem postea L. Saturninum tribunum pl. et C. Servilium praetorem mors ac rei publicae poena remorata est? At [vero] nos vicesimum iam diem patimur hebescere aciem horum auctoritatis. Habemus enium huiusce modi senatus consultum, verum inclusum in tabulis tamquam in vagina reconditum, quo ex senatus consulto confestim te interfectum esse, Catilina, convenit. Vivis, et vivis non ad deponendam, sed ad confirmandam audaciam. Cupio, patres conscripti, me esse clementem, cupio in tantis rei publicae periculis me non dissolutum videri, sed iam me ipse inertiae nequitiaeque condemno.

5 Castra sunt in Italia contra populum Romanum in Etruriae faucibus collocata, crescit in dies singulos hostium numerus; eorum autem castrorum imperatorem ducemque hostium intra moenia atque adeo in senatu videtis intestinam aliquam cotidie perniciem rei publicae molientem. Si te iam, Catilina, comprehendi, si interfici iussero, credo, erit verendum mihi, ne non potius hoc omnes boni serius a me quam quisquam crudelius factum esse dicat. Verum ego hoc, quod iam pridem factum esse oportuit, certa de causa nondum adducor ut faciam. Tum denique interficiere, cum iam nemo tam improbus, tam perditus, tam tui similis inveniri poterit, qui id non iure factum esse fateatur.

6 Quamdiu quisquam erit, qui te defendere audeat, vives, et vives ita, ut vivis, multis meis et firmis praesidiis obsessus, ne commovere te contra rem publicam possis. Multorum te etiam oculi et aures non sentientem, sicut adhuc fecerunt, speculabuntur atque custodient.

III. Etenim quid est, Catilina, quod iam amplius exspectes, si neque nox tenebris obscurare coetus nefarious nec privata domus parietibus continere voces coniurationis tuae potest? si illustrantur, si erumpunt omnia? Muta iam istam mentem, mihi crede, obliviscere caedis atque incendiorum. Teneris undique; luce sunt clariora nobis tua consilia omnia; quae iam mecum licet recognoscas.

7 Meministine me ante diem xii Kalendas Novembres dicere in senatu fore in armis certo die, qui diem futurus esset ante diem vi Kal. Novembres, C. Manlium, audaciae satellitem atque administrum tuae? Num me fefellit, Catilina, non modo res tanta, tam atrox tamque incredibilis, verum, id quod multo magis est admirandum, dies? Dixi ego idem in senatu caedem te optimatium contulisse in ante diem v Kalendas Novembres, tum cum multi principes civitatis Roma non tam sui conservandi quam tuorum consiliorum reprimendorum causa profugerunt. Num infitiari potes te illo ipso die meis praesidiis, mea diligentia circumclusum commovere te contra rem publicam non potuisse, cum tu discessu ceterorum nostra tamen, qui remansissemus, caede te contentum esse dicebas?

8 Quid? cum te Praeneste Kalendis ipsis Novembribus occupaturm nocturno impetus esse confideres, sensistine illam coloniam meo iussu meis praesidiis, custodiis, vigiliis esse munitam? Nihil agis, nihil moliris, nihil cogitas, quod non ego non modo audiam, sed etiam videam planeque sentiam. IV. Recognosce tandem mecum

noctem illam superiorem; iam intelleges multo me vigilare acrius ad salutem quam te ad perniciem rei publicae. Dico te priore nocte venisse inter falcarios (non agam obscure) in M. Laecae domum; convenisse eodem complures eiusdem amentiae scelerisque socios. Num negare audes? quid taces? Convincam,si negas. Video enim esse hic in senatu quosdam, qui tecum una fuerunt.

9 O di immortales ! ubinam gentium sumus? in qua urbe vivimus? quam rem publicam habemus? Hic, hic sunt in nostro numero, patres conscripti, in hoc orbis terrae sanctissimo gravissimoque consilio, qui de nostro omnium interitu, qui de huius urbis atque adeo de orbis terrarum exitio cogitent !. Hos ego video consul et de re publica sententiam rogo et, quos ferro trucidari oportebat, eos nondum voce volnero ! Fuisti igitur apud Laecam illa nocte, Catilina, distribuisti partes Italiae, statuisti, quo quemque proficisci placeret, delegisti, quos Romae relinqueres, quos tecum educeres, discripsisti urbis partes ad incendia, confirmasti te ipsum iam esse exiturum, dixisti paulum tibi esse etiam nunc morae, quod ego viverem. Reperti sunt duo equites Romani, qui te ista cura liberarent et sese illa ipsa nocte paulo ante lucem me in meo lectulo interfecturos esse pollicerentur.

10 Haec ego omnia, vixdum etiam coetu vestro dimisso, comperi; domum meam maioribus praesidiis munivi atque firmavi, exclusi eos, quos tu ad me salutatum mane miseras, cum illi ipsi venissent, quos ego iam multis ac summis viris ad me id temporis venturos esse praedixeram.

V. Quae cum ita sint, Catilina, perge, quo coepisti, egredere aliquando ex urbe; patent portae; proficiscere. Nimium diu te imperatorem tua illa Manliana castra desiderant. Educ tecum etiam omnes tuos, si minus, quam

plurimos; purga urbem. Magno me metu liberabis, dum modo inter me atque te murus intersit. Nobiscum versari iam diutius non potes; non feram, non patiar, non sinam.

11 Magna dis immortalibus habenda est atque huic ipsi Iovi Statori, antiquissimo custodi huius urbis, gratia, quod hanc tam taetram, tam horribilem tamque infestam rei publicae pestem totiens iam effugimus. Non est saepius in uno homine summa salus periclitanda rei publicae. Quamdiu mihi consuli designato, Catilina, insidiatus es, non publico me praesidio, sed privata diligentia defendi. Cum proximis comitiis consularibus me consulem in campo et competitores tuos interficere voluisti, compressi conatus tuos nefarios amicorum praesidio et copiis, nullo tumultu publice concitato; denique, quotienscumque me petisti, per me tibi obstiti, quamquam videbam perniciem meam cum magna calamitate rei publicae esse coniunctam.

12 Nunc iam aperte rem publicam universam petis, templa deorum immortalium, tecta urbis, vitam omnium civium, Italiam totam ad exitium et vastitatem vocas. Quare, quoniam id, quod est primum, et quod huius imperii disciplinaeque maiorum proprium est, facere nondum audeo, faciam id, quod est ad severitatem lenius et ad communem salutem utilius. Nam si te interfici iussero, residebit in re publica reliqua coniuratorum manus; sin tu, quod te iam dudum hortor, exieris, exhaurietur ex urbe tuorum comitum magna et perniciosa sentina rei publicae.

13 Quid est, Catilina? num dubitas id me imperante facere, quod iam tua sponte faciebas? Exire ex urbe iubet consul hostem. Interrogas me, num in exsilium; non iubeo, sed si me consulis, saudeo.

VI. Quid est enim, Catilina, quod te iam in hac urbe delectare possit? in qua nemo est extra istam coniurationem perditorum hominum, qui te non metuat, nemo qui non oderit. Quae nota domesticae turpitudinis non inusta vitae tuae est? quod privatarum rerum dedecus non haeret in fama? quae libido ab oculis, quod facinus a manibus umquam tuis, quod flagitium a toto corpore afuit? cui tu adulescentulo, quem corruptelarum illecebris inretisses, non aut ad audaciam ferrum aut ad libidinem facem praetulisti?

14 Quid vero? nuper cum morte superioris uxoris novis nuptiis domum vacuefecisses, nonne etiam alio incredibili scelere hoc scelus cumulasti? quod ego praetermitto et facile patior sileri, ne in hac civitate tanti facinoris immanitas aut exstitisse aut non vindicata esse videatur. Praetermitto ruinas fortunarum tuarum, quas omnes impendere tibi proximis Idibus senties; ad illa venio, quae non ad privatam ignominiam vitiorum tuorum, non ad domesticam tuam difficultatem ac turpitudinem, sed ad summam rem publicam atque ad omnium nostrum vitam salutemque pertinent.

15 Potestne tibi haec lux, Catilina, aut huius caeli spiritus esse iucundus, cum scias esse horum neminem, qui nesciat te pridie Kalendas Ianuarias Lepido et Tullo consulibus stetisse in comitio cum telo? manum consulum et principum civitatis interficiendorum causa paravisse? sceleri ac furori tuo non mentem aliquam aut timorem tuum, sed fortunam populi Romani obstitisse? Ac iam illa omitto (neque enim sunt aut obscura aut non multa commissa postea); quotiens tu me designatum, quotiens consulem interficere conatus es ! quot ego tuas petitiones ita coniectas, ut vitari posse non viderentur, parva quadam declinatione, et ut aiunt, corpore effugi ! Nihil agis, nihil

adsequeris, [nihil moliris] neque tamen conari ac velle desistis.

16 Quotiens tibi iam extorta est ista sica de manibus ! quotiens excidit casu aliquo et elapsa est ! quae quidem quibus abs te initiata sacris ac devota sit, nescio, quod eam necesse putas esse in consulis corpore defigere.

VII. Nunc vero quae tua est ista vita? Sic enim iam tecum loquar, non ut odio permotus esse videar, quo debeo, sed ut misericordia, quae tibi nulla debetur. Venisti paulo ante in senatum. Quis te ex hac tanta frequentia totque tuis amicis ac necessariis salutavit? Si hoc post hominum memoriam contigit nemini, vocis exspectas contumeliam, cum sis gravissimo iudicio taciturnitatis oppressus? Quid, quod adventu tuo ista subsellia vacufacta sunt, quod omnes consulares, qui tibi persaepe ad caedem constituti fuerunt, simul atque adsedisti, partem istam subselliorum nudam atque inanem reliquerunt, quo tandem animo hoc tibi ferendum putas?

17 Servi mehercule mei si me isto pacto metuerent, ut te metuunt omnes cives tui, domum meam relinquendam putarem; tu tibi urbem non arbitraris? et, si me meis civibus iniuria suspectum tam graviter atque offensum viderem, carere me aspectu civium quam infestis omnium oculis conspici mallem; tu cum conscientia scelerum tuorum agnoscas odium omnium iustum et iam diu tibi debitum, dubitas, quorum mentes sensusque volneras, eorum aspectum praesentiamque vitare? Si te parentes timerent atque odissent tui neque eos ulla ratione placare posses, ut opinor, ab eorum oculis aliquo concederes. Nunc te patria, quae communis est parens omnium nostrum, odit ac metuit et iam diu nihil te iudicat nisi de parricidio suo cogitare; huius tu neque auctoritatem verebere nec iudicium sequere nec vim pertimesces?

18 Quae, tecum, Catilina, sic agit quodam modo tacita loquitur: 'Nullum iam aliquot annis facinus exstitit nisi per te, nullum flagitium sine te; tibi uni multorum civium neces, tibi vexatio direptioque sociorum impunita fuit ac libera; tu non solum ad neglegendas leges et quaestiones, verum etiam ad evertendas perfringendasque valuisti. Superiora illa, quamquam ferenda non fuerunt, tamen, ut potui, tuli; nunc vero me totam esse in metu propter unum te, quicquid increpuerit, Catilinam timeri, nullum videri contra me consilium iniri posse, quod a tuo scelere abhorreat, non est ferendum. Quam ob rem discede atque hunc mihi timorem eripe; si est verus, ne opprimar, sin falsus, ut tandem aliquando timere desinam.

19 VIII. Haec si tecum, ita ut dixi, patria loquatur, nonne impetrare debeat, etiam si vim adhibere non possit? Quid, quod tu te ipse in custodiam dedisti, quod vitandae suspicionis causa ad M. Lepidum te habitare velle dixisti? A quo non receptus etiam ad me venire ausus es atque, ut domi meae te adseruarem, rogasti. Cum a me quoque id responsum tulisses, me nullo modo posse isdem parietibus tuto esse tecum, qui magno in periculo essem, quod isdem moenibus contineremur, ad Q. Metellum praetorem venisti. A quo repudiatus et ad sodalem tuum, virum optimum, M. Metellum, demigrasti, quem tu videlicet et ad custodiendum diligentissimum et ad suspicandum sagacissimum et ad vindicandum fortissimum fore putasti. Sed quam longe videtur a carcere atque a vinculis abesse debere, qui se ipse iam dignum custodia iudicarit!

20 Quae cum ita sint, Catilina, dubitas, si emori aequo animo non potes, abire in aliquas terras et vitam istam multis suppliciis iustis debitisque ereptam fugae solitudinique mandare? 'Refer', inquis, 'ad senatum'; id enim postulas et, si hic ordo [sibi] placere decreverit te ire

in exsilium, obtemperaturum te esse dicis. Non referam, id quod abhorret a meis moribus, et tamen faciam, ut intellegas, quid hi de te sentiant. Egredere ex urbe, Catilina, libera rem publicam metu, in exsilium, si hanc vocem exspectas, proficiscere. Quid est, Catilina? ecquid attendis, ecquid animadvertis horum silentium? Patiuntur, tacent. Quid exspectas auctoritatem loquentium, quorum voluntatem tacitorum perspicis?

21 At si hoc idem huic adulescenti optimo, P. Sestio, si fortissimo viro, M. Marcello, dixissem, iam mihi consuli hoc ipso in templo senatus iure optimo vim et manus intulisset. De te autem, Catilina, cum quiescunt, probant, cum patiuntur, decernunt, cum tacent, clamant, neque hi solum, quorum tibi auctoritas est videlicet cara, vilissima, sed etiam illi equites Romani, honestissimi atque optimi viri ceterique fortissimi cives, qui circumstant senatum, quorum tu et frequentiam videre et studia perspicere et voces paulo ante exaudire potuisti. Quorum ego vix abs te iam diu manus ac tela contineo, eosdem facile adducam, ut te haec, quae vastare iam pridem studes, relinquentem usque ad portas prosequantur.

22 IX. Quamquam quid loquor? te ut ulla res frangat? tu ut umquam te corrigas? tu ut ullam fugam meditere? tu ut ullum exsilium cogites? Utinam tibi istam mentem di immortales duint ! tametsi video, si mea voce perterritus ire in exsilium animum induxeris, quanta tempestas invidiae nobis, si minus in praesens tempus recenti memoria scelerum tuorum, at in posteritatem impendeat. Sed est tanti, dum modo ista sit privata calamitas et a rei publicae periculis seiungatur. Sed tu ut vitiis tuis commoveare, ut legum poenas pertimescas, ut temporibus rei publicae cedas, non est postulandum, Neque enim is es,

Catilina, ut te aut pudor, umquam a turpitudine aut metus a periculo aut ratio a furore revocarit.

23 Quam ob rem, ut saepe iam dixi, proficiscereac, si mihi inimico, ut praedicas, tuo conflare vis invidiam, recta perge in exsilium; vix feram sermones hominum, si id feceris, vix molem istius invidiae, si in exsilium iussu consulis ieris, sustinebo. Sin autem servire meae laudi et gloriae mavis, egredere cum importuna sceleratorum manu, confer te ad Manlium, concita preditos cives, secerene te a bonis, infer patriae bellum, exsulta impio latrocinio, ut a me non eiectus ad alienos, sed invitatus ad tuos isse videaris.

24 Quamquam quid ego te invitem, a quo iam sciam esse praemissos, qui tibi ad Forum Aurelium praestolarentur armati? cui iam sciam pactam et constitutam cum Manlio diem? a quo etiam aquilam illam argenteam, quam tibi ac tuis omnibus confido perniciosam ac funestam futuram, cui domi tuae sacrarium [scelerum] constitutum fuit, sciam esse praemissam? Tu ut illa carere diutius possis, quam venerari ad caedem proficiscens solebas, a cuius altaribus saepe istam impiam dexteram ad necem civium transtulisti?

25 X. Ibis tandem aliquando, quo te iam pridem ista tua cupiditas effrenata ac furiosa rapiebat; neque enim tibi haee res adfert dolorem, sed quandam incredibilem voluptatem. Ad hanc te amentiam natura peperit, voluntas exercuit, fortuna servavit. Numquam tu non modo otium, sed ne bellum quidem nisi nefarium concupisti. Nactus es ex perditis atque ab omni non modo fortuna, verum etiam spe derelictis conflatam improborum manum.

26 Hic tu qua laetitia perfuere ! quibus gaudiis exsultabis ! quanta in voluptate bacchabere, cum in tanto numero tuorum neque audies virum bonum quemquam neque

videbis ! Ad huius vitae stadium meditati illi sunt, qui feruntur, labores tui, iacere humi non solum ad obsidendum stuprum, verum etiam ad facinus obeundum, vigilare non solum insidiantem somno maritorum, verum etiam bonis otiosorum. Habes, ubi ostentes tuam illam praeclaram patientiam famis, frigoris, inopiae rerum omnium, quibus te brevi tempore confectum esse senties.

27 Tantum profecti tum, cum te a consulatu reppuli, ut exsul potius temptare quam consul vexare rem publicam posses, atque ut id, quod esset te scelerate susceptum, latrocinium potius quam belum nominaretur.

XI. Nunc, ut a me, patres conscripti, quandam prope iustam patriae querimoniam detester ac deprecer, percipite, quaeso, diligenter, quae dicam, et ea penitus animis vestris mentibusque mandate. Etenim, si mecum patria, quae mihi vita mea multo est carrior, si cuncta Italia, si omnis res publica sic loquatur: 'M. Tulli, quid agis? Tune eum esse hostem comperisti, quem ducem belli futurum vides, quem exspectaro imperatorem in castris hostium sentis, auctorem sceleris, principem coniurationis, evocatorem servorem et civium perditorum, exire patiere, ut abs te non emissus ex urbe, sed immissus in urbem esse videatur? None hunc in vincla duci, non ad mortem rapi, non summo supplicio mactari imperabis?

28 Quid tandem te impedit? mosone maiorum? At persaepe etiam privati in hac re publica perniciosos cives morte multarunt. An leges quae de civium Romanorum supplicio rogatae sunt? At numquam in hac urbe, qui a re publica defecerunt, civium iura tenuerunt. An invidiam posteritatis times? Praeclaram vero populo Romano refers gratiam, qui te, hominem per te cognitum, nulla commendatione maiorum tam mature ad summum imperium per omnes honorum gradus extulit, si propter

invidiae aut alicuius periculi metum salutem civium tuorum neglegis.

29 Sed, si quis est invidiae metus, non est vehementius severitatis ac fortitudinis invidia quam inertiae ac nequitiae pertimescenda. An, cum bello vastabitur Italia, vexabuntur urbes, tecta ardebunt, tum te non existimas invidiae incendio conflagraturum?

XII. His ego sanctissimis rei publicae vocibus et eorum hominum, qui hoc idem sentiunt, mentibus pauca respondebo. Ego si hoc optimum factu iudicarem, patres conscripti, Catilinam morte multari, unius usuram horae gladiatori isti ad vivendum non dedissem. Etenim, si summi viri et clarissimi cives Saturnini et Gracchorum et Flacci et superiorum complurium sanguine non modo se non contaminarunt, sed etiam honestarunt, certe verendum mihi non erat, ne quid hoc parricida civium interfecto invidiae mihi in posteritatem redundaret. Quodsi ea mihi maxime impenderet, tamen hoc animo fui semper, ut invidiam virtute partam gloriam, non invidiam putarem.

30 Quamquam non nulli sunt in hoc ordine, qui aut ea, quae imminent, non videant aut ea, quae vident, dissimulent; qui spem Catilinae mollibus sententiis aluerunt coniurationemque nascentem non credendo corroboraverunt; quorum auctoritate multi non solum improbi, verum etiam imperiti, si in hunc animadvertissem, curdeliter et regie factum esse dicerent. Nunc intellego, si iste, quo intendit, in Manliana castra pervenerit, neminem tam stultum fore, qui non videat coniurationem esse factam, neminem tam improbum, qui non fateatur. Hoc autem uno interfecto intellego hanc rei publicae pestem paulisper reprimi, non in perpetuum comprimi posse. Quodsi se eiecerit

secumque suos eduxerit et eodem ceteros undique collectos naufragos adgregarit, exstinguetur atque delebitur non modo haec tam adulta rei publicae pestis, verum etiam stirps ac semen malorum omnium.

31 XXIII. Etenim iam diu patres conscripti, in his periculis coniurationis insidiisque versamur, sed nescio quo pacto omnium scelerum ac veteris furoris et audaciae maturitas in nostri consulatus tempus erupit. Quodsi ex tanto latrocinio iste unus tolletur, videbimur fortasse ad breve quoddam tempus cura et metu esse relevati, periculum autem residebit et erit inclusum penitus in venis atque in visceribus rei publicae. Ut saepe homines aegri morbo gravi cum aestu febrique iactantur, si aquam gelidam biberunt, primo relevari videntur, deinde multo gravius vehementiusque adflictantur, sic hic morbus, qui est in republica, relevatus istius poena vehementius reliquis vivis ingravescet.

32 Quare secedant improbi, [secernant se a bonis,] unum in locum congregentur, muro denique, quod saepe iam dixi, secernantur a nobis; desinant insidiari domi suae consuli, circumstare tribunal praetoris urbani, obsidere cum gladiis curiam, malleolos et faces ad inflammandam urbem comparare; sit denique inscriptum in fronte unius cuiusque, quid de re publica sentiat. Polliceor hoc vobis, patres conscripti, tantam in nobis consulibus fore diligentiam, tantam in vobis auctoritatem, tantam in equitibus Romanis virtutem, tantam in omnibus bonis consensionem, ut Catilinae profectione omnia patefacta, illustrata, oppressa, vindicata esse videatis.

33 Hisce ominibus, Catilina, cum summa rei publicae salute, cum tua peste ac pernicie cumque eorum exitio, qui se tecum omni scelere parricidioque iunxerunt, proficiscere ad impium bellum ac nefarium. Tu, Iuppiter, qui isdem quibus haec urbs auspiciis a Romulo es constitutus, quem Statorem huius urbis atque imperii vere nominamus, hunc et huius socios a tuis [aris] ceterisque templis, a tectis urbis ac moenibus, a vita fortunisque civium omnium arcebis et homines bonorum inimicos, hostes patriae, latrones Italiae scelerum foedere inter se ac nefaria societate coniunctos aeternis suppliciis vivos mortuosque mactabis.

ORATIO IN CATILINAM SECUNDA HABTA AD POPULUM

1 Tandem aliquando, Quirites, L. Catilinam fu- 1 rentem audacia scelus anhelantem, pestem patriae nefarie molientem, vobis atque huic urbi ferro flammaque minitantem ex urbe vel eiecimus vel emisimus vel ipsum egredientem verbis proseuti sumus. Abiit, excessit, evasit, erupit. Nulla iam pernicies a monstro illo atque prodigio moenibus ipsis intra moenia comparabitur. Atque hunc quidem unum huius belli domestici ducem sine controversia vicimus. Non enim iam inter latera nostra sica illa versabitur, non in campo, non in foro non in curia, non denique intra domesticos parietes pertimescemus. Loco ille motus est, cum est ex urbe depulsus. Palam iam cum hoste nullo impediente bellum iustum geremus. Sine dubio perdidimus hominem magnificeque vicimus, cum illum ex occultis insidiis in apertum latrocinium coniecimus.

2 Quod vero non cruentum mucronem, ut voluit, extulit, quod vivis nobis egressus est, quod ei ferrum e manibus extorsimus, quod incolumes cives, quod stantem urbem reliquit, quanto tandem illum maerore esse adflictum et profligatum putatis? Iacet ille nunc prostrates, Quirites, et se perculsum atque abiectum esse sentit et retorquet oculos profecto saepe ad hanc urbem, quam e suis faucibus ereptam esse luget, quae quidem mihi laetari videtur, quod tantam pestem evomuerit forasque proiecerit.

3 Ac si quis est talis, quales esse omnes oportebat, qui in hoc ipso, in quo exsultat et triumphat oratio mea, me vehementer accuset, quod tam captialem hostem non comprehenderim potius quam emiserim, non est ista mea culpa, Quirites, sed temporum. Interfectum esse L. Catilinam et gravissimo supplicio adfectum iam pridem oportebat, idque a me et mos maiorum et huius imperii severitas et res publica postulabat. Sed quam multos fuisse putatis, qui, quae ego deferrem, non crederent? Quam multos, qui etiam defenderent? Ac, si illo sublato depelli a vobis omne periculum indicarem, iam pridem ego L. Catilinam non modo invidiae meae, verum etiam vitae periculo sustulissem.

4 Sed cum viderem, ne vobis quidem omnibus re etiam tum probata, si illum, ut erat meritus, morte multassem, fore ut eius socios invidia oppressus persequi non possem, rem huc deduxi, ut tum palam pugnare possetis, cum hostem aperte videretis. Quem quidem ego hostem, Quirites, quam vehementer foris esse timendum putem, licet hinc inellegatis, quod etiam illud moleste fero, quod ex urbe parum comitatus exierit. Utinam ille omnes secum suas copias eduxisset! Tongilium mihi eduxit, quem amare in praetexta

coeperat, Publicium et Minucium, quorum aes alienum contractum in popina nullum rei publicae motum adferre poterat; reliquit quos viros, quanto aere alieno, quam ualentes, quam nobiles !

5 III. Itaque ego illum exercitum prae Gallicanis legionbus et hoc dilectu, quem in agro Piceno et Gallico Q. Metellus habuit, et his copiis, quae a nobis cotidie comparantur, mango opera contemno collectum ex senibus desperatis, ex agresti luxuria, ex rusticis decoctoribus, ex iis, qui vadimonia deserere quam illum exercitum maluerunt; quibus ego non modo si aciem exercitus nostri, verum etiam si edictum praetoris ostendero, concident. Hos, quos video volitare in foro, quos stare ad curiam, quos etiam in senatum venire, qui nitent unguentis, qui fulgent purpura, mallem secum [suos milites] eduxisset; qui si hic permanent, mementote non tam exercitum illum esse nobis quam hos, qui exercitum deseruerunt, pertimescendos. Atque hoc etiam sunt timendi magis, quod, quid cogitent, me scire sentiunt neque tamen permoventur.

6 Video,cui sit Apulia attributa, quis habeat Etruriam, quis agrum Picenum, quis Gallicum, quis sibi has urbanas insidias caedis atque incendiorum depoposcerit. Omnia superioris noctis consilia ad me perlata esse sentiunt; patefeci in senatu hesterno die; Catilina ipse pertimuit, profugit, hi quid exspectant? Ne illi vehementer errant, si illam meam pristinam lenitatem perpetuam sperant futuram.

IV. Quod exspectavi, iam sum adsecutus, ut vos omnes factam esse aperte coniurationem contra rem publicam videretis; nisi vero si quis est, qui Catilinae similes cum Catilina sentire non putet. Non est iam lenitati locus; severitatem res ipsa flagitat. Unum etiam nunc

concedam: exeant, proficiscantur, ne patianur desiderio sui Catilinam miserum tabescere. Demonstrabo iter: Aurelia via profectus est; si accelerare volent, ad vesperam consequentur.

7 O fortunatam rem publicam, si quidem hanc sentinam urbis eiecerit ! Uno mehercule Catilina exhausto levata mihi et recreata res publica videtur. Quid enim mali aut sceleris fingi aut cogitari potest, quod non ille conceperit? quis tota Italia veneficus, quis gladiator, quis latro, quis sicarius, quis parricida, quis testamentorum subiector, quis circumscriptor, quis ganeo, quis nepos, quis adulter, quae mulier infamis, quis corruptor iuventutis, quis corruptus, quis perditus inveniri potest, qui se cum Catilina, non familiarissime vixisse fateatur? quae caedes per hosce annos sine illo facta est, quod nefarium stuprum non per illum?

8 Iam vero quae tanta umquam in ullo iuventutis illecebra fuit, quanta in illo? qui alios ipse amabat turpissime, aliorum amori flagitiosissime serviebat, aliis fructum libidinum, aliis mortem parentum non modo impellendo, verum etiam adiuvando pollicebatur. Nunc vero quam subito non solum ex urbe, verum etiam ex agris ingentem numerum perditorum hominum collegrat ! Nemo non modo Romae, sed ullo in angulo totius Italiae oppressus aere alieno fuit, quem non ad hoc incredibile sceleris foedus adsciverit.

9 V. Atque ut eius diversa studia in dissimili ratione perspicere possitis, nemo est in ludo gladiatorio paulo ad facinus audacior, qui se non intimum Cati linae [esse fateatur], nemo in scaena levior et nequior, qui se non eiusdem prope sodalem fuisse commemoret. Atque idem tamen stuprorum et scelerum exercitatione adsue-factus frigore et fame et siti et vigiliis perferendis fortis

ab istis praedicabatur, cum industriae subsidia atque instrumenta virtutis in libidine audaciaque consumeret.

10 Hunc vero si secuti erunt sui comites, si ex urbe exierint desperatorum hominum flagitiosi greges, o nos beatos, o rem publicam fortunatam, o praeclaram laudem consulatus mei ! Non enim iam sunt mediocres hominum libidines, non humanae et tolerandae audaciae; nihil cogitant nisi caedem, nisi incendia, nisi rapinas. Patrimonia sua profuderunt, fortunas suas obligaverunt; res eos iam pridem deseruit, fides nuper deficere coepit; eadem tamen illa, quae erat in abundantia, libido permanet. Quodsi in vino et alea comissationes solum et scorta quaererent, essent illi quidem desperandi, sed tamen essent ferendi; hoc vero quis ferre possit, inertes homines fortissimis viris insidiari, stultissimos prudentissimis, ebriosos sobriis, dormientes vigilantibus? qui mihi accubantes in conviviis complexi mulieres impudicas vino languidi, conferti cibo, sertis redimiti, unguentis obliti, debilitate stupris eructant sermonibus suis caedem bonorum atque urbis incendia.

11 Quibus ego confido impendere fatum aliquod, et poenam iam diu improbitati, nequitiae, sceleri, libidini debitam aut instare iam plane aut certe adpropinquare. Quos si meus consulatus, quoniam sanare non potest, sustulerit, non breve nescio quod tempus, sed multa saecula propagarit rei publicae. Nulla est enim natio, quam pertimescamus, nullus rex, qui bellum populo Ramano facere possit. Omnia sunt externa unius virtute terra marique pacata; domesticum bellum manet, intus insidiae sunt, intus inclusum periculum est, intus est hostis. Cum luxuria nobis, cum amentia, cum scelere certandum est. Huic ego me bello ducem profiteor,

Quirites; suscipio inimicitias hominum perditorum; quae sanari poterunt, quacumque ratione sanabo, quae resecanda erunt, non patiar ad perniciem civitatis manere. Proinde aut exeant aut quiescant aut, si et in urbe et in eadem mente permanent, ea, quae merentur, exspectent.

12 VI At etiam sunt, qui dicant, Quirites, a me eiectum in exsilium esse Catilinam. Quod ego si verbo adsequi possem, istos ipsos eicerem, qui haec loquuntur. Homo enim videlicet timidus aut etiam permodestus vocem consulis ferre non potuit; simul atque ire in exilium iussus est, paruit, ivit. Hesterno die, Quirites, cum domi meae paene interfectus essem, senatum in aedem Iovis Statoris convocavi, rem omnem ad patres conscriptos detuli. Quo cum Catilina venisset, quis eum senator appellavit, quis salutavit, quis denique ita aspexit ut perditum civem ac non potius ut importunissimum hostem? Quin etiam principes eius ordinis partem illam subselliorum, ad quam mille accesserat, nudam atque, inanem reliquerunt.

13 Hic ego vehemens ille consul, qui verbo cives in exsilium eicio, quaesivi a Catilina, in nocturno conventu apud. M. Laecam fuisset necne. Cum ille homo audacissimus conscientia convictus primo reticuisset, patefeci cetera; quid ea nocte egisset, quid in proximam constituisset, quem ad modum esset ei ratio totius belli descripta, edocui. Cum haesitaret, cum teneretur, quaesivi, quid dubitaret proficisci eo, quo iam pridem pararet, cum arma, cum secures, cum fasces, cum tubas, cum signa militaria, cum aquilam illam argenteam, cui ille etiam sacrarium [scelerum] domi suae fecerat, scirem esse praemissam.

14 In exsilium eiciebam, quem iam ingressum esse in bellum videbam? Etenim, credo, Manlius iste centurio, qui in agro Faesulano castra posuit, bellum populo Romano suo nomine indixit, et illa castra nunc non Catilinam ducem exspectant, et ille eiectus in exsilium se Massiliam, ut aiunt, non in haec castra conferet.

VII. O condicionem miseram non modo administrandae, verum etiam conservandae rei publicae ! Nunc si L. Catilina, consiliis, laboribus, periculis meis circumclusus ac debilitatus subito pertimuerit, sententiam mutaverit, deseruerit suos, consilium belli faciendi abiecerit et ex hoc cursu sceleris ac belli iter ad fugam atque in exsilium converterit, non ille a me spoliatus armis audaciae, non obstupefactus ac perterritus mea diligentia, non de spe conatuque depulsus, sed indemnatus innocens in exsilium eiectus a consule vi et minis esse dicetur; et erunt, qui illum, si hoc fecerit, non improbum, sed miserum, me non diligentissimum consulem, sed crudelissimum tyrannum existimari velint !

15 Est mihi tanti, Quirites, huius invidiae falsae atque iniquae tempestatem subire, dum modo a vobis huius horribilis belli ac nefarii periculum depellatur. Dicatur sane eiectus esse a me, dum modo eat in exsilium. Sed, mihi credite, non est iturus. Numquam ego ab dis immortalibus optabo, Quirites, invidiae meae levandae causa, ut L. Catilinam ducere exercitum hostium atque in armis volitare audiatis, sed triduo tamen audietis; multoque magis illud timeo, ne mihi sit invidiosum aliquando, quod illum emiserim potius quam quod eiecerim. Sed cum sint homines, qui illum, cum profectus sit, eiectum esse dicant, idem, si interfectus esset, quid dicerent?

16 Quamquam isti, qui Catilinam Massiliam ire dictitant, non tam hoc queruntur quam verentur. Nemo est istorum tam misericors, qui illum non ad Manlium quam ad Massilienes ire malit. Ille autem, si mehercule hoc, quod agit numquam antea cogitasset, tamen latrocinantem se interfici mallet quam exsulem vivere. Nunc vero, cum ei nihil adhuc praeter ipsius voluntatem cogitationemque acciderit, nisi quod vivis nobis Roma profectus est, optemus potius, ut eat in exsilium, quam queramur.

17 VIII. Sed cur tam diu de uno hoste loquimur, et de eo hoste, qui iam fatetur se esse hostem, et quem, quia, quod semper volui, murus interest, non timeo; de his, qui dissimulant, qui Romae remanent, qui nobiscum sunt, nihil dicimus? Quos quidem ego, si ullo modo fieri possit, non tam ulcisci studeo quam sanare sibi ipsos, placare rei publicae, neque, id quare fieri non possit, si me audire volent, intellego. Exponam enim vobis, Quirites, ex quibus generibus hominum istae copiae comparentur; deinde singulis medicinam consilii atque orationis meae, si quam potero, adferam.

18 Unum genus est eorum, qui magno in aere alieno maiores etiam possessiones habent, quarum amore adducti dissolvi nullo modo possunt. Horum hominum species est honestissima (sunt enim locupletes), voluntas vero et causa impudentissima. Tu agris, tu aedificiis, tu argento, tu familia, tu rebus omnibus ornatus et copiosus sis dubites de possessione detrahere, adquirere ad fidem? Quid enim exspectas? bellum? Quid ergo? in vastatione omnium tuas possessiones sacrosanctas futuras putas? An tabulas novas? Errant, qui istas a Catilina exspectant; meo beneficio tabulae novae proferentur, verum auctionariae; neque enim isti,

qui possessiones habent, alia ratione ulla salvi esse possunt. Quod si maturius facere voluissent neque, id quod stultissimum est, certare cum usuris fructibus praediorum, et locupletioribus his et melioribus civibus uteremur. Sed hosce homines minime puto pertimescendos, quod aut deduci de sententia possunt aut, si permanebunt, magis mihi videntur vota facturi contra rem publicam quam arma laturi.

19 IX. Alterum genus est eorum, qui quamquam permuntur aere alieno, dominationem tamen exspectant, rerum potiri volunt, honores, quos quieta re publica desperant, perturbata se consequi posse arbitrantur. Quibus hoc praecipiendum videtur, unum scilicet et idem quod reliquis omnibus, ut desperent se id, quod conantur, consequi posse; primum omnium me ipsum vigilare, adesse, providere rei publicae; deinde magnos animos esse in bonis viris, magnam concordiam, maximam adesse multitudinem, magnas praeterea militum copias; deos denique immortales huic invicto populo, clarissimo imperio, pulcherrimae urbi contra tantam vim sceleris praesentes auxilium esse laturos. Quodsi iam sint id, quod summo furore cupiunt, adepti, num illi in cinere urbis et in sanguine civium, quae mente conscelerata ac nefaria concupiverunt, consules se aut dictatores aut etiam reges sperant futuros? Non vident id se cupere, quod si adepti sint, fugitivo alicui aut gladiatori concedi sit necesse.

20 Tertium genus est aetate iam adfectum, sed tamen exercitatione robustum; quo ex genere iste est Manlius, cui nunc Catilina succedit. Hi sunt homines ex iis coloniis, quas Sulla constituit; quas ego universas civium esse optimorum et fortissimorum virorum sentio, sed tamen ii sunt coloni, qui se in insperatis ac

repentinis pecuniis sumptuosius insolentiusque iactarunt. Hi dum aedificant tamquam beati, dum praediis lectis, familiis magnis, conviviis apparatis delectantur, in tantum aes alienum inciderunt, ut, si salvi esse velint, Sulla sit eis ab inferis excitandus; qui etiam non nullos agrestes homines tenues atque egentes in eandem illam spem rapinarum veterum impulerunt. Quos ego utrosque in eodem genere praedatorum direptorumque pono, sed eos hoc moneo, desinant furere ac proscriptiones et dictaturas cogitare. Tantus enim illorum temporum dolor inustus est civitati, ut iam ista non modo homines, sed ne pecudes quidem mihi passurae esse videantur.

21 X. Quartum genus est sane varium et mixtum et turbulentum; qui iam pridem premuntur, qui numquam emergunt, qui partim inertia, partim male gerendo negotio, partim etiam sumptibus in vetere aere alieno vacillant, qui vadimoniis, iudiciis, proscriptione bonorum defatigati permulti et ex urbe et ex agris se in illa castra conferre dicuntur. Hosce ego non tam milites acres quam infitiatores lentos esse arbitror. Qui homines quam primum, si stare non possunt, corruant, sed ita, ut non modo civitas, sed ne vicini quidem proximi sentiant. Nam illud non intellego, quam ob rem, si vivere honeste non possunt, perire turpiter velint, aut cur minore dolore perituros se cum multis, quam si soli pereant, arbitrentur.

22 Quintum genus est parricidarum, sicariorum, denique omnium facinorosorum. Quos ego a Catilina non revoco; nam neque ab eo divelli possunt et pereant sane in latrocinio, quoniam sunt ita multi, ut eos carcer capere non possit. Postremum autem genus est non solum numero verum etiam genere ipso atque vita, quod

proprium Catilinae est, de eius dilectu, immo vero de complexu eius ac sinu; quos pexo capillo nitidos aut imberbes aut bene barbatos videtis, manicatis et talaribus tunicis, velis amictos, non togis; quorum omnis industria vitae et vigilandi labor in antelucanis cenis expromitur.

23 In his gregibus omnes aleatores, omnes adulteri, omnes impuri impudicique versantur. Hi pueri tam lepidi ac delicati non solum amare et amari neque saltare et cantare, sed etiam sicas vibrare et spargere venena didicerunt. Qui nisi exeunt, nisi pereunt, etiamsi Catilina perierit, scitote hoc in re publica seminarium Catilinarum futurum. Verum tamen quid sibi isti miseri volunt? num suas secum mulierculas sunt in castra ducturi? Quem ad modum autem illis carere poterunt, his praesertim iam noctibus? Quo autem pacto illi Appenninum atque illas pruinas ac nives perferent? nisi idcicro se facilius hiemem toleraturos putant, quod nudi in conviviis saltare didicerunt.

24 XI. O bellum magno opere pertimescendum, cum hanc sit habiturus Catilina scortorum cohortem praetoriam ! Instruite nunc, Quirites, contra has tam praeclaras Catilinae copias vestra praesidia vestrosque exercitus. Et primum gladiatori illi confecto et saucio consules imperatorseque vestros opponite; deinde contra illam naufragorum eiectam ac debilitatam manum florem totius Italiae ac robur educite. Iam vero urbes coloniarum ac municipiorum respondebunt Catilinae tumulis silvestribus. Neque ego ceteras copias, ornamenta, praesidia vestra cum illius latronis inopia atque egestate conferre debeo.

25 Sed si omissis his rebus, quibus nos suppeditamur, eget ille, senatu, equitibus Romanis, urbe, aerario, vectigalibus, cuncta Italia, provinciis omnibus, exteris nationibus, si his rebus omissis causas ipsas, quae inter se confligunt,contendere velims, ex eo ipso, quam valde illi iaceant, intellegere possumus. Ex hac enim parte pudor pugnat, illinc petulantia, hinc pudicitia, illinc stuprum; hinc fides, illinc fraudatio; hinc pietas, illinc scelus; hinc constantia, illinc furor; hinc honestas, illinc turpitudo; hinc continentia, illinc libido; denique aequitas, temperantia, fortitudo, prudentia, virtutes omnes certant cum iniquitate, luxuria, ignavia, temeritate, cum vitiis omnibus; postremo copia cum egestate, bona ratio cum perdita, mens sana cum amentia, bona denique spes cum omnium rerum desperatione confligit. In eius modi certamine ac proelio nonne, si hominum studia deficiant, di ipsi immortales cognat ab his praeclarissimis virtutibus tot et tanta vitia superari?

26 XII. Quae cum ita sint, Quirites, vos, quem ad modum iam antea dixi, vestra tecta vigiliis custodiisque defendite; mihi, ut urbi sine vestro motu ac sine ullo tumultu satis esset praesidii, consultum atque provisum est. coloni omnes municipesque vestri certiores a me facti de hac nocturna excursione Catilinae facile urbes suas finesque defendent. Gladiatores, quam sibi ille manum certissimam fore putavit, quamquam animo meliore sunt quam pars patriciorum, potestate tamen nostra continebuntur. Q. Metellus quem ego hoc prospiciens in agrum Gallicum Picenumque praemisi, aut opprimet hominem aut eius omnes motus conatusque prohibebit. Reliquis autem de rebus

constituendis, maturandis, agendis iam ad senatum referemus, quem vocari videtis.

27 Nunc illos, qui in urbe remanserunt, atque adeo qui contra urbis salutem omniumque vestrum in urbe a Catilina relicti sunt, quamquam sunt hostes, tamen, quia sunt cives, monitos etiam atque etiam volo. Mea lenitas adhuc si cui solutior visa est, hoc exspectavit, ut id, quod latebat, erumperet. Quod reliquum est, iam non possum oblivisci meam hanc esse patriam, me horum esse consulem, mihi aut cum his vivendum aut pro his esse moriendum. Nullus est portis custos, nullus insidiator viae, si qui exire volunt, conivere possum; qui vero se in urbe commoverit, cuius ego non modo factum, sed inceptum ullum conatumve contra patriam deprehendero, sentiet in hac urbe esse consules vigilantes, esse egregios magistratus, esse fortem senatum, esse arma, esse carcerem, quem vindicem nefariorum ac manifestorum scelerum maiores nostri esse voluerunt.

28 XIII. Atque haec omnia sic agentur, Quirites, ut maximae res minimo motu, pericula summa nullo tumultu, bellum intestinum ac domesticum post hominum memoriam crudelissimum et maximum me uno togato duce et imperatore sedetur. Quod ego sic administrabo Quirites, ut si ullo modo fieri poterit, ne improbus quidem quisquam in hac urbe poenam sui sceleris sufferat. Sed si vis manifestae audaciae, si impendens patriae periculum me necessario de hac animi lenitate deduxerit, illud profecto perficiam, quod in tanto et tam insidioso bello vix optandum videtur, ut neque bonus quisquam intereat paucorumque poena vos omnes salvi esse possitis.

29 Quae quidem ego neque mea prudentia neque humanis consiliis fretus polliceor vobis, Quirites, sed multis et non dubiis deorum immortalium significationibus, quibus ego ducibus in hanc spem sententiamque sum ingressus; qui iam non procul, ut quondam solebant, ab externo hoste atque longinquo, sed hic praesentes suo numine atque auxilio sua templa atque urbis tecta defendunt. Quos vos, Quirites, precari, venerari, implorate debetis, ut, quam urbem pulcherrimam florentissimamque esse voluerunt, hanc omnibus hostium copiis terra marique superatis a perditissimorum civium nefario scelere defendant.

الخطبة الأولى (ضد كاتيلينا) التى أُلقيت فى مجلس السناتو

١- بحق السماء يا كاتيلينا إلى متى ستستغل صبرنا؟ وإلى متى سيسخر منا جنونك هذا؟ وإلى أى مدى ستلقى بنا جرأتك الطائشة؟ ألا يؤثر فيك الحرس الليلى فى البلاتيوم، وحراس المدينة، وخوف الشعب، واتحاد جميع الرجال الأخيار، ومجلس السناتو المستحوذ على هذا الحصن، ونظرات ووجوه هؤلاء الرجال؟ ألا تدرك أن خططك قد كُشفت؟ ألا ترى أن مؤامراتك قد أمسكت وقيدت بعلم جميع هؤلاء الرجال الآن؟

مَن منا تظن أنه لا يعلم ما فعلته فى الليلة الماضية، وفى الليلة قبل الماضية حيثما كنت، ومَن هم الرجال الذين استدعيتهم، وما هى الخطة التى اتخذتها؟

٢- يا له من زمن ! يا لها من أخلاق !

إن مجلس السناتو يعرف هذه الأمور، والقنصل يراها، ومع ذلك فهذا الرجل يعيش، هل يعيش؟ وأكثر من ذلك فهو يذهب إلى مجلس السناتو ويشترك فى الاجتماع العام، ويعزل كل واحد منا، ويميزه بنظراته القاتلة. ونحن الرجال الشجعان نبدو كأننا نقوم بواجبنا تجاه الجمهورية عندما نتحاشى جنونه ولكماته.

يجب أن تُساق إلى الموت يا كاتيلينا بأمر من القنصل، ويجب أن يحلّ عليك الدمار الذى أعددته لنا منذ فترة طويلة.

٣- لقد قتل بوبليوس سكيبيو، وهو رجل معروف جداً، والكاهن الأعظم، فمع أنه كان رجلاً عادياً إلا أنه قتل تيبريوس جراكوس الذى كان يخرب أساس الجمهورية. وهل سنحتمل نحن القناصل كاتيلينا، الذى يتوق لتدمير العالم كله بالقتل والحرق؟

أنا أذكر الأسلاف قديماً، فقد قتل جايوس سيرفيليوس آهالا بيده سبوريوس مايليوس، الذى كان يعد من أجل الثورة.

ومـــثل هـــذه الشـــجاعة كانت موجودة حقاً فى هذه الجمهورية عندما منع الـــرجال البواسل المواطن الخائن بعقاب شديد وقاس جداً أكثر مما أوقفوا الأعـــداء المكروهيـــن. فنحن لدينا قرار مجلس السناتو، وهو فعال وشديد ضـــدك يا كاتيلينا، ولا تحتاج الدولة إلى موافقة وسلطة هذه الهيئة، فنحن، نحن القناصل، وأنا أقولها علانية، نحتاج إلى ذلك.

٤- وفـــيما سبق أصدر مجلس السناتو قراره بأنه يجب على القنصل لوكيوس أوبيميوس أن يأخذ حذره بألا تتعرض الدولة لأى ضرر، ولم تمر لـــيلة واحدة إلا وقد قُتل تيبريوس جراكوس بسبب الشك فى ثورته، وكان والـــده وجـــده وأســـلافه من الرجال البارزين، وقد قُتل القنصل ماركوس فولفيوس ومعه أولاده.

وقد عهدت الدولة بقرار مجلس السناتو ذاته إلى القناصل جايوس ماريوس ولوكيوس فاليريوس.

هـــل تأخـــر الموت وعقاب الدولة يوماً واحداً عن تريبون العامة لوكيوس ساتورنينوس، والبريتور جايوس سيرفيليوس؟ ولكننا سمحنا بفترة عشرين يوماً ليصير قرار هذه الهيئة حاداً.

ونحن لدينا قرار مجلس السناتو، وهذا القرار مُدرج فى السجلات كالسيف المغمـــد فى الجراب، وبمقتضى هذا القرار الأخير يجب أن تُقتل فى الحال يا كاتيلينا. أنت تعيش وتعيش ليس من أجل التخلى عن حرصك، ولكن من أجـــل تقويته. وأنا أتمنى أيها الآباء الموقرون أن أكون رحيماً، وأتمنى ألا أبـــدو متهاوناً فى مثل هذه المخاطر العظيمة التى تواجهها الدولة، ولكننى أحكم على نفسى بالجمود والتهاون.

٥- يوجد في إيطاليا معسكراً لأعداء الشعب الروماني، يتمركز في ممرات إتروريا، ويزداد عدد الأعداء كل يوم، وأنتم ترون قائد معسكرهم وزعيم الأعداء في داخل الحصن وحتى هنا كذلك في مجلس السناتو، يتآمر يومياً من أجل تدمير الدولة من الداخل.

فلو أمرت بالقبض عليك يا كاتيلينا وقتلك، فأنا اعتقد أنه سينتابني الخوف من أن جميع الرجال الأخيار قد يقولون أنني قد فعلت ذلك متأخراً جداً أكثر من أن يقول شخص ما أنني قد فعلت ذلك بأشد قسوة. ولكنني لست مُنقاداً بدافع من سبب خاص لأفعل الشئ الذى كان محتماً على أن أفعله الآن منذ فترة طويلة.

أخيراً سوف تُعدم حيث إنه لا يمكن أن يوجد شخص ما فاجر جداً، ومنبوذ جداً، شخص ما مثلك لا يعترف بأن ذلك قد تم طبقاً للقانون.

٦- وطالما سوف يوجد شخص ما يتجرأ للدفاع عنك، فأنت سوف تعيش، وسوف تعيش هكذا لتحيا محاصراً بحراسي الكثيرين الحازمين حتى لا تتمكن من الثورة ضد الجمهورية. وسوف تراقبك وتحرسك أعين وآذان الكثيرين، وأنت لن تدرك ذلك كما حدث ذلك من قبل.

لماذا تطيل الانتظار يا كاتيلينا أكثر من ذلك، إذا لم تستطع ليلة بظلامها إخفاء اجتماعاتك الإجرامية، ولم يستطع منزل خاص بأسواره كتم أصوات مؤامرتك؟

لقد وضح كل شئ وعُرف ــ أترك خطتك الآن، صدقني، أنسى القتل والحرق، فأنت محاصر من كل جانب، وأصبحت جميع خططك بالنسبة لنا أوضح من ضوء النهار، فأنت ربما تذكرها معي.

٧- هل تذكر أنني قد ذكرت في مجلس السناتو في اليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر أن جايوس مانيليوس، تابعك ومساعدك في

مشـــروعك المـــتهور سيكون مسلحاً في يوم محدد وذلك اليوم هو السابع والعشرون من شهر أكتوبر؟

هـــل كنتُ مخطئاً يا كاتيلينا سواء في الحقيقة القاسية جداً، والتي لا يمكن تصـــديقها وهـــل يوجد ما يستدعي الدهشة، أو هل كنت مخطئاً في تحديد اليوم؟

لقـــد ذكـــرت في مجلس السناتو كذلك أنك أجلت قتل الارستقراطيين حتى الـــيوم الثامـــن والعشرين من شهر أكتوبر، وبخاصة عندما ترك كثير من رؤســـاء الدولـــة رومـــا ليس من أجل إنقاذ أنفسهم، ولكن من أجل تعطيل خططك.

هـــل تســـتطيع أن تـــنكر أنك في نفس اليوم قد حوصرت بحراسي، وأنك بفضـــل حرصـــي لم تستطع أن تثور ضد الجمهورية، عندما ذكرت أنك مكتفٍ بقتلنا نحن الذين بقينا بالرغم من رحيل الآخرين.

٨- وبالـــتالي عندما تأكدت أنك سوف تستحوذ على برانيستي في أول شـــهر أكـــتوبر بـــالهجوم الليلي، ألم تدرك أن تلك المستعمرة قد حُصنت بحراسي وقواتي وجنودي بناء على أوامر مني؟

فأنت لا تفعل شيئاً، أو تحاول شيئاً، أو تفكر في شئ لا أسمعه فقط بل أنني كذلك أراه وأفهمه بوضوح.

اســـترجع بذاكراتك معي ليلة أول أمس، وسوف تعرف أنني كنت يقظاً من أجل سلامة الدولة أكثر من يقظتك لتدميرها.

أنـــا أذكـــر أنك قد جئت في ليلة أول أمس إلى شارع صناع المناجل، إلى مـــنزل مـــاركوس لايكا، وأن عديداً من حلفائك في مثل هذا الجنون، وفي الجريمة قد اجتمعوا في نفس المكان.

هــل تــتجرأ وتنكر ذلك؟ لماذا أنت صامت؟ سوف أثبت التهمة إذا أنكرت ذلك. لأننى أرى هنا فى مجلس السناتو هؤلاء الرجال الذين كانوا معك.

٩- يأيتها الآلهة الخالدة ! أين مكاننا فى العالم؟ وفى أى مدينة تعيش؟ وأى جمهورية نستحوذ عليها؟

هنا، هنا يوجد أيها الآباء المختارون (المسجلون) فى هذا المجلس المقدس والمــبجل جداً للعالم كله، رجال يخططون لدمارنا كلنا، ويخططون لدمار هذه المدينة والعالم على السواء.

أنا القنصل أراهم وأطلب المشورة فيما يختص بالجمهورية. وأنا لا أجرح بكلامى هؤلاء الذين كان يجب أن يُذبحوا بالسيف.

لقــد كنت موجوداً حينذاك فى منزل لايكا فى تلك الليلة يا كاتيلينا، ووزعت أجزاء إيطالياً، وحددت المكان الذى يرغب كل شخص فى الذهاب إلــيه، واخترت الرجال الذين ستتركهم فى روما، والرجال الذين ستأخذهم معــك، ووزعــت أجزاء المدينة التى ستُحرق، وأكدت أنك ستذهب حالاً، وقلت إنك ستتأخر لفترة قصيرة لأننى ما زلت أعيش، وكان يوجد فارسان رومانــيان لكى يزيحوا عنك ذلك القلق، ووعداً بأنهما سوف يقتلاننى على فراشى قبل الفجر بقليل.

١٠- لقــد عرفــت جمــيع هذه الأمور بعدما انفض اجتماعكم، وقمت بتحصــين منزلى وتعزيزه بحراس أكثر، ولم أهتم بهؤلاء الرجال الذين أرسلتهم لى ليلقوا التحية على فى الصباح لأن هؤلاء الرجال جاءوا فى وقت كنت قد أخبرت فيه عديداً من الرجال البارزين ليأتوا إلى.

حيث إن الموقف هكذا، اذهب يا كاتيلينا إلى المكان الذى كنت تنوى الذهاب إلــيه، غــادر المدينة حالاً، وواصل سيرك فالأبواب مفتوحة، فإن معسكر مانليوس ينتظرك منذ فترة طويلة كقائد له. اصطحب معك رجالك جميعهم

كذلـك معـك، وإن لم يتيسر اصطحاب الجميع، فاصطحب معك الكثيرين مـنهم بقـدر مـا تستطيع وطهر المدينة. فإنك سوف تحررنى من خوفى العظـيم مـا دام يوجد حائط بينى وبينك. إنك لن تستطيع البقاء معنا مدة أطول، فلن أتحمل هذا، ولن أتسامح، ولن أسمح بهذا.

١١- شـكراً جـزيلاً للآلهة الخالدة، وبخاصة الإله جوبير المنقذ، أقدم حـامى لهـذه المدينة لأننا نجونا من ذلك الوباء المكروه جداً، والمرعب والخطير عدة مرات.

يجـب ألا تتعرض سلامة الجمهورية للخطر من جانب شخص واحد، وبينما كنت أنا قنصلاً منتخباً تآمرت ضدى يا كاتيلينا، ولم أدافع عن نفسى بحرسى العام ولكن بحذرى الخاص.

وعندما انتهت انتخابات القنصلية، وأصبحت قنصلاً، أردت قتلى وقتل منافسيك فى الكامبوس، وقمت أنا بإحباط محاولاتك الإجرامية بحماية الأصدقاء والقوات العسكرية بدون إثارة أى قلاقل عامة. بالاختصار، غالباً مـا هددتـنى، وقاومـتك لأنـنى رأيـت أن موتى سيجلب كارثة عظيمة للجمهورية.

١٢- وأنـت الآن فعـلاً تهـاجم الجمهورية كلها علانية، وتجلب الدمار والخـراب إلـى معـابد الآلهـة الخـالدة، ومنازل المدينة، وحياة جميع المواطنين، وإيطاليا بأكملها.

لهـذا السـبب، وحيث إننى لا أتجرأ على فعل الشئ الأساسى الذى يناسب هـذه الحكومة، ويناسب نظم الأسلاف، فأننى سوف أفعل الشئ الذى يعتبر أكـثر تسـاهلاً ويتسم بالقسوة والشئ الذى يُعتبر أكثر نفعاً ويتعلق بالأمن العام.

ففـــى الواقع، إننى إذا أصدرت أمراً بقتلك، فسوف يتبقى فى الدولة بقية زمـــرة المتآمرين، ولكنك إذا غادرت المدينة كما نصحتك منذ فترة طويلة، فـــإن المديـــنة سوف تتخلص من رواسب الجمهورية العظيمة، والمدمرة (المؤلفة) من زملائك.

١٣- ماذا هناك يا كاتيلينا؟ هل أنت متردد فى فترة رئاستى فى عمل ذلك الشئ الذى كنت تنوى عمله من تلقاء نفسك؟ أن القنصل يأمر عدو الدولة بمغادرة المدينة. وأنت تسألنى: هل هذا منفى؛ أنا لا أمر بذلك، ولكنك إذا سألتنى المشورة، فأنا أنصح بأن تغادر المدينة.

مـــاذا يجلب عليك السرور الآن فى هذه المدينة، حيث لا يوجد بها شخص ما يخافك، أو شخص ما يكرهك عدا مؤامرة هؤلاء الرجال المنبوذين.

يالهـــا من شائبة عار لم توصم حياتك الخاصة! وياله من عار فى صلاتك الشخصية لا يتعلق بسمعتك! ويا لها من شهوة لم تصبغ عينيك، ويا لها من جريمة لم تصبغ يدك، ويا له من عار لم يلطخ جسدك كله!

فكـــم مـــن شـــباب قد أوقعته فى شراكك بإغرائك إلا وقد أعددت السلاح لجريمته أو الشعلة لشهوته؟

١٤- مـــاذا بعـــد ذلك؟ عندما خصصت حجرة فى منزلك حديثاً من أجل زواجـــك الجديـــد بعد قتلك لزوجتك السابقة، ألم تضف هذه الجريمة إلى الجريمة الأخرى التى لا يمكن تصديقها؟ أنا أغض البصر عن هذا وأتحمل الصـــمت بسهولة حتى لا يبدو أنه إما قد أقيمت جريمة بمثل هذه الشناعة، أو أنها مضت بدون عقاب.

وأنا أغض البصر عن دمار ثروتك التى تدرك أنها تهددك تماماً فـــى اليوم الثالث عشر من هذا الشهر. وأنا أصل لمثل هذه الأمور التى لا

تــتعلق بفضيحتك الشخصية بسبب أخطائك، ولا تتعلق بورطتك الشخصية وعارك، وإنما تتعلق بالمصلحة العليا للدولة، وبحياتنا وسلامتنا جميعاً.

١٥- هل يمكن أن يمتعك هذا الضوء يا كاتيلينا، أو هل يمكن أن تتمتع بالتــنفس مــن هذا الهواء عندما تعلم أن كل شخص من هؤلاء الرجال يعرف أنك فى اليوم الأخير من شهر ديسمبر أثناء فترة قنصلية ليبيدوس وتوللوس ظهرت مسلحاً فى المجلس؟ ألم تجهز عصابة من أجل اغتيال القناصل وزعماء الدولة؟

لم يمنع العقل أو الخوف جريمتك وجنونك ولكن الذى منع جريمتك هو حظ الشعب الرومانى.

إنــنى أغض البصر عن تلك الجرائم (لأنها ليست مجهولة وقليل مــنها ارتكب بعد ذلك)، فكم مرة حاولت قتلى عندما كنت قنصلاً منتخباً، وكم كانت ضرباتك كثيرة وهادفة وتبدو وكأنه لا يمكن تفاديها، وقد تفاديتها بالحــركة الخفــيفة والحيلة، وأنت لا تفعل شيئاً، ولا تجنى شيئاً، ومع ذلك فأنت لا تتوقف عن المحاولة والأمل.

١٦- كثــيراً مــا لُــوى ذلك الخنجر من يديك! غالباً وكثيراً ما وقع بالصــدفة وانــزلق. وأنا لا أعلم ما هى الطقوس والتضحيات التى قدمتها لتــباركه وتقدســه لأنــك اعتقدت أنه من الضرورى أن تغمده فى جسد القنصــل. والآن ماذا تكون حياتك هذه؟ لأننى سوف أتحدث إليك حتى لا أبــدو وكأنــنى أهتز بالكراهية كما ينبغى، ولكننى أتأثر بالعطف الذى لا يناسبك. لقد أتيت إلى مجلس السناتو منذ فترة قصيرة. فمَن حياك من هذا الحشد من أصدقائك العديدين، ومن معارفك؟

فلــو لم يصب الحظ شخصاً ما بعد هذا الموضوع فى التاريخ، فهل تتوقع الإهانة بالكلمات عندما يواجهك الحكم الخطير جداً وهو الصمت.

مـا السـبب فى أن تلك المقاعد تُترك خالية عند قدومك، فجميع القناصل الذيـن أعـددت لهم الموت يتركون أماكن جلوسهم خالية وفارغة بمجرد جلوسك، فبأى المشاعر تعتقد أنه يجب عليك أن تتحمل ذلك.

١٧- بحـق هيراكلـيس، لو كان عبيدى يخافوننى بذلك الأسلوب الذى يخـافك بـه جمـيع المواطنين، فإننى اعتقد أنه يجب على أن أرحل من منزلى.

فهل تفكر فى مغادرة المدينة؟ إننى إذا رأيت كونى شخصاً مشكوكاً فـى أمـره بطريقة محزنة جداً، وإننى شخص مكروه جداً، فأنا أفضل ألا يرانى زملائى المواطنون أكثر من أن ترانى عيون الجميع المعادية.

وأنـت تعرف لأنك تدرك جرائمك، أنك تستحق كراهية الجميع، فهل أنت متردد لتتحاشى رؤية ووجود هؤلاء الذين أذيت مشاعرهم وعقولهم؟

فلـو أن والديـك كانوا يكرهونك ويخافونك، ولم تستطع أن تصالحهم بأى أسلوب، فأنا اعتقد أنك سوف تنسحب من أمام أعينهم.

والآن الوطن، والدنا جميعاً يكرهك ويخافك ويقرر أنك لمدة طويلة لا تفكر إلا فيما يتعلق بهلاكه. ألن تحترم سلطته، وتطيع قراره، وتخاف من قوته؟

١٨- فهو يا كاتيلينا ما زال يتعامل معك، فبالرغم من صمته، فإنه يتكلم هكذا:

"لـم تُرتكب جريمة منذ سنوات طويلة عدا الجريمة التى ارتكبتها، ولـم يكـن هـناك عـار سوى عارك، فأنت وحدك الذى قتلت العديد من المواطنين وأذيت الحلفاء وجردتهم بدون أن تناول عقوبة، وكنت قادراً ليس فقـط على إهمال القوانين والمحاكم، ولكنك كنت كذلك قادراً على تعطيلهم وتدميرهم.

لقــد تحملتُ بقدر ما استطعت تلك الأفعال السابقة بالرغم من أنها كانــت أفعالاً لا تحتمل، ولكننى الآن لا يجب أن أتحمل الخوف بوجه عام بســببك وحدك، وما يصدر من صوت، ويجب أن يُخشى من بأس كاتيلينا، ويبدو أنه لا يوجد خطة تستطيع أن تحيكها ضدى وترتبط بجريمتك.
لهــذا الســبب غادر المدينة، وحررنى من هذا الرعب، فلو كان هذا شيئاً حقيقــياً، فأنــا لــن أســحق، ولو كان أمراً مزيفاً فأننى أخيراً أتوقف عن الخوف".

١٩- وإذا تحــدث وطــنك إلــيك هكذا كما تحدثت أنا إليك، ألن تحقق مطلبه، حتى إذا لم يستطع استخدام القوة.

ما هو السبب فى أنك وضعت نفسك تحت التحفظ، وأنك ذكرت أنك وددت أن تعيش فى منزل مانليوس ليبيدوس لتتحاشى الشك؟
فبعدما رفض استقبالك، تجرأت وجئت إلىّ وطلبت منى حمايتك فى منزلى، وحصــلت مــنى علــى الإجابة بأننى لا أستطيع أن أكون فى مأمن معك بطــريقة ما داخل حوائط المنزل وأنا كنت فى خطر عظيم، لأننا محاطين بــنفس حوائط المدينة، وقد ذهبت إلى منزل القاضى كوينتوس ميتيللوس، وعــندما رفض استقبالك، لجأت بعد ذلك إلى صديقك، ذلك النبيل المهذب مــاركوس ميتــيللوس، لأنك بالطبع اعتقدت أنه سيكون حريصاً جداً على حراســتك، وماكراً جداً فى شكوكه نحو الآخرين، وشجاعاً جداً فى الدفاع عنك.

ولكــن إلى أى حد يبدو له أنه بعيد عن السجن والقيود، ويحكم على نفسه بأنه يستحق الحراسة.

٢٠- حيث إن هذه الأمور تمضى على هذا النحو يا كاتيلينا، فهل أنت متردد ــ إن لم تستطع الموت بهدوء ــ فى الرحيل إلى بلد آخر، وإنقاذ حياتك من عقوبات كثيرة عادلة وواجبة، ومن المنفى والعزلة.

أنا أعرض الموضوع على مجلس السناتو لأنك تطلب ذلك، وإذا قررت هذه الهيئة بترحاب ضرورة ذهابك إلى المنفى، فإنك تقول إنك سوف تُطيع. وأنا لن أشير عليها بذلك، فذلك لا يتفق مع مبادئى، وسوف تفهم فيما يفكر فيه هؤلاء الرجال بشأنك.

أترك المدينة يا كاتيلينا، حرر البلد من الخوف إذا كنت منتظراً هذه الكلمة، فاذهب إلى المنفى.

ماذا يا كاتيلنا؟ هل تلاحظ، وهل تفهم سكوت هؤلاء الرجال، فهم يوافقون على هذا عندما يصمتون. لماذا تنتظر كلمتهم بينما أنت تلاحظ أن رغبتهم متضمنة فى صمتهم.

٢١- فلو قلت أنا نفس الشئ لذلك النبيل الشاب بوبليوس سيستيوس، وكذلك لأشجع الرجال، ماركوس ماركيللوس، فإن مجلس السناتو سوف يمنحنى أنا القنصل يديه القوية فى نفس ذلك المعبد بعدالة تامة جداً.

ومع ذلك يا كاتيلينا، فى حالتك هذه إنهم عندما يصمتون، فإنهم يوافقون، وعندما يوافقون فإنهم يقررون، وعندما يصمتون فإنهم يصرخون عالياً.

وهذا حقيقى فسلطة هؤلاء الرجال ليست عزيزة عندك، وحياتهم رخيصة جداً لديك، ولكن هؤلاء الفرسان الرومان المبجلين، والنبلاء، والمواطنين الآخرين البواسل يقفون حول مجلس السناتو.

أنت استطعت أن ترى تجمعهم، وأدركت حماسهم، وسمعت أصواتهم منذ وهلة قصيرة،وأنا منعت أيديهم وأسلحتهم عنك بصعوبة لمدة طويلة. وسوف

أحثهم بسهولة ليصطحبوك إلى أبواب المدينة تاركاً هذه الأشياء التى رغبت فى تدميرها.

٢٢- ومع ذلك، لماذا أتكلم؟ كأن أى شئ ممكن أن يثيرك كأنك تستطيع أن تصلح من نفسك، كأنك قد تفكر فى الهرب، كأنك قد تفكر فى أى منفى.

يا ليت الآلهة الخالدة تهديك إلى تلك الفكرة، ومع ذلك فإننى أرى إذا كنت خائفاً من كلامى، فاقتنع بالذهاب إلى المنفى.

إن عاصفة الكراهية الشديدة تهددنا بسبب ذكرى جرائمك إن لم يكن فى الوقت الحاضر على الأقل، فمن المؤكد أنه سيحدث بعد ذلك فى المستقبل. ولكن هذا الأمر يستحق كل ذلك بشرط أن يبقى دمارك موضوعاً خاصاً، وأن تبتعد الأخطار عن الدولة.

يجب أن تقتنع بالعدول عن أخطائك، ويجب أن تخاف من عقوبة القوانين وتستسلم لاحتياجات الدولة، وهذا شئ لا يُسأل عنه لأنك يا كاتيلينا لست بالرجل الذى يرده الخجل عن العار، أو يرده الخوف عن الخطر، أو يرده العقل عن الجنون.

٢٣- كذلك بعد أن قُلتها مراراً، أذهب وإذا رغبت فى إثارة الكراهية ضدى أنا عدوك كما تدعونى، فاذهب رأساً إلى المنفى، ولو فعلت ذلك فسوف أتحمل بصعوبة أحاديث الناس.

وإذا ذهبت إلى المنفى بناء على أوامر من القنصل فسوف أتحمل بصعوبة عبء تلك الكراهية، وإذا كنت تفضل أن تمنحنى ثناءً ومجداً، فاذهب واصطحب معك عصابة المجرمين المتوحشة، واتجه إلى مانليوس، وادفع بالمواطنين الأشرار إلى الثورة، وأبتعد عن الرجال الأخيار، واجلب حرباً

ضـــد وطـــنك، وابـــتهج بالسرقة التى يحرمها الدين، حينئذ سيبدو أنك قد ذهبت، وأننى لم أطردك لتلتحق بحلفائك ولكنك دُعيت لتلتحق بأعوانك.

٢٤- ومـــع ذلك، لماذا يجب أن أحثك، لأننى أعلم أنك قد أرسلت بالفعل رجـــالاً لينـــتظروك مســـلحين فى فوروم أوريليوم، وأنا أعلم أنك رتبت وحددت يوماً مع مانليوس، وأنك أرسلت كذلك النسر الفضى الذى أثق أنه سيكون سبباً فى الدمار والهلاك لك ولجميع أتباعك، لأن هذا النسر قد أقيم فى منزلك بمثابة كعبة للشرور.

هـــل تســـتطيع أن تســـتغنى لمدة طويلة عن ذلك الذى كنت متعوداً على احـــترامه عندما انطلقت للقتل، لقد رفعت يدك اليمنى الكافرة من أجل قتل المواطنين، من أمام محرابه.

٢٥- إذن ستذهب أخيراً حيث استعجلك جشعك الطائش المجنون طويلاً. حقاً أن هذا لم يجلب حزناً لك، ولكنه جلب لك لذة لا يمكن تخيلها. فالطبـــيعة حملتك إلى ذلك الجنون، والرغبة دربتك، والثروة أنقذتك، وأنت لم ترغب فى السلام، ولا حتى فى الحرب إلا إذا كانت حرباً إجرامية.

فأنـــت لديك عصابة من المجرمين تألفت من هؤلاء الذين هجروا ليس فقط الثروة، بل تخلوا أيضاً عن الأمل.

٢٦- ما هو السرور الذى ستستمتع به من هذه العصابة، وما هى الفرحة التى ستستمتع بها، وكيف ستحتفل بشعائر الإله باخوس حيث إنك لن تسمع ولن ترى أى رجل مستقيم من بين أصدقائك العديدين.

ولقـــد كانت أعمالك هذه التى يتكلم عنها الناس ممارسة جيدة مثل الاستلقاء علـــى الأرض لـــيس فقـــط من أجل تطويق فُجرك، ولكنه كذلك من أجل ارتكـــاب جـــريمة ما. واليقظة ليس فقط من أجل التآمر ضد نوم الأزواج فقـــط، ولكنه تآمر من أجل الاستيلاء على بضائع المواطنين الآمنين، فأنت

لديــك الفرصـــة لــتظهر قدرتك المشهورة التى تتحمل بها الجوع والبرد والاحتياج لكل شئ، وستعرف حالاً أن هذه الأشياء قد أهلكتك.

٢٧- لقــد أنجزت أنا ذلك عندما أبعدتك عن القنصلية، وربما كنت أنت كمنفى قادراً على مهاجمة الدولة أكثر من مضايقتها كقنصل، وربما يُسمى هذا العمل الإجرامى الذى أنجزته أنت سرقة أكثر من كونه حرباً.

والآن أيهــا الآبــاء المســجلون، ربما اعترض بالتوسل والدعاء من أجل شكوى البلد العادلة، فأنا أتوسل إليكم أن تدركوا ما سوف أقول، واستوعبوا هذه الأمور بقلوبكم وعقولكم بعمق أكثر.

إذا تكلــم الوطــن إلـــى أنا، وهو عزيز لدى أكثر من حياتى، وإذا تكلمت إيطاليا بأكملها، والدولة كلها هكذا:

"يـــا ماركوس تولليوس، ماذا تفعل؟ لقد اكتشفت أن هذا الرجل عدو عام، وتــرى أنـــه سيصير قائداً للحرب، وأنت تعلم أن الرجال ينتظرونه كقائد لمعســكر الأعداء، فهو مؤلف الجريمة، وزعيم المؤامرة، ومحرض للعبيد والمواطنيــن المجرمين، فعل تدعه يذهب بمثل هذه الطريقة لدرجة أنه لا يــبدو عليه أنه مطرود من المدينة من ناحيتك، ولكنه يبدو كمطلق السراح فـــى المديـــنة. لماذا لا تأمر بأن يُلقى فى السلاسل، ويلقى الموت، ويُعاقب بأقصى عقاب؟ ماذا يمنعك؟ هل هى عادة الأسلاف؟

٢٨- ولكن المواطنين فى هذه الدولة غالباً ما يعاقبون الرجال الخطرين بالموت.

أو هل ما يمنعك هو القوانين التى تم سنها لمعاقبة المواطنين الرومان؟ ولكــن هــؤلاء الذيــن قاموا بالثورات ضد الدولة هنا لم يتمتعوا بحقوقهم كمواطنين. هل تخاف من كراهية الأجيال القادمة؟

وأنــت تُظهــر امتــنانك الرائع للشعب الرومانى الذى رفعك كرجل بارز بأعمــالك أنت وليس بمدح أسلافك من بداية سلم الوظائف الحكومية حتى أعلــى ســلطة، ومن خلال جميع درجات الوظائف الحكومية. فأنت تهمل سلامة مواطنيك بسبب الخوف من الكراهية أو الخوف من أى خطر.

٢٩- وإذا كــان هناك خوف من الكراهية فلا يجب أن نخاف بشدة من الكراهــية الــنابعة مــن القسوة والشجاعة أكثر من الكراهية النابعة من التراخى والإهمال.

فعــندما تدمــر الحرب إيطاليا، وتنهار المدن، وتُحرق المنازل، فهل تظن حينئذ أنك لن تحترق بنار الكراهية؟".

ســوف أجيــب على كلام الدولة الوقور جداً باختصار وعلى آراء رجالها الذين يفكرون بنفس هذا الفكر.

فــإذا أنــا حكمت بإنه إذا كان من الأفضل، أيها الآباء المسجلون! أن يُقدم كاتيلينا للموت، فلن أعطى لذلك الجلاد (كاتيلينا) متعة ساعة واحدة للحياة، وإذا لــم يُلــوث معظم رجالنا ومعظم المواطنين المشهورين أنفسهم، ولم يكــرموا بــدم أتــباع ساتورنينوس والأخوين جراكوس، ودماء فلاكوس، ورجال كثيرين من الزمن القديم.

فأنــا بالتأكــيد لن أخاف من الكراهية التى ستُلصق بى فى المستقبل عندما يُقضى على قاتل المواطنين هذا. ولكن إذا كان هذا الأمر يهددنى بشدة، فأنا أعتقد أن الكراهية النابعة من الشجاعة تعتبر مجداً وليست كراهية.

٣٠- ومع ذلك، يوجد بعض الأعضاء فى هذه الهيئة الذين لا يرون هذه المصائب التى تهددنا أو يتظاهرون بأنهم لا يرونها، فهؤلاء قد غذوا آمال كاتيلينــا بمقايــيس ســهلة، وقــووا المؤامرة التى تنمو بعدم الاعتقاد فى وجودها، وتحت نفوذهم سيذكر كثير من الرجال الأوغاد، وكذلك الجاهلين

أننى قد فعلت ذلك بقسوة الطغيان لو أننى عاقبت كاتيلينا، والآن أنا أعرف لـــو أنه وصل إلى معسكر مانليوس حيث المكان الذى يقصده، فلن يكون هناك شخص ما يرى أن المؤامرة لم تأخذ شكلها، ولن يكون هناك مجرم مـــا ينكر وجودها. وإذا قُتل هذا الشخص بمفرده، فأنا أفهم أن هذا الوباء يمكن أن يُصد فى الدولة لفترة طويلة ولكنه لا يُسحق أبداً.

ولكـــنه إذا انســـحب وأخـــذ أصدقاءه معه، وجمع فى نفس المكان رجاله المنبوذيـــن الآخرين الذين جمعهم من كل مكان، فسوف يُفنى ويُدمر ليس فقط هذا الوباء المتفشى فى الدولة، ولكن كذلك جذور وبذور الشر كله.

٣١- أيهـــا الآبـــاء المســـجلون! لقد عشنا لمدة طويلة بين أخطار هذه المؤامرة ومكائدها، ولكن بطريقة ما فى أثناء فترة قنصليتى حدث نضوج لجمـــيع جـــرائمك، وجـــنونك القديـــم ووقاحتك. وإذا أُبعد هذا الرجل من مجموعة اللصوص هذه، فربما نبدو وكأننا ارتحنا من الهم والخوف لفترة قصـــيرة، ولكن الخطر سيبقى وسيختبئ عميقاً فى العروق، وفى الأعضاء الحـــيوية للدولة، تماماً مثل رجال مرضى بمرض خطير، ويتقيأون عندما تلتهب الحمى فيشربون ماءاً بارداً، فيبدون فى البداية وكأنهم قد استراحوا ولكـــنهم يقاسون فيما بعد بعنف وبشدة أكثر. هكذا يوجد هذا المرض فى الدولـــة، فبالرغم من أنها قد استراحت بعقوبة هذا الرجل، إلا أنها تصبح أكثر سوءاً طالما لا يزال الآخرون أحياء.

٣٢- لذلـــك، اتـــركوا الأشـــرار يرحلون، ودعوهم ينعزلون عن الرجال المستقيمين، ودعوهم يجتمعون فى مكان واحد.

وأخـــيراً كمـــا قلت غالباً، دعوهم ينعزلون عنا بحائط، ودعوهم يتوقفون متربصـــين للقنصل فى منزله الخاص، ويقفون حول مقعد قاضى المدينة،

ويحاصـــرون الكوريــا (مقــر مجلس السناتو) بالسيوف، ويعدون الرماح والمشاعل ليحرقوا بها المدينة.

وأخيراً يجب أن يُنقش على جبين كل رجل يفكر بشأن المدينة. وأنا أعدكم بهــذا، أيهــا الآبـــاء المسجلون! بأنه سيكون عندنا نحن القناصل مثل هذا الاجتهاد، وستكون عندكم مثل هذه السلطة، وستكون عند الفرسان الرومان مثل هذه الشجاعة، وسيكون عند جميع الرجال المستقيمين الأخيار مثل هذا الاتفــاق الودى. فبعد مغادرة كاتيلينا، سترون أن جميع الأمور قد انكشفت واتضحت، وأُخضعت وعُوقبت.

٣٣- انطلــق يا كاتيلينا بهذا الفأل إلى حربك الشريرة، الكافرة، واجلب الأمان الأكبر للدولة، واجلب الدمار لنفسك والخراب لهؤلاء الذين تحالفوا معك فى كل جريمة وقتل.

يــا جوبيــتر! يــا من أسست هذه المدينة تحت نفس هذه النبؤات بواسطة رومولــوس، ونحــن أطلقنا عليك اسم المنقذ لهذه المدينة والإمبراطورية. اطــرد ذلك الرجل وحلفاءه من معابدك ومن المعابد الأخرى، ومن مساكن هــذه المدينـــة، وأسوارها، ومن حياة جميع المواطنين وثرواتهم، وعاقب هــؤلاء الــرجال، أعداء الرجال المستقيمين الأخيار، أعداء الوطن، سالبى إيطاليا، الذين توحدوا بمعاهدة واتحاد كريه ـ بالعقوبات الأبدية سواء فى حياتهم أو بعد مماتهم.

الخطبة الثانية (ضد كاتيلينا) التى أُلقيت أمام الشعب:

١- أخــيراً أيهــا المواطنيــن، طــردنا لوكيوس كاتيلينا من المدينة، وأبعدناه، وقلنا له وداعاً عندما غادر المدينة، فهو مجنون يلهث بالجريمة، ويــتآمر بشـــدة من أجل دمار المدينة، ويهددكم ويهدد هذه المدينة بالسيف

والنار. لقـــد ذهب وغادر المدينة، وهرب، ونجا بنفسه. والآن لن يعدّ ذلك الوحـــش الأعجوبـــة أى تدمير من داخل الأسوار ضد أسوارنا. لقد هزمنا قـــائد الحـــرب الأهلية هذا بدون نزاع، لأن خنجره لم يستقر فى جوانبنا، ونحـــن لن نخافه فى كامبوس مارتيوس، ولا فى الفوروم، ولا فى الكوريا (مجلـــس السناتو)، ولا فى داخل أسوار منازلنا. لقد أُبعد من مكان امتيازه عندما طُرد من المدينة. ونحن الآن لن نشن حرباً عادلة مفتوحة مع العدو، ولن يعوقنا أحد، وبدون شك دمرنا الرجل وهزمناه بجدارة عندما دفعنا به من الكمين المختفى فيه إلى سرقة علنية.

٢- ولكن لأنه لم يحمل معه سيفاً ملطخاً بالدماء، كما كان يرغب لأنه رحـــل تاركاً إيانا أحياء لأننا لوينا سيفه من يديه، لأنه ترك المواطنين فى أمان وترك المدينة لا تزال قائمة.

فبأى حزن تعتقدون أن ذلك الرجل قد أُصيب واغتمّ. وهو الآن يرقد ممداً، أيهـــا المواطـــنون! ويعرف أنه قد طُرد وأُلقى به بعيداً، وبالتأكيد هو يدير عينـــيه تجـــاه هذه المدينة ويندب حظه لأنها انتُزعت من بين أنيابه، ولكن يبدو لى أن المدينة مبتهجة لأنها أزاحت هذا الوباء، وألقته بعيداً.

٣- وإذا كـــان يوجـــد أى شـــخص يتصرف كما ينبغى أن يتصرف الجميع، ويتهمنى بنفس الشئ الذى يُعدّ فخراً لى وانتصاراً لخطبتى، فأنا لم ألـــق القـــبض على هذا العدو البغيض أكثر من أننى أرسلته بعيداً، وهذه ليســـت غلطتى أيها المواطنون! وإنما هى غلطة الزمن. فقد كان يجب أن يُعدم لوكيوس كاتيلينا منذ زمن طويل، ويُقاسى من عقاب شديد. فقد كانت عـــادة أســـلافنا وصـــرامة هذه الحكومة والدولة تطالبنى بذلك، ولكن كم تفـــتكرون عدد هؤلاء الذين لا يعتقدون فما أقرره؟ وكم عدد هؤلاء الذين يدافعون عنه؟

ولـــو أننى فكرت فى أن الخطر كله سيُبعد عنكم بالتخلص منه، لما تحملتُ لوكـــيوس كاتيلينا لفترة طويلة مخاطراً ليس فقط بعدم شعبيتى، ولكن كذلك بحياتى.

٤- ولكنـــنى عـــندما رأيت أنكم جميعاً لن توافقوا على هذا الإجراء، وإنـــنى إذا عاقبـــته بـــالموت كما يستحق، فأنا سوف ألقى الكراهية، ولن أســـتطيع معاقـــبة حلفائه، ولقد أعددتُ الأمر لتتمكنوا من الحرب علانية عندما ترون العدو بوضوح، وأنتم ربما تعلمون أننى فكرت أن هذا العدو يجب أن يخاف بشدة من الفوروم، أيها المواطنون! وإننى متكدر لأن القليل ذهـــب معه عندما غادر المدينة. ويا ليته قد أخذ معه جميع قواته، فقد أخذ معه تونجيليوس.

إننى ألاحظ أنه قد أحبه فى طفولته المبكرة، وقد أخذ معه كذلك بوبليكيوس، ومينوكيوس، وكانت ديونهم فى المطاعم، ولم تجلب أى متاعب للدولة. وقد تـــرك هؤلاء الرجال. فكم كانت ديونهم كبيرة، وكم هم رجال بواسل، وكم هم نبلاء!

٥- وبمقارنـــة الفـــرق الغالـــية، وحشد الجنود الذين وضعه كوينتوس ميتـــيللوس فى مدينة بيكينوم وغالة، وبمقارنة هذه القوات التى نعدها نحن يومـــياً، فإنـــنى أزدرى تماماً جيشه هذا المؤلف من رجال مسنين يائسين، ذوى الرفاهـــية العالـــية، ومن المسرفين الريفيين، وهؤلاء الذين يفضلون مصادرة الديون أكثر من هجرهم لجيشه.

وإذا أنـــا عرضـــت لهؤلاء الرجال ليس فقط طابور جيشنا، بل كذلك قرار البريتور، فإنهم سوف ينهارون.

إنـــنى أرى هؤلاء الرجال الذين يفرون إلى الفوروم، والذين يقفون بالقرب مـــن الكوريا، وهؤلاء الذين يأتون إلى مجلس السناتو، والذين تفوح منهم

رائحـــة العطـــور، ويـــتألقون بالأرجوان، فقد كنت أفضل أن يأخذهم معه كجـــنود له، فإذا مكثوا هنا، فتذكروا أنه لا يجب أن نخاف من جيشه أكثر مـــن هـــؤلاء الذين تركوا جيشه، وهم يجب أن يخافوا أكثر لأنهم يدركون أننى أعلم بما يفكرون فيه، ومع ذلك فهم لا يتحركون.

٦- وأنـــا أرى لمـــنْ وزعت عليه أبوليا، فهو يستحوذ على إتروريا، وبيكينوم، وغالة، وطالب بخطط للقتل والحرق داخل المدينة، وهم يعلمون أن جمـــيع خططهـــم فـــى الليلة السابقة قد وصلت إلى علمى. وأنا كشفت النقاب عنها أمس فى مجلس السناتو، وكان كاتيلينا نفسه خائفاً وهرب. ما الذي ينتظره هؤلاء الناس؟

إنهـــم مخطئون يقيناً إذا كانوا يأملون فى أن تساهلى السابق سيستمر للأبد، ومـــا انتظرته طويلاً، حصلت عليه الآن حيث أنكم جميعاً ربما ترون أن المؤامرة قد حيكت علانية ضد الدولة.

وإذا لم يوجد أى شخص يعتقد أن رجالاً مثل كاتيلينا لا يشعرون كما يشعر أنه كاتيلينا لا يوجد أى مجال للتساهل لأن القضية تتطلب القسوة.

سوف أقبل الآن أمراً واحداً، دعوهم يرحلون، دعوهم يغادرون المدينة، لا تســـمحوا لأعـــوان كاتيلينا بأن يتركوا كاتيلينا يشتاق إليهم بطريقة بائسة. ســـوف أبينُ الطريق: لقد سار فى طريق أوريليوس، وإذا أرادوا الإسراع فسيلحقون به فى المساء.

٧- كـــم ستكون الدولة محظوظة إذا ألقت برواسب مياه المدينة، فبحق هيراكلـــيس! أن الدولـــة قد تطهرت من كاتيلينا، ويبدو لى أنها استراحت وألقـــت همومها عن كاهلها. ما هو العمل الشرير أو الجريمة التى يمكن تخيلها أو تصورها، والتى لم يتصورها كاتيلينا؟

يا له من واضع السم فى إيطاليا كلها، يا له من جلاد، يا له من قاتل، يا له من سفاح، يا له من مزيف للوصايا، يا له من نصاب، يا له من مسرف، يا لــه من فاسق، يا له من امرأة سيئة السمعة، يا له من مفسد للشباب، يا له من محرض للفساد. هل يمكن أن يوجد شخص منبوذ يعترف انه قد عاش مع كاتيلينا بطريقة ودية جداً. يا لها من مذبحة أُرتكبت خلال هذه السنوات بدونه، ويا له من فسق تم بدونه.

٨- حقــاً يالــه من رجل أظهر مثل هذه الإغراءات للشباب، مثل هذا الـــرجل؟ وهو نفسه أحب البعض بطريقة فاضحة جداً، وقاد للزنا آخرين بطـــريقة خارجة عن الآداب، ووعد البعض بالإغراق فى الشهوة، ووعد الآخرين باغتيال آبائهم ليس فقط بحثّهم على ذلك، ولكن كذلك بمساعدتهم، والآن مرة أخرى فجأة جمع عدداً كبيراً من المنبوذين بسرعة ليس فقط من المدينة، ولكن كذلك من الحقول. وقد ضم لهذا التحالف فى الجريمة التى لا يمكــن تصــديقها كــل شخص مُثقل بالديون فى روما وفى كل ركن من إيطاليا.

٩- أنــتم تســتطيعون أن تدركــوا كيف كانت اهتماماته متنوعة فى مجــالات مخــتلفة، فــلا يوجد شخص فى مدرسة الجلادين أكثر تحمساً للجــريمة يــنكر أنه صديق حميم لكاتيلينا، ولا يوجد شخص على خشبة المسرح أكثر تفاهة يميل إلى الشر لا يذكر أنه كان صديقاً حميماً لكاتيلينا. وكــان متعوداً على تحمل البرد والجوع والعطش، والسهر عند ممارسته للفحشاء والجرائم.

وكان أتباعه يطلقون عليه لقب المقدام. لقد استنفذ وسائل الاجتهاد وأدوات الشجاعة فى الشهوة والوقاحة.

١٠- كم سنكون سعداء، وكم ستكون الدولة محظوظة، وكم سيكون مدح قنصـــليتى مجيداً إذا لحق به أصدقاؤه، وإذا خرجت من المدينة العصابات الإجرامية المؤلفة من الرجال البائسين.

وحيث إن رغبات هؤلاء الرجال لم تكن متواضعة وجرائمهم غير إنسانية ولا يمكـــن تحملهـــا، فهـــم لا يفكرون فى شئ عدا القتل، وجريمة الحرق والســـلب، فقـــد بددوا أملاكهم، ورهنوا ممتلكاتهم، وزال المال من عندهم، وبدأ فى التلاشى أخيراً، وقد بقيت هذه اللذة التى كانت لديهم بدرجة وفيرة. ولكـــنهم إذا بحـــثوا عن المنافسة فى النبيذ وفى القمار والعاهرات فسوف يصيبهم اليأس، وهم مع ذلك يتحملون.

ولكـــن مـــن يستطيع أن يتحمل هذا، فهؤلاء الرجال الجبناء يتآمرون ضد الـــرجال البواســـل، والحمقـــى ضد الحكماء، والسكارى ضد الصالحين، والكسالى ضد اليقظين.

وأنـــا أقـــول لكم أن هؤلاء الرجال يتكئون على الموائد، يحتضنون النساء الخلـــيعات، وقد أخملهم النبيذ، ومتخمين بالطعام، ومتوجين بأكاليل الغار، وتفوح منهم رائحة العطور، وأنهكتكم الشهوات، ويحثون فى أحاديثهم على قتل الرجال المستقيمين الأخيار وحرق المدينة.

١١- بالإضـــافة إلـــى ذلك، فإننى أثق فى مصير معلق، وعقاب طويل واجـــب لشـــرورهم وتفاهاتهم، وجرائمهم وشهواتهم، وهو إما قريب منهم الآن، أو يقترب منهم بالتأكيد.

ولكـــن إذا لم تتحملهم قنصليتى لأنها لا تستطيع علاجهم، فإن هذا سيطيل حياة الدولة ليس لفترة قصيرة، ولكن لسنوات عديدة. علماً بأنه لا توجد أمة نخافها، ولا يوجد ملك يستطيع أن يشن حرباً ضد الشعب الرومانى.

وقد أُصلحت جميع الشئون الخارجية فى البحر والبر بشجاعة رجل واحد، وقــد بقيت الحرب الأهلية، ويوجد بالداخل المؤامرات، والخطر، والعدو، ومحاربة الرفاهية، والجنون، والجريمة أمر واجب.

وأنـــا أقـــدم نفســـى، أيها المواطنون! بصفتى قائداً لهذه الحرب، وأنا أقبل كراهية الأشرار التى يمكن علاجها، وسوف أشفيها بطريقة ما أو بأخرى، ولـــن أسمح للأعضاء التى يجب أن تُستأصل بالبقاء لتدمير الدولة. اتركوا هــؤلاء الرجال يذهبون أو يهدأون. فإذا بقوا فى المدينة، وكان لديهم نفس الغرض فإنهم سوف يتوقعون ما يستحقونه.

١٢- ولكن أيها المواطنون يوجد بعض الناس الذين يقولون إننى طردت كاتيليــنا إلى المنفى. وإذا استطعت أن أنجز هذا بكلمة، فسوف أطرد نفس هؤلاء الدين يقولون هذا.

إنـــى افـــترض أن هذا الرجل خجول جداً ومتواضع كذلك، لأنه لم يستطع تحمـــل كلمة القنصل. فبمجرد ما أُمر بأن يذهب إلى المنفى أطاع وذهب. ومـــرة أخـــرى، أمس عندما تعرضت للقتل فى منزلى، استدعيت مجلس السناتو فى معبد الإله جوبيتر المنقذ، وعرضت المسألة بأكملها على الآباء المسجلين، وعندما وصل كاتيلينا، فمن هو السناتو الذى خاطبه؟ ومن ألقى علـــيه التحية، وأخيراً من اعتبره مواطناً منبوذاً، وليس أكثر من عدو عام خطـــير. وعـــلاوة على ذلك، ترك رؤساء الدولة ذلك الجزء من المقاعد، حيث كان يجلس، خالياً ومهجوراً.

١٣- وأنا ذلك القنصل الصارم الذى يطرد المواطنين بكلمة إلى المنفى. ســـألت كاتيلينا سواء أكان أو لم يكن فى منزل ماركوس لايكا فى اجتماع الليلة السابقة، وعندما صمت أجرأ الرجال هذا، كشفت أنا الأمور الأخرى، ووضـــحت ما قد فعله فى تلك الليلة، وما قد خططه من أجل الليلة التالية،

وكيف قام بترتيب خطة الحرب كلها. فعندما تردد وارتبك، استفسرت لماذا تـردد للذهـاب إلـى ذلك المكان حيث كان ينوى منذ فترة طويلة ليجهز الأسـلحة والفؤوس، والآلات الموسيقية العسكرية، والإشارات العسكرية، وذلـك النسر الفضى الذى أقامه فى منزله كعبة الجريمة، وأنا علمت أنه أرسله فى المقدمة.

١٤- هـل أنا طردت إلى للنفى ذلك الرجل الذى رأيته يذهب من أجل الحرب؟ وأنا أعتقد أن مانليوس. قائد المائة الذى أقام معسكراً فى مقاطعة فايسـولاى، قـد يشـن حرباً ضد الشعب الرومانى على مسئوليته، فذلك المعسـكر ينـتظر الآن كاتيلينا كقائد له. ولكنه ذهب إلى المنفى بعيداً إلى مارسـيلليا كما يقولون وليس إلى ذلك المعسكر. يا له من حظ تعس ليس فقـط للذيـن يديـرون شئون الدولة، بل كذلك للذين يحمونها. وإذا أُحبط لوكيوس كاتيلينا وأُرهق بحكمتى، ومجهوداتى، ومخاطرتى، فإنه سيصبح فجـأة خائفـاً، وسيغير غرضه، وسيهجر أصدقاءه. وسيترك خطته لشن الحـرب، وسوف يتراجع عن فكرة الجريمة والحرب، ويتجه إلى الهرب والمنفى. ولن يُقال إننى أجبرت هذا الرجل للتخلى عن سلاح الوقاحة، وأن حرصـى لـم يذهله، ولم يخيفه ولم يعطله عن أمله ومحاولته، وإنما قوة وتهديدات القنصل طردته إلى المنفى بغير إدانة، وتمت تبرئته.

فإذا أتبع هذا الاتجاه فسوف يظهر هؤلاء الذين يرغبون فى أن يفكروا أنه لـيس مجـرماً، ولكنه بائس وأننى لست قنصلاً حذراً جداً، ولكننى طاغية قاسى جداً.

١٥- ولكن هذا يستحق اهتمامى، أيها المواطنون! لكى أتحمل عاصفة هذه الكراهية الزائفة، الظالمة بشرط أن خطر هذه الحرب الكريهة الشريرة

تبـــتعد عـــنكم، نعم دعوهم يقولون إننى طردته بعيداً بشرط أن يذهب إلى المنفى، ولكن صدقونى أنه لن يذهب.
وأنـــا لـــن أدعو الآلهة الخالدة، أيها المواطنون! من أجل تخفيف الكراهية عنى، وأنتم ربما تسمعون أن لوكيوس كاتيلينا يقود جيشاً من الأعداء، وهو يذهب هنا وهناك مسلحاً، وفى خلال ثلاثة أيام ستسمعون ذلك.
وأنا خائف جداً أننى ربما أصبح مكروهاً فيما بعد لأننى تركته يذهب أكثر مـــن أننى طردته بعيداً. ولكن يوجد من يقولون إنه طرد الآن، وأنه رحل. ونفس الناس ماذا سيقولون إذا قُتل؟

١٦- ومـــع ذلـــك، فهؤلاء الذين يواصلون القول أن كاتيلينا ذاهب إلى مارسيلليا لا يشتكون من هذا مثلما هم يخافون.
فلا يوجد واحد منهم رحيم لا يفضل الذهاب إلى معسكر مانليوس أكثر من الذهـــاب إلى مارسيلليا، ولكن بحق هيراكليس! إذا لم يفكر فى العمل الذى يفعلـــه الآن، فإنه سيفضل أن يُقتل كلص أكثر من كونه يعيش فى المنفى. ولكـــن الآن حيـــث إنه لا شئ حدث له يخالف ما يرغبه ويتوقعه عدا أنه غادر روما، وتركنى أعيش. فدعونا نأمل أكثر من أن نشتكى أن يذهب إلى المنفى.

١٧- ولكـــن لماذا أتحدث طويلاً عن عدو واحد، وعن ذلك العدو الذى يعـــترف بأنه عدو، وعن عدو لا أخافه طويلاً حيث إنه يفصل بيننا سور، كمـــا رغبت دائماً، ومع ذلك لا أقول شيئاً عن هؤلاء الذين يخفون نواياهم ويبقون فى روما، ويكونون معنا؟
وأنـــا لا أرغب فى معاقبتهم أكثر من رغبتى فى علاجهم، ومصالحتهم مع الدولـــة إذا أمكـــن أن يحدث هذا بطريقة ما. وأنا لا أرى لماذا يكون هذا مســـتحيلاً إذا كـــانوا راغبين فى أن يسمعونى لأننى سوف أبين لكم، أيها

المواطنون! من أى الفئات من الناس تألفت تلك القوات، وحينئذ سوف أقدم الشفاء لكل فئة بقدر ما أستطيع بنصيحتى وبكلامى.

١٨- تتألف الفئة الأولى من هؤلاء الذين ما زالت لديهم ممتلكات كبيرة بالرغم من مديونيتها، وهى ممكن أن تتأثر بالحب، ولا يمكن أن يمزقها شئ ما، ويبدو مظهر هؤلاء الرجال شريفاً جداً لأنهم أغنياء، ولكن نواياهم ومبادئهم مخزية جداً.

وأنتم ربما تكونون أغنياء، وتمتلكون حقولاً، ومنازلاً، ومالاً، وعبيداً وكل شئ، فهل تترددون فى أن تبيعوا بعض ممتلكاتكم لتضيفوا إلى اعتمادكم؟ ماذا تنتظرون؟ الحرب؟ وماذا بعد ذلك؟ فهل تفكرون أن ممتلكاتكم ستُعتبر مقدسة عند التدمير العام؟ أو هل تتوقعون قوائم جديدة؟

أن الذين ينتظرون مثل هذه القوائم من كاتيلينا مُخطئون، فبفضلى ستُقدم قوائم جديدة، ولكنها ستكون قوائم للبيع بالمزاد العلنى، فحقاً هؤلاء الرجال الذين لديهم ممتلكات لن يستطيعوا الإيفاء بطريقة أخرى، ولكن إذا كانوا راغبين فى أن يفعلوا هذا فى وقت مبكر، ولم يحاولوا أن يدفعوا الفائدة بطريقة غبية جداً على ديونهم من دخل الأملاك، فنحن سنجدهم مواطنين ذوى ثروة أكثر، وذوى نفع أكثر.

وأنا أعتقد أن هؤلاء الرجال يجب أن يخافوا لأنهم من الممكن أن ينقادوا بالآراء، أو إذا بقوا (متأثرين بالرأى)، فيبدو لى أنهم سيهاجمون الدولة بأصواتهم أكثر من رفع أسلحتهم.

١٩- تتألف الفئة الثانية من هؤلاء الرجال الذين بالرغم من أنهم مُثقلون بالديون إلا أنهم ما زالوا يأملون فى السيطرة، ويرغبون فى أن يكونوا سادة الدولة، ويفكرون أنهم يستطيعون أن يأمنوا تلك الوظائف عندما تكون

الدولة فى حالة اضطراب، والتى ييأسون من الحصول عليها عندما تكون الدولة فى فترة سلم.

ويبدو لى أنه يجب أن تُعطى لهم نصيحة (وهى بالطبع نفس النصيحة التى قُدمت للآخرين كلهم) حتى ييأسوا من قدرتهم فى الحصول على الشئ الذي يجاهدون من أجله.

فـأول كـل شئ أنا يقظ ومستعد، وأحمى الدولة، وثانياً يوجد المواطنون المستقيمون الأخيار ذوو الشجاعة العظيمة، ويوجد الاتفاق الودى العظيم.

عـلاوة علـى ذلـك توجد قوات عظيمة من الجنود، وأخيراً تظهر الآلهة الخـالدة متمـثلة فـى أشخاصها، وستعطى مساعدتها للمهزومين، ولهذه الحكومـة المشهورة، ولأجمل المدن، فى مواجهة القوة العظيمة للجريمة.

وإذا كـان هؤلاء يجب أن يحصلوا على الشئ الذى يرغبون فيه فى أوج جـنونهم، فهم فى وسط رماد المدينة، وفى دماء المواطنين. إنهم يرغبون بعقلهم الشرير والمجرم، ويأملون فى أن يصبحوا قناصل أو ديكتاتوريين أو حـتى ملوكاً. وهم لا يرون أنهم يرغبون فى الشئ الذى إذا حصلوا عليه يجب عليهم أن يستسلموا لعبد هارب أو لجلاد.

٢٠- تتألف الفئة الثالثة من رجال تأثروا بالفعل بسبب كبر السن، ولكنهم ما زالوا أقوياء نتيجة لتدريباتهم الجسدية. وينتمى مانليوس إلى هذه الفئة، وقد لحق به كاتيلينا الآن.

وأنـا أعـرف أن الـرجال من تلك المستعمرات التى أقامها سلا، والتى أعرفها، ينتمون إلى هذه الفئة، وهم أفضل وأشجع المواطنين، ولكن سكان المسـتعمرات هؤلاء يلهون بطريقة مترفة جداً، ومهينة جداً فى ممتلكاتهم الغـير مـتوقعة، والحاصلين عليها حديثاً. وهم يقيمون منازل مثل منازل الأثرياء، وهم مبتهجون بإقطاعياتهم المختارة، وبعبيدهم الكثيرين وبولائمهم

الفاخــرة، وهم يقعون تحت وطأة الديون الضخمة.لذلك يجب أن يطلبوا أن يرجع إليهم سلا من العالم الآخر، إذا كانوا يرغبون فى سداد الديون، ولقد أثاروا كذلك بعض فقراء المدينة ذوى الدخل المحدود بنفس ذلك الأمل فى الســلب القديم. وقد وضعت أنا كلاً منهم فى نفس فئة اللصوص والسالبين، ولكننى أنصحهم بالآتى:

أن يــتوقفوا عن الجنون والتفكير فى المصادرات والديكتاتورية، لأن حزن تلــك الأوقات قد أحرق الدولة بدرجة أنه لا يبدو لى أنه ليس فقط الرجال، بل الحيوانات المفترسة كذلك يمكن أن تتحمل تلك الأوقات.

٢١- تــتألف الفئة الرابعة ــ وهى فئة متنوعة ومختلطة ومربكة ــ من هــؤلاء الذين أُثقلوا بالديون لمدة طويلة، ومن هؤلاء الذين لم يرفعوا أبداً رؤوســهم فوق الماء، ومن الذين يترنحون تحت وطأة الديون القديمة تارة بسبب كسلهم، وتارة بسبب عملهم السيئ، وتارة أخرى بسبب إسرافهم.

وكثير منهم مُرهق بطلبات الضمانة، والأحكام، ومصادرة الممتلكات، ويُقال إنهم سينتقلون من المدينة والريف إلى ذلك المعسكر.

وأنا اعتقد أن هؤلاء الرجال ليسوا جنوداً متحفزين أكثر من كونهم مفلسين وكســالى فــى تسديد ديونهم، وإذا لم يستطع هؤلاء الرجال تسديد ديونهم، فدعوهــم يهلكون بأسرع ما يمكن، ولكن بمثل هذه الطريقة التى لا تعرفها الدولــة، ولا يعرفها حتى أقرب جيرانهم. لأننى لا أعلم لماذا ذلك، فإن لم يســتطيعوا أن يعيشــوا بشرف، فهم يرغبون فى أن يُقضى عليهم بطريقة مشينة، أو لماذا يفكرون فى أنهم سينتهون بحزن أقل بوجودهم مع الكثيرين أكثر من كونهم سينتهون وحدهم.

٢٢- تتألف الفئة الخامسة من السفاحين، والقتلة، وأخيراً من جميع أنواع المجرمين. وأنا لن أطلبهم من كاتيلينا، لأنهم لا يستطيعون هجره، فدعوهم ينتهون بالسرقة. ويوجد العديد منهم لا يستطيع السجن أن يحتويهم. والفئة الأخيرة هذه ليست فقط منظمة، ولكنها فئة كاتيلينا، وأعوانه المختارين، وأصدقائه الحميمين.

وأنتم ترون هؤلاء الرجال يظهرون بشعرهم المصفف، ناعمين، وهم إما بدون لحية، أو بلحية كثيفة، ويرتدون معاطف بأكمام طويلة تصل إلى المعاصم، ويرتدون شراع مركب، وليس توجا (عباءة)، وينصب كل اهتمامهم فى الحياة، وساعات يقظتهم في ولائم الليل الطويل.

٢٣- وينتمى إلى هذه الفئة جميع المقامرين، والبالغين، والمجرمين المدنسين والقذرين. ولم يتعلم هؤلاء الأولاد الناعمون المدللون فقط أن يحبوا، وأن يُحبّوا، وأن يرقصوا ويغنوا، بل تعلموا كذلك تلويح الخناجر ودسّ السموم. فإذا لم يغادروا المدينة، وإذا لم يُقضى عليهم، وحتى إذا قُضى على كاتيلينا، فتأكدوا أن المدينة ستكون مرتعاً لأتباع كاتيلينا.

ولكن ما الذى يرغب فيه هؤلاء التعساء؟ ألن يأخذوا معهم إلى المعسكر زوجاتهم. ولكن كيف سينفصلون عنهم وبخاصة فى مثل هذه الليالى، وكيف سيتحمل الرجال الأبنيين البرد والثلج؟ وإذا لم يفكروا فهم سيتحملون الشتاء بسهولة أكثر لأنهم تعلموا كيف يرقصون عرايا فى الولائم.

٢٤- يا لها من حرب مخيفة جداً، حيث إن كاتيلينا سيكون لديه حرس خاص من المومسات، والآن أيها المواطنون! أعدوا حرسكم وجيشكم لمواجهة قوات كاتيلينا المشهورة، أولاً، قارنوا قناصلكم وقادتكم بذلك الجلاد المنهوك المجروح، ثم قودوا زهرة إيطاليا كلها وقواتها ضد ذلك الجمع المنفى الضعيف من الرجال المحطمين. بالتأكيد الآن سوف ترد

مدن المستعمرات والبلديات على كاتيلينا، ومرتفعاته الخشبية، وأنا حقاً لا يجب أن أقارن قواتكم الأخرى، وإمداداتكم وحراسكم بفقر ذلك اللص واحتياجاته.

٢٥- ولكن بدون ذكر جميع هذه المصادر التى حصلنا عليها، والتى يحتاجها مجلس السناتو، والفرسان الرومان، والمدينة، والخزانة، والضرائب، وإيطاليا بأكملها، وجميع المقاطعات، والأمم الأجنبية، وبدون ذكر هذه الأمور، نحن نرغب أن نقارن الأسباب (الموجودة فى الحرب الأخرى)، ومن خلال ذلك يمكن أن نعرف كيف يرقد هؤلاء الرجال الممددون، ففى هذا الجانب يحارب الخجل ضد الوقاحة، والعفة ضد الفجور، والإخلاص ضد الخداع، والاستقامة ضد الجريمة، والحزم ضد الجنون، والأمانة ضد العار، وكبح النفس ضد اللذة. وأخيراً فى هذا الجانب تتصارع العدالة، والاعتدال، والإقدام، والحكمة، وجميع الفضائل ضد الظلم، والإسراف، والجبن والتهور وجميع الرذائل، ويتصارع الثراء ضد الفقر، والفكر السليم ضد التهور، والعقل السليم ضد الجنون، وأخيراً يحارب الأمل اليأس فى جميع الأمور.

فلو أن حماس الرجال يخذلهم فى صراع ومعركة من هذا النوع، فهل الآلهة الخالدة نفسها تطرد هذه الرذائل الكثيرة العظيمة لتكتنف بهذه الفضائل الملحوظة؟

٢٦- حيث إن هذه الأمور هكذا، أيها المواطنون! أنتم تدافعون عن مساكنكم بالحرس والجنود، تماماً كما ذكرتُ ذلك من قبل. وقد راعيت أنه يجب أن تحظى هذه المدينة بحماية كافية بدون أى مضايقة لكم وبدون أى متاعب ولقد أبلغت جميع المستعمرات والبلديات عن ليلة هجوم كاتيلينا، وهم سوف يدافعون بسهولة عن مدنهم ومقاطعاتهم.

لقـد اعـتقد كاتيلينا أن الجلادين سيكونون جماعة مؤكدة له يعتمد عليها، وبالرغم من أنهم يتميزون بالشجاعة أكثر من بعض الأشراف، فإن سلطتنا سوف تكبحهم.

لقـد أرسلت إلى كوينتوس ميتيللوس ليتقصى الأخبار التى نمت إلى علمنا فـى غالـة، وبيكيـنوم، وهو إما سيسحق كاتيلينا أو سيمنع جميع حركاته ومحاولاتـه. ونحـن سـنعرض الأمر على مجلس السناتو ليرتب ويعجل وينجز الأمور الأخرى، وأنتم ترون أنه اجتمع بالفعل.

٢٧- والآن أتمنى أن ينتبه هؤلاء الذين مكثوا فى المدينة، وحتى هؤلاء الذين تركهم كاتيلينا فى المدينة ليدمروا سلامتها وسلامتكم جميعاً، فبالرغم من كونهم أعداء، فإنهم لا يزالون مواطنين.

وإذا بدا تساهلى لكل شخص وكأنه مفرط إلا أنه ينتظر فقط لما هو مختبئ ومن أجل المستقبل، أنا لا أستطيع أن أنسى أن هذا هو وطنى، وأنا قنصل هـؤلاء الرجال، وأننى يجب إما أن أعيش معهم وإما أن أموت من أجلهم. لا يوجـد حرس عند بوابة المدينة، ولا يرقد أحد منتظراً فى الطريق، فإذا رغبوا فى الرحيل، فأنا لا أستطيع أن أتجاهل ذلك، ولكن إذا ثار شخص ما فـى المديـنة، فسـوف أكتشف ليس فقط عمله، ولكن كذلك أى بادرة أو محاولـة مـنه ضـد الوطن، وسيعرف أنه يوجد قناصل يقظون فى هذه المديـنة، وحكام أكفاء، ومجلس سناتو شجاع، وتوجد أسلحة، ويوجد سجن رغب أسلافنا أن يكون لعقاب الأشرار والمجرمين البارزين.

٢٨- وسوف تتم جميع هذه الأمور هكذا، أيها المواطنون! أننى كزعيم، وقـائد يـرتدى رداء السـلام ــ سوف أضع حداً للأمور العظيمة بأقل المتاعب، والمخاطر الكبرى، وبدون أى ثورة، وسوف أضع حداً لأعظم وأقسى حرب أهلية داخلية فى التاريخ.

ســوف أدير هذا الأمر هكذا، أيها المواطنون! إنه إذا أمكن أن يحدث هذا بــأى طريقة، فلن يتحمل أى مجرم بالتأكيد فى هذه المدينة عقوبة جريمته، ولكــن إذا وضـــحت الجــريمة، وإذا اقتضـــانى الخطر الذى يهدد الوطن ضـــرورة التهاون، فإننى سوف أنجز بالتأكيد ذلك الأمر الذى يبدو لا أمل فيه فى مثل هذه الحرب البغيضة.

حيث إنه لا يمكن أن يموت رجل مستقيم بمعاقبة عدد قليل منكم، وأنتم لن تستطيعوا إنقاذ الجميع.

٢٩- وأنـــا أعدكم بهذا أيها المواطنون! لست معتمداً على حكمتى، ولا على النصائح الإنسانية، ولكننى معتمد على الإشارات الكثيرة المؤكدة من الآلهـــة الخالدة، التى أنضوى تحت زعامتها ـــ بدأتُ فى هذا الأمل، وفى هذا الغرض (فى سحق المؤامرة).

وهــم كمـــا اعـــتادوا أن يفعلوا من قبل ـــ يدافعون عن معابدهم، ومنازل المديـــنة ضـــد العـــدو الأجنبى البعيد، وهم موجودون هنا بإرادتهم الإلهية وبقوتهم.

وأنتم أيها المواطنون! يجب أن تدعوهم، وترجوهم، وتتوسلوا إليهم، حيث إنكـــم قهرتم وهزمتم قوات الأعداء فى الأرض والبحر، فهم سيدافعون عن هـــذه المدينة، التى رغبوا فى أن تكون جميلة جداً، ومزدهرة جداً، وقوية جداً ـــ ضد الجريمة النكراء، وضد المواطنين الخائنين.

الفصل الثالث

أبرز كُتاب النثر اللاتينى
فى العصر الشيشرونى

من أبرز كُتاب النثر اللاتينى فى العصر الشيشرونى هم جايوس يولـيوس قيصر (C. Julius Caesar)، جايوس ساللوستيوس كريسبوس (C. Sallustius Crispus)، كورنيليوس نيبوس (Cornelius Nepos) وماركوس تيرنتيوس فارو (M. Terentius Varro).

١- جايوس يوليوس قيصر (Gaius Julius Caesar)

كـان جـايوس يوليوس قيصر (حوالى ١٠٠ - ٤٤ ق.م) مفكراً وسياسـياً رومانـياً، وقـائداً عسـكرياً، ومنظماً إدارياً واقتصادياً. وكان بالإضافة إلى ذلك خطيباً بليغاً ذا أسلوب أدبى رفيع رصين يمتاز بالوضوح والسلاسة والصفاء[١].

كـان قيصـر نبـيلاً بحكم المولد والنشأة، قد كانت أسرة يوليوس (Julius) تـنحدر مـن الأسر الرومانية العريقة، وكانت أمه هى أوريليا (Aurelia)، أخـت القنصـل ماريوس، الذى تقلد منصب القنصلية لسبع سـنوات متتالـية، وقـد شـغل والـده منصب الحاكم القضائى "برايتور" (praetor). وقد تلقى تعليماً إغريقياً شأنه فى ذلك شأن أبناء الطبقة العليا فى المجتمع الرومانى آنذاك، ووظب على حضور محاضرات فى البلاغة

---

(1) Groebe, P., C. Julius Caesar, RE 10 (1918) pp. 186-259; Gelzer, M., Caesar als Historiker, Kleine Schrift 2, Wiesbaden, 1963, pp. 307-335; Gellius, A., Noctes Atticae 1. 10. 4.

ظهـر فـى رومـا فى العصر الشيشرونى جدل ونقاش طويل حول اقتراض الكلمات الإغريقية واستعمالها لإثراء اللغة اللاتينية، وكذلك حول إحياء الكلمات اللاتينية القديمة المهجـورة. وكان قيصر من أنصار المذهب الذى ينادى بنقاء اللغة، ويقول إن الكلمة الغريبة أو غير العادية يجب تحاشيها كما نتحاشى الصخرة.

والخطابـــة عـــندما كان حاكماً قضائياً فى عام ٦٦ ق.م، لأن الخطابة وفن البلاغة كانتا تمثلان جزءاً أساسياً من تعليم الشباب الرومانى.

أخــذ قيصر يشق طريقه إلى مسرح السياسة الرومانية العامة التى تؤهلــه للترشيح لمنصب القنصلية، وهو أعلى منصب حكومى فى الدولة الرومانـــية، فـــنراه قـــد أنتخـــب لمنصـــب المشـــرف المالى "كوايستور" (quaestor) عام ٦٩ ق.م، وتقلد منصب المشرف الإدارى "أيديل" فى عام ٦٥ ق.م، وكذلـــك رشـــح نفســـه لوظـــيفة الكاهـــن الأعظم (pontifex maximus) فى عام ٦٣ ق.م، وظفر به، ثم رشح نفسه بعد ذلك لمنصب الحـــاكم القضـــائى "برايـــتور" وفاز به. وبذلك أصبح قيصر كاهناً أعظم، وحاكمـــاً قضـــائياً[١]. وبعد ذلك تقدم لترشيح نفسه لقنصلية عام ٥٩ ق.م، وظفر بها لعدة أسباب منها:

١- شـــعبيته وانتصـــاره العسكرى الذى أحرزه فى ولاية أسبانيا التى تولـــى الحكـــم فيها فى عام ٦١ ق.م بوصفه حاكم قضائى سابق (ex-praetor)، وكرمه مع الناخبين، وبذخه، وإسرافه الشديد فى الانتخابات.

٢- عقـــده تحالفـــاً عسكرياً بينه وبين القائدين العسكريين: بومبيوس العظـــيم (Pompeius Magnus)، ومـــاركوس كراســـوس (Marcus Crassus)[٢].

---

(1) Dio Cassius XXXVII. 37; Plutarch. Caes. 7; Suet. Julius 18-19.

(2) Suet. Iulius 18-19; Dio Cassius XXXVII, 52-54; Velleius Paterculus II. 41-44; Plutarch. Caesar 11-14; Pompeius 44; Crassus 14; Cato Minor 31; Appian B. C. II. 8-9.

عـــندما أدرك قيصر أن مجلس السناتو يعترض عليه ويتكتل ضده فى انـــتخابات القنصلية، سعى جاهداً إلى إقامة تحالف يجمع بينه وبين القائدين العسكريين: بومبيوس العظيم، وماركوس كراسوس. وكان هذا التحالف بين هــؤلاء الــرجال الـــثلاثة (triumviri) سرى وغير رسمى. وأطلق عليه بعض الباحثون والمؤرخون أسماء كثيرة ومتعددة، منها على سبيل المثال، "الـــتحالف الثلاثى الأول"، و "الحكومة الثلاثية الأولى" لتمييزه عن التحالف الـــثلاثى الـــثانى (الذى نشأ فى عام ٤٣ ق.م بين القادة الثلاثة: أوكتافيوس (Octavius)، وأنطونيوس (Antonius)، وليبيدوس (Lepidus)، وكذلك "تحالف القوة" وغيرها من المسميات التى تحمل طابع القوة لأن المتحالفين الـــثلاثة كانوا يلجأون دائماً إلى القوة العسكرية أو إلى التهديد باستخدامها لتحقـــيق مـــآربهم ومطامعهم الشخصية، أو لفرض إرادتهم ومشيئتهم على الحكومـــة[١]. وقـــرر هؤلاء المتحالفون الثلاثة أن يوحدوا مصادر قوتهم وســـيطرتهم لمواجهـــة مجلس السناتو ونفوذه، وهى نفوذ بومبيوس وقوته العسكرية، وثروة كراسوس، وعبقرية قيصر السياسية والإدارية[٢]. وكذلك تم توطيد هذا التحالف برباط المصاهرة بين بومبيوس وقيصر.

عـــندما تقلـــد يوليوس قيصر منصب القنصلية فى أول يناير عام ٥٩ ق.م، أوعز إلى زميله فى القنصلية كالبورنيوس بيبولوس (Calpurnius

---

(1) Cic. Ad Att. 2.7-4.

يعـــبر شيشـــرون عـــن استيائه من التحالف الثلاثى الأول ويصور نفسه كربان سفينة انتزعت الدفة من قبضته مما اضطره إلى الرحيل عن السفينة، ثم يتمنى أن يرى القادة الحاليين للدولة وقد تحطمت سفينة حكمهم.

(2) Gelzer, M., "War Caesar ein Staatsmann?", HZ 178 (1954), pp. 449-470.

(Bibulus) لاستصـــدار قـــانون من الجمعية القبلية (comitia tributa) يقضـــى بإسناد حكم ولاية بلاد الغال جنوب الألب (Gallia Cisalpina) وإدارتهـــا ــ والمعروفة أيضاً باسم ولاية بلاد الغال القريبة ــ إلى قيصر لمـــدة خمس سنوات متتالية تبدأ من شهر مارس عام ٥٩ ق.م وتنتهى فى ٢٨ فـــبراير عام ٥٤ ق.م، وبأن توضع تحت إمرته ثلاث فرق عسكرية، ويختار مساعديه ومعاونيه بنفسه بدون استشارة مجلس السناتو أو الرجوع إلـــيه. وهكذا تحقق لقيصر إمكانية تجنيد قوات عسكرية بالقرب من روما من خلال تلك الولاية الغنية بمواردها الطبيعية والبشرية.

وبعـــد فترة قصيرة أوعز بومبيوس إلى مجلس السناتو لإصدار قرار يمـــنح قيصـــر أيضـــاً حكـــم ولايـــة بـــلاد الغال عبر الألب (Gallia Transalpina) المعروفة باسم ولاية بلاد الغال البعيدة، والمعروفة أيضاً باسم غالة الناربونية (Gallia Narbonensis) ــ وأن تُوضع تحت إمرته أربـــع فرق عسكرية وهكذا تمتع قيصر بسلطة القنصل وسلطة البروقنصل (proconsul) معـــاً لمـــدة خمس سنوات متتالية والتى أتاحت له السيطرة المطلقـــة والـــتحكم فـــى مقاليد الأمور السياسية فى روما بدون التعرض للمساءلة القانونية أو الدستورية عن أى تصرف أو سلوك يصدر منه أثناء تولية منصب القنصلية.

وعندما أحس قيصر أن التحالف بينه وبين زميله: بومبيوس وكراسوس بـــدأ يتصدع، سعى للاجتماع بهما فى مدينة لوكا (Luca) ــ التى تقع فى شمال إتروريا (Etruria) على الحدود الجنوبية لولاية بلاد الغال القريبة، وانعقـــد ذلك الاجتماع فى شهر إبريل عام ٥٦ ق.م، وفيه اتفق المتحالفون الـــثلاثة علـــى رأب الصدع وإزالة أسباب سوء التفاهم بينهم، وانتهى بأن يتقدم بومبيوس وكراسوس للترشيح لقنصلية عام ٥٥ ق.م. وبعد انتهاء عام

القنصـــلية يتولى بومبيوس حكم ولايتى إسبانيا البعيدة والقريبة لمدة خمس سنوات متتالية، ويحكم كراسوس ولاية سوريا لمدة خمس سنوات متتالية. كمـــا اتفقــوا أيضـــاً على أن تُجدد فترة حكم قيصر فى ولايتى بلاد الغال القريبة والبعيدة لمدة خمس سنوات متتالية تنتهى فى مارس عام ٤٩ ق.م.

بـــدأ قيصر فتوحاته العسكرية لبلاد الغال عام ٥٩ ق.م، وكان يبلغ من العمـــر آنذاك الثالثة والأربعين، وانتهت فى أغسطس عام ٥١ ق.م بعدما خضـــعت له جميع المدن الغالية تقريباً وأقسمت يمين الطاعة والولاء له، وذلـــك بفضل موهبته العسكرية وسياسته الحكيمة، ومحاولاته العديدة التى بذلهـــا لاسترضـــاء زعمـــاء المـــدن الغالـــية بشتى الأساليب، وتنظيماته وتشـــريعاته. إذ ســـمح قيصر لكل مدينة غالية بالاحتفاظ باسمها وقوانينها الخاصة بها.

يـــرى معظـــم الباحثين أن الانتصارات فى بلاد الغال كانت ذات ثمار مجـــيدة للحضـــارة الأوربية إلا أنها أُنجزت من أجل تمجيد شخص قيصر فقـــط. ويجـــدر القول إن أهم نتائج فتوحات بلاد الغال بالنسبة لروما هى إضـــافة دمـــاء جديـــدة وأرضاً جديدة غنية وشاسعة إلى ممتلكات الدولة الرومانـــية، وكذلك تأمين حدود روما من الأخطار الخارجية، أما بالنسبة لقيصـــر نفســـه، فإنه استغل ثروات وقدرة الغاليين العسكرية على القتال، وكذلـــك تمكن من تجميع القوات العسكرية وتجنيد جيوشه من جميع المدن الغالية وقتما شاء وأينما شاء بمنتهى اليسر والسهولة.

مؤلفاته وأعماله:

بالنســـبة للشـــعر ألـــف قيصـــر تراجـــيديا بعـــنوان "أوديبوس" (Oedipus)، وقصـــيدتين مـــن الشـــعر: الأولـــى عـــن مدح هيراكليس

(Hercules)، الـبطل الإغـريقى الأسطورى. والثانية عن رحلة قام بها قيصـر فى أسبانيا عام ٤٦ ق.م. أما بالنسبة للنثر، فقد كتب قيصر أعمالاً صغيرة مثل "عن الظواهر الفلكية" (De Astris)، و "عن العرافين" (De Auspiciis)، و "عن القياس" (De Analogia) وهو كتاب فى النحو كتبه أثـناء عـبوره جبال الألب، وأهداه إلى شيشرون. كما ألف كتابين بعنوان "ضـد كـاتو" (Anticatones)، وهـو ردّ مضـاد من قيصر على مدح شيشـرون وثـناءه على كاتو. كذلك كتب قيصر "مجموعة من الأقوال أو الأحكام" (apophithegmata) أو (Dicta Collectanea)، ولكن للأسف لم تصل إلينا هذه الأعمال.

سـوف نعـرض فيما يلى أعمال قيصر النثرية التى وصلت إلينا وهى مذكراته (Commentarii) "عن الحرب الغالية"، و "الحرب الأهلية"، و "الحرب السكندرية"، و "الحرب الإفريقية"، و "الحرب الأسبانية".

يذكـر هيرتـيوس (Hirtius) وشيشـرون أن قيصر كان يكتب مذكـراته أو تعلـيقاته بغـرض تزويد الأدباء بفيض من المعلومات لكى ينقلونها فى قالب تاريخى. فمثلاً، يقول هيرتيوس فى مقدمة الكتاب الثامن عـن الحرب الغالية: "إن تعليقات قيصر قد طُبعت لكى تزود كُتاب التاريخ بالمعلومات عن تلك الأحداث الجسام، ولكن الرأى الجماعى أثبت أن كُتاب التاريخ قد فاتتهم الفرصة لعرض مواهبهم":

qui sunt editi, ne scientia tantarum rerum scriptoribus desit, adeoque probantur omnium iudicio, ut praerepta, ne praebita facultas scriptoribus videatur.

وكذلـك يقول شيشرون فى محاورته "بروتوس"[١]: إنه بينما كان قيصـــر يريد أن يزود المؤرخين برصيد من مادة علمية متاحة، وهو ربما قدم جميلاً للأغبياء إلا أنه بالتأكيد أرعب العقلاء من الكتابة:

sed dum voluit alios habere parata unde sumerent qui vellent scribere historiam, ineptis gratum fortasse fecit, sanos quidem homines a scribendo deterruit.

أ- مذكرات عن الحرب الغالية

(Commentarii De Bello Gallico)

تـم تدويـن فـتوحات قيصـر العسكرية لبلاد الغال وانتصاراته وتنظيماته الإدارية والعسكرية التى استمرت لثمان سنوات ـ فى مذكرات أو تعلـيقات (Commentarii) لأحداث تاريخية سنوية كتبها قيصر بنفسه مـن وجهـة نظـره الشخصـية، وأطلق عليها اسم "مذكرات عن الحرب الغالـية"[٢]. وتنقسم هذه المذكرات إلى سبع كتب نشرها قيصر فى حوالى عـام ٥١ ق.م، بيـنما أضاف لها أحد ضباطه ويُدعى أولوس هيرتيوس (Aulus Hirtius) كتاباً ثامناً بتكليف من قيصر نفسه.

---

(1) Cic., Brut. 75, 262.

(2) Gelzer, M., Caesar als Historiker, Kl. Schr. 2, Wiesbaden, 1963, pp. 307-335; Lieberg, G., Caesars Politik in Gallien, Interpretationen zum Bellum Gallicum, p. 73 ff.

يتـــناول كـــل كـــتاب مـــن هذه الكتب السبعة انتصارات وأحداث وإنجـــازات عـــام واحـــد من أعوام القتال السبعة التى خاضها قيصر، أما الكتاب الثامن فقد تناول أحداث عامى ٥١ و ٥٠ ق.م[١].

غير أنه ما زال أمامنا مجموعة من الأسئلة بحاجة إلى إجابة عنها محددة ومقنعة مثل: هل ألف قيصر الكتب السبع الأولى مرة واحدة أم ألفها على فترات؟ ومتى نُشرت هذه الكتب على وجه التحديد؟[٢].

يجـــدر القول بأن قيصر لم يهتم كثيراً بالشخصيات فى كتاباته، إذ كان يذكر معلومات قليلة جداً عنها أو عن الشخصيات الثانوية فى الأحداث ولا يصفها بهدف تحليلها وإنما بهدف توضيح مجرى الأحداث المتعاقبة[٣].

يـــرى دوريى (Dorey)[٤] أن قيصر يتميز عن بقية كُتاب التاريخ القدماء باهتمامه بالأحداث التى تأخذ مجراها أكثر من اهتمامه بالشخصيات الـــتى أدت إلى وقوع الأحداث، ويتجلى ذلك بوضوح عندما يناقش دوافع الغاليين مثل رشوة الزعيم كونفيكتوليتافيس (Convictolitavis)، وهو من قبـــيلة الأيـــدوى ــ الذى حثّ شعبه على العصيان والثورة ضد الرومان.

---

(1)Barwick, K., Caesars Commentarii und das Corpus Caesarianum, Philologus Suppl. 31. 2, p. 100 ff.; Gesche, H., Caesar, pp. 78-83; Knoche, U., Caesars Commentarii, Ihr Gegenstand und Ihre Absicht, Gymnasium 58 (1951), pp. 139-160; Idem, Caesar, WF 43, 1967, pp. 224-254.

(2)Walser, G., Bellum Helveticum, Studien zum Beginn der Caesarischen Eroberung von Gallien, pp. 46, 51, 55, 66.

(3)Radista, L., Julius Caesar and his writings, ANRW 1, 3 (1973), pp. 417-456; Gelzer, M., Caesar als Historiker, Kl. Schr. 2, Wiesbaden, 1963, pp. 307-335.

(4) Dorey, T. A., Latin Historians, p. 72 ff.

وجشـــع لوكيوس فابيوس (L, Fabius)، قائد المائة (centurio) وتهوره هو وزملاؤه الذين تجاهلوا مقتضيات النظام العسكرى وتسببوا فى الهزيمة التى لحقت بالرومان فى جيرجوفيا (Gergovia) ذلك لأنهم كانوا يرغبون فـــى الحصول على أغلى غنيمة، وكذلك الوطنية وحب الحرية التى جعلت الزعيم الغالى كوميوس (Commius) ينسى جميع الامتيازات التى حصل علـــيها مـــن قيصر، وولائه القديم لروما من أجل أن يصبح زعيماً للثورة الوطنية.

ب- مذكرات عن الحرب الأهلية

(Commentarii De Bello Civili)

فـــى عام ٥١ ق.م أرسل قيصر إلى مجلس السناتو طالباً الموافقة على مد قيادته فى بلاد الغال حتى نهاية ٤٩ ق.م، ويتقدم للترشيح لقنصلية عام ٤٨ ق.م وهو غائب (in absentia) عن روما. ولكن مجلس السناتو وبعـــض أعداء قيصر ومنهم القنصل ماركيللوس (Marcellus) رفضوا طلبه، وطالبوا بعودته من بلاد الغال وإنهاء قيادته.

استطاع نقيب العامة كوريو (Curio)، وهو أحد أنصار قيصر ـــ أن يحبط جميع المحاولات التى كانت تهدف إلى عزل قيصر من القيادة فى بـــلاد الغـــال، واقترح أن يتخلى كل من قيصر وبومبيوس عن سلطاتهما الاســـتثنائية فـــى وقت واحد. وأعلن قيصر موافقته على التخلى عن قواته بشـــرط أن يفعـــل بومبـــيوس مثله. ولكن مجلس السناتو تحت ضغط من المتشـــددين وأعداء قيصر وأصدقاء بومبيوس مثل القنصل ماركيللوس ـــ أصـــدر قراره النهائى (Senatus Consultum Ultimum)، وعهد إلى القناصـــل السابقين ومن بينهم بومبيوس مهمة حماية الدولة وسلامتها من

قيصـــر بوصـــفه عدو للوطن (hostis). وعندما علم قيصر بقرار مجلس السـنـاتو، أمر قواته بعبور نهر الروبيكون (Rubicon) الذى كان يفصل بيـن بـلاد الغال وإيطاليا، وأسرعت قواته فى بلاد الغال بالانضمام إليه، واحـتل أريميتوم على الساحل الأدرياتيكى وتساقطت بقية المدن الإيطالية، وفتحـت له أبوابها، ووقعت مدينتى أريتيوم وأنكونا تحت سيطرة قيصر، ودخـل قيصر روما واستولى على الأموال المخصصة لقوات بومبيوس، وسـمح لقـوات بومبيوس المتمركزة فى مدينة كورفينيوم (Corfinium) باللحـاق ببومبـيوس، بينما استولى ضباط قيصر على صقلية، وسردينيا وشمال أفريقيا لتأمين الإمدادات من القمح. وذهب قيصر إلى أسبانيا، وهزم جـيوش بومبـيوس، فانضم بعضها إليه، وهرب البعض الآخر. وحاصر مدينة مارسيليا حتى استسلمت، فأنزل بها العقاب الشديد ثم عاد قيصر إلى رومـا حيث تم تعيينه ديكتاتوراً بقرار استصدره الحاكم القضائى ليبيدوس (Lepidus)، وبمقتضى السلطة الديكتاتورية أشرف على الانتخابات، وفاز بمنصـب القنصـل لعـام ٤٨ ق.م. وبعـد ذلك أسرع بالذهاب إلى قواته المـتمركزة فـى ميناء بروينديزيوم (Brundisium) للإبحار إلى ساحل إبيروس (Epirus) حيث تتواجد قوات بومبيوس. فى أثناء ذلك الوقت أعد بومبيوس جيشاً فى مقدونيا (Macedonia) بلغ قوامه تسعة فرق رومانية. بالإضافة إلى القوات المساعدة التى زوده بها حلفاؤه، وامتلك أسطولاً كبيراً سيطر على البحر الأدرياتيكى وحاول قطع خط الإمدادات على قيصر حتى تمكـن أنطونـيوس، أحد ضباط قيصر من إرسال الإمدادات والمؤن إلى قيصـر. وحـاول قيصـر أن يحاصـر قـوات بومبيوس فى ديراخيوم (Dyrrhachium) ولكنه فشل، وتراجع إلى تساليا، وتعقبه بومبيوس الذى اضـطر إلى الاشتباك فى معركة فاصلة مع قيصر قرب مدينة فارسالوس

(Pharsalus)، حيــث كــان قيصر يرابط بقواته هناك. وتمكن قيصر من هــزيمة بومبــيوس بعدما قتل حوالى ستة آلاف من جنوده واستسلم أربعة وعشرين ألف منهم. وفر بومبيوس هارباً إلى مصر واصطحب معه بعض أنصاره وأتباعه.

وقــد سجل قيصر تاريخ هذه الحرب الأهلية التى بدأت بينه وبين بومبيوس فى عام ٤٩ ق.م فى ثلاثة كتب، حيث يصور الكتاب الأول بداية الصراع وأسبابه، ويتحدث الكتاب الثانى عن العمليات العسكرية براً وبحراً ضد مارسيليا حتى استسلمت، أما الكتاب الثالث فهو يذكر الخطط الحربية لقيصــر وبومبــيوس والتى انتهت فى فارسالوس. وتحدث عن مفاوضات السلام التى قدمها قيصر، وعن قسوة أتباع بومبيوس، وخيانتهم، وكبريائهم وجشعهم[١].

والجدير بالذكر أن قيصر تحدث عن عبوره لنهر الروبيكون، ولم يذكــر شيئاً عن قلقه أو عن الفأل كما يروى لنا المؤرخون والمؤلفون بأنه قال "لقد ألقى الزهر" (iacta alea est)[٢].

تسود فى مذكرات قيصر عن "الحرب الأهلية" صيغة الاعتذار من جانــب قيصر لعبوره نهر الروبيكون حيث يبرز ذلك بأن أعدائه هم الذين أجبروه على ذلك عندما أعلنوا أنه عدو الوطن (hostis).

لعلنا الآن نذكر الفقرات الثلاثة الأولى من الكتاب الأول من مؤلف يولــيوس قيصــر "عــن الحــرب الأهلية" (De Bello Civili) كنموذج لأسلوب قيصر الذى يتميز به وهو الإيجاز التاريخى:

---

(1) Caes. Bell. Civ. 3, 82; Cic. Ad Fam. 2. 3, 7.

(2) Suet. Div. Iul. 32.

1 Litteris Caesaris consulibus redditis aegre ab his impetratum est summa tribunorum plebis contentione, ut in senatu recitarentur; ut vero ex litteris ad senatum referretur, impetrari non potuit. Referunt consules de re publica. Incitat L. lentulus consul senatum rei publicae se non defuturum pollicetur, si audacter ac fortiter sententias dicere velint; sin Caesarem respiciant atque eius gratiam sequantur, ut superioribus fecerint temporibus, se sibi consilium capturum neque senatus auctoritati obtemperaturum: habere se quoque ad Caesaris gratiam atque amicitiam receptum. In eandem sententiam loquitur Scipio: pompeio esse in animo reipublicae non deesse, si senatus sequatur; si cunctetur atque agat lenius; nequiquam eius auxilium, si postea velit, senatum imploraturum.

2 Haec Scipionis oratio, quod senatus in urbe habebatur Pompeiusque aderat, ex ipsius ore Pompei mitti videbatur. Dixerat aliquis leniorem sententiam, ut primo M. Marcellus, ingressus in eam orationem, non oprotere ante de ea re ad senatum referri, quam delectus tota Italia habiti et exercitus conscripti essent, quo praesidio tuto et libere senatus , quae vellet, decernere auderet; ut M. Calidius, qui censebat, ut Pompeius in suas provincias proficisceretur, ne qua esset armorum causa: timere Caesarem ereptis ab eo duabus legionibus, ne ad eius periculum reservare et retinere eas ad urbem Pompeius videretur; ut M. Rufus, qui sententiam Calidi paucis fere mutatis rebus sequebatur. Hi omnes convicio L. Lentuli consulis correpti exagitabantur. Lentulus sententiam Calidi pronuntiaturum se omnino negavit. Marcellus perterritus conviciis a sua sententiam discessit. Sic vocibus consulis, terrore praesentis exercitus, minis amicorum Pompei plerique compulsi

inviti et coacti Scipionis sententiam sequntur: uti ante certam diem Caesar exercitum dimittat; si non faciat, eum adversus rem publicam facturum videri. Intercedit M. Antonius, Q. Cassius, tribuni plebis. Refertur confestim de intercessione tribunorum. Dicuntur sententiae graves; ut quisque acerbissime crudelissimeque dixit, ita quam maxime ab inimicis Caesaris collaudatur.

3 Misso ad vesperum senatu omnes, qui sunt eius ordinis, a Pompeio evocantur. Laudat promptos Pompeius atque in posterum confirmat, segniores castigat atque incitat. Multi undique ex veteribus Pompei exercitibus spe praemiorum atque ordinum evocantur multi ex duabus legionibus, quae sunt traditae a Caesare, arcessuntur. Completur urbs et ipsum comitium tribunis, centurionibus, evocatis. Omnes amici consulum, necessarii Pompei atque eorum, qui veteres inimicitias cum Caesare gerebant, in senatum coguntur; quorum vocibus et concursu terrentur infirmiores, dubii confirmantur, plerisque vero libere decernendi potestas eripitur. Pollicetur L. Piso censor sese iturum ad Caesarem, item L. Roscius praetor, qui de his rebus eum doceant: sex dies ad eam rem conficiendam spatii postulant. Dicuntur etiam ab nonnullis sententiae, ut legati ad Caesarem mittantur, qui voluntatem senatus ei proponant.

١- عندما سُلمت رسائل قيصر إلى القناصل، وافق نقباء العامة بصعوبة لكى تُقرأ فى مجلس السناتو، ولكن لم تتم الموافقة لكى تُطرح أمام مجلس السناتو. وتقدم القناصل لاتخاذ إجراء بالنسبة للدولة. ومارس القنصل لينتولوس ضغطاً على مجلس السناتو، ووعد بأنه لن يخذل الدولة

إذا رغـب القناصـل فى أن يعطوا أصواتهم بشجاعة وحزم. ولكن إذا اهتموا بقيصر، وحاولوا أن يستحوذوا على رضاه كما فعلوا فى مناسبات سابقة. قال: إنه سوف يهتم بمصالحه الشخصية ولن يُطيع سلطتهم. قال: أنا أيضاً أستطيع أن استحوذ على ود وصداقة قيصر. وعبر سكيبيو عن نفـس ذلك الرأى: إن بومبيوس لن يميل إلى التخلى عن الدولة إذا أتبعه مجلـس السناتو، ولكنه (مجلس السناتو) إذا تأخر واتخذ إجراءه بتهاون، فـإن استجداء مساعدته (مساعدة بومبيوس) سيكون بلا جدوى إذا رغب فى أن يتخذ مثل هذا الإجراء فى المستقبل.

٢- بـدت خطبة سكيبيو هذه كأنها جاءت من فم بومبيوس نفسه حيث كـان مجلس السناتو منعقداً فى المدينة وكان بومبيوس موجوداً. لقد عبر الـبعض عـن رأيهـم بأسلوب أقل ليناً مثل م. ماركيللوس الذى استهل خطبـته قـائلاً: إن المسألة لا يجب تقديمها إلى مجلس السناتو حتى يتم حشـد القوات العسكرية فى جميع أنحاء إيطاليا، وتُوضع الجيوش تحت قـيادة شخص يخاطر مجلس السناتو باختياره بأمان وحرية. وكذلك مثل م. كاليديوس أيضاً الذى أبدى رأيه بضرورة ذهاب بومبيوس إلى ولاياته للحـيلولة دون وقوع مشاحنات. وقال: إن قيصر سيكون خائفاً أن يعتقد البعض أنه بعدما تُنتزع منه الفرقتين سيحتفظ بهما بومبيوس بالقرب من رومـا بغـرض تهديـده. وكذلك مثل م. روفوس أيضاً الذى اتبع رأى كاليديوس مع إضافة قليل من التعديلات. وهاجم القنصل لينتولوس جميع هـؤلاء المتكلميـن بـتهديداته العنيفة، ورفض لينتولوس طرح اقتراح كاليديوس للتصويت تماماً. وخاف ماركيللوس من التهديدات وتخلى عن اقتراحه. وهكذا اضطر معظم أعضاء مجلس السناتو ــ لأنهم خافوا من كلمات القنصل، ومن وجود الجيش، ومن تهديدات أصدقاء بومبيوس ــ

إلـــى تبـــنى اقتراح سكيبيو بأنه يجب أن يسرح قيصر جيشه قبل ميعاد محدد، وإذا لم يفعل ذلك، فينبغى أن يُنظر إليه بأنه يفكر فى خيانة الدولة. وتدخل نقباء العامة:م. أنطونيوس، وك. كاسيوس، وعُرض أمر وساطتهم فـــى الحـــال أمام مجلس السناتو. وطُرحت الآراء ذات الوزن والأهمية. وكلمـــا كـــان الكـــلام صـــعباً وأكثر عُنفاً، كلما أثنى عليه أعداء قيصر الشخصيين أكثر.

٣- عـــندما انـــتهى مجلـــس السناتو من انعقاده فى المساء، استدعى بومبيوس أعضاء مجلس السناتو خارج المدينة، ومدح المتحمسين منهم، ووعدهم بما ينتظرهم فى المستقبل. وأخذ يقربهم إليه ويحثّهم بغباء. وتم استدعاء عدد من الجنود الاحتياطيين من جيوش بومبيوس القديمة من كل مكان من أجل الخدمة العسكرية بأمل الحصول على الجوائز والترقيات. وتم استدعاء العديد من جنود الفرقتين اللتين سُلمتا إلى قيصر، وامتلأت المديـــنة ومجلـــس الشـــعب بالنقـــباء، وضباط المئويات، والجنود الذين أُســـتدعوا من الاحتياط. وقد حضر اجتماع مجلس السناتو جميع أصدقاء بومبـــيوس، والذيـــن يكنون العداء القديم لقيصر. وارتعب الضُعفاء من أصـــواتهم واحتشادهم، واطمأن المتذبذبين، بينما سُلبت من الأغلبية من أعضـــاء المجلس ميزة الحرية فى اتخاذ القرار. ووعد الرقيب ل. بيسو، وكذلـــك الحـــاكم القضائى "برايتور" ل. روسكيوس بالذهاب إلى قيصر ليخـــبراه بهذه الأمور، وطلبا مهلة ستة أيام لتحقيق هدفهما. وأدلى بعض الأعضاء برأيه وهو ضرورة إرسال وفد إلى قيصر ليبلغه برغبة مجلس السناتو.

ج- الحرب السكندرية (Bellum Alexandrinum)

عندما جاء قيصر إلى مصر فى أعقاب بومبيوس، سلمه مستشارو الملك البطلمى رأس بومبيوس وخاتمه ـ الذى قتلوه بالغدر والخيانة، فحزن قيصر حزناً شديداً، وأمر بدفن رفاته. واعتقد شعب الإسكندرية أن قيصر القائد الرومانى، فتح مصر وسوف يعلنها ولاية رومانية، واعتقد البعض الآخر أن قيصر جاء للمطالبة بالأموال الخاصة به، لذلك غضب شعب الإسكندرية لأنهم فكروا فى الضرائب الجديدة التى تنتظرهم، واشتبكوا فى قتال عنيف ودموى مع الرومان، عندئذ طلب قيصر من نائبه فى سوريا بنجدته فى الحال بالفرق العسكرية الرومانية التابعة لبومبيوس.

وقد أعلن قيصر أنه جاء إلى مصر كوصى على العرش نيابة عن الشعب الرومانى حيث إن الملك البطلمى الزمار كان قد أوصى بأن يكون الشعب الرومانى وصياً على ورثته كليوباترا وأخيها وزوجها، وأمر قيصر كليوباترا وأخيها بتسريح جيوشهما وقبول تحكيمه فى النزاع القائم بينهما.

فى أثناء ذلك الوقت أثار الملك البطلمى شعب الإسكندرية وأخبرهم بخيانة أخته وتحالفها مع الرومان. لذلك ألقى قيصر خطبته أمام شعب الإسكندرية ليهدئهم ويخفف من حدة توترهم، وأخبرهم فيها بأنه جاء لتنفيذ وصية ملكهم الراحل والتى تقضى بأن يتولى الملك بطليموس الثالث عشر الحكم بالاشتراك مع أخته وزوجته كليوباترا السابعة. ولكن مستشارو الملك حرضوا شعب الإسكندرية على الثورة ضد الرومان، فاشتركوا مع جيش الملك البطلمى، وخاضوا حرباً ضد القوات الرومانية وهاجموا سفنهم، فاضطر قيصر إلى إشعال النار فى السفن، والتى امتدت إلى مكتبة الإسكندرية، فأحرقت معظمها. وانتهت هذه الحرب بعد وصول الإمدادات

والـــتعزيزات العسكرية إلى قيصر، وبعد موت الملك البطلمى نفسه غرقاً ومقتل قواده ومستشاريه.

تم تسجيل تاريخ الحرب السكندرية (Bellum Alexandrinum) فـــى كـــتاب يقل مستواه اللغوى عن مستوى مذكرات قيصر "عن الحرب الغالـــية" و "عن الحرب الأهلية". لذلك أعتقد بعض الباحثين أن هذا الكتاب لـــيس من إنتاج وتأليف قيصر، فنسبوه إلى الضابط أولوس هيرتيوس الذى كلفـــه قيصر من قبل بكتابة الكتاب الثامن"عن الحرب الغالية"، والذى تميز أســـلوبه بالتكلف فى صياغة الجمل حيث إنها كانت أقل وضوحاً من ناحية المعـــنى لكـــثرة الجمـــل الموصـــولة (relative clauses) المرصوصة والمتتابعة.

د- الحرب الإفريقية (Bellum Africanum)

بعدمـــا استقرت الأمور فى مصر، اضطر قيصر لمغادرتها لنجدة دوميتـــيوس كالفيـــنوس (Domitius Calvinus)، أحد كبار قواده، الذى هزمه الأمير فارناكيس (Pharnaces)، حفيد ميثراداتيس(Mithradates)، ملـــك بونـــتوس بآسيا الصغرى. عندما وصل قيصر إلى بونتوس، أظهر عبقريـــته العســـكرية وقدرتـــه فـــى سرعة تحريك قواته وحصار قوات فارناكـــيس التى استسلمت فى الحال. عندئذ كتب قيصر أقصر رسالة فى الـــتاريخ مكونـــة مـــن ثـــلاث كلمات، أو ثلاث جمل كما يصـــغها بعض اللغويون: (veni. vidi. vici)، وتعنى "أتيت، ورأيت، وانتصرت". وبعدما رجـــع إلـــى رومـــا، وعالج المشاكل الاقتصادية وبخاصة مكافآت جنوده المســـرحين، اســـتعد لمطاردة بقايا قوات بومبيوس التى هربت إلى شمال أفريقيا بعد هزيمتها فى معركة فارسالوس، حيث أعاد ترتيب صفوفها مرة

أخـــرى كـــاتو الأصـــغر (Cato Minor)، وسكيبيو ميتيللوس (Scipio Metellus)، ولابيـــنوس (Labienus)، وهـــو ضـــابط مشهور بعبقريته العســـكرية وكـــان يعمل تحت إمرة قيصر فى حروبه فى بلاد الغال. وقد تعـــاطف معهم ملك نوميديا (Numidia) وأيدهم فى قضيتهم ضد قيصر، واستطاع قيصر أن ينقل قواته إلى شمال أفريقيا، وأمضى فيها سبعة شهور يعـــد قواته وينظمها، واختار مكان وزمان المعركة الفاصلة حيث اضطر كـــاتو الأصغر إلى الانتحار فى مدينة أوتيكا (Utica)، وهى مدينة تونس الحالية.

تـــم تدويـــن هذه الحرب فى كتاب "الحرب الأفريقية" (Bellum Africanum). ويعـــتقد معظـــم الباحثيـــن أن هذا العمل ليس من تأليف قيصر، ومن الصعب تحديد مؤلفه الحقيقى لأنه أقل فى مستواه الأدبى من مذكـــرات قيصر "عن الحرب الغالية" و "عن الحرب الأهلية". وهو يعتبر ســـجلاً لأمجـــاد قيصر الحربية، وعليه مسحة من أسلوب كتابة المذكرات اليومـــية. وربما يكون تقريراً كتبه أحد الضباط كمادة تاريخية ليستخدمها المؤلفون فى كتابة التاريخ.

هـــ- الحرب الأسبانية (Bellum Hispaniensum)

بعـــد هـــزيمة قوات بومبيوس فى شمال أفريقيا، فر من تبقى منهم وانضـــم إلـــى صفوف أنصار بومبيوس بزعامة ابن بومبيوس، جنايوس بومبـــيوس (Gnaeus Pompeius). وانضـــم إليهم الشعب الأسبانى لأنه أحب بومبيوس الذى حكمهم فى الفترة من عام ٥٤ حتى عام ٤٩ ق.م ولم ينســـى كـــرمه وتسامحه معهم، هذا بالإضافة إلى أنه لم ينسى كذلك قسوة الحـــاكم كاسيوس لونجينوس (Cassius Longinus) وجشعه. كان جيش

أنصـــار بومبـــيوس يتألف من ثلاثة عشرة فرقة بقيادة لابينوس، أما جيش قيصـــر فقـــد بلغ قوامه ثمان فرق فقط. وتقابل الجيشان فى معركة فاصلة وحاسمة عند أسوار مدينة موندا (Munda) فى ١٥ مارس عام ٤٥ ق.م، وتمكـــن قيصـــر من تطويق جيش بومبيوس، وانتهت هذه المعركة بمقتل ثـــلاث وثلاثين ألف جندى من جيش بومبيوس، وقُتل جنايوس بومبيوس، وبقى أخيه الأصغر سيكستوس (Sextus) على قيد الحياة.

تـــم تســـجيل هـــذه الحرب فى كتاب الحرب الأسبانية (Bellum Hispaniensum) المنسوب إلى قيصر، ويشك معظم الباحثين فى أن هذا العمـــل من تأليف قيصر، ويعتبر هذا الكتاب سجلاً تاريخياً لأمجاد قيصر الحربـــية مـــثل كتاب الحرب الأفريقية. وهو يفتقر إلى أسلوب قيصر فى "مذكـــرات عـــن الحـــرب الغالية" حيث إن لغته ركيكة للغاية تدل على أن مؤلفه لم ينل قسطاً وافراً من التعليم.

٢- جايوس ساللوستيوس كريسبوس

(Gaius Sallustius Crispus)

وُلد جايوس ساللوستيوس كريسبوس (حوالى عام ٨٦ – ٣٥ ق.م) فـــى بلـــدة أميتيرنوم (Amiternum)، وهو ينتمى إلى عائلة ثرية، ونال قسطاً وافراً من التعليم فى روما، حيث درس الفلسفة والتاريخ.

وقـــد شغل منصب كوايستور، مشرف مالى (quaestor) عام ٥٩ ق.م، ونقيـــب العامة (tribunus) عام ٥٢ ق.م، وهو العام الذى قُتل فيه نقيـــب العامة، بوبليوس كلوديوس بولكير (P. Clodius Pulcher)، أحد أذنـــاب قيصـــر، وعدو شيشرون وخصمه اللدود. ولقد هاجم ساللوستيوس

مـــيلو (Milo)، قاتل كلوديوس ــ بشدة لأن ميلو سبق أن ضربه بالسياط عندما عرف بوجود علاقة بينه وبين زوجته[١].

وفى عام ٥٠ ق.م حذف القنصل بومبيوس اسمه من سجل أعضاء مجلــس السناتو بحجة سوء سلوكه وأخلاقه لأنه أراد أن يبعد جميع أنصار منافسه قيصر، وأعوانه المخلصين (مثل ساللوستيوس) من مجلس السناتو ويستبدل بهم آخرين موالين له.

عـــندما اندلعـــت الحـــرب الأهلـــية بين قيصر وبومبيوس، انضم ساللوســـتيوس إلـــى جانـــب قيصر، وأخلص له، وقدم له خدمات كثيرة، وبخاصـــة فـــى الثورات المسلحة التى نشبت فى كل من إيليريا (Ilyria)، وكامبانيا (Campania)، وكافأه قيصر بأن عهد إليه حكم ولاية نوميديا فى شـــمال أفريقـــيا بوصـــفه نائب قنصل (pro-consul) فى عام ٤٦ ق.م. وهناك جمع ساللوستيوس ثروات طائلة شأنه فى ذلك شأن معظم الحكام فى عصـــره، وأُتهم بالسلب والإبتزاز، ولكنه بُرئ من هذه التهمة بفضل تدخل قيصر. وبعد اغتيال قيصر تجنب ساللوستيوس الحياة السياسية تماماً وعاش فى حدائقه الغناءه المشهورة فى روما، وقد تزوج من تيرنيتا (Terentia)، زوجة شيشرون الأولى، وعاش فى أواخر حياته مستقيماً وشريفاً.

أمـــا بالنســـبة للخصـــائص العامة لأسلوب ساللوستيوس النثرى، نستطيع أن نقول إن ساللوستيوس يميل دائماً إلى الإيجاز (brevitas) الذى يـــؤدى أحـــياناً إلـــى الغموض، ويستخدم التناقض (contrast) والمقابلة

---

(1) Gellius, A., Noctes Atticae 17, 18.

(antithesis) بكثرة. ويتميز ساللوستيوس بقدرته على تحليل الشخصيات التى كان لها دوراً فى مجرى الأحداث التاريخية[١].

وبفضـل أسلوب ساللوستيوس المتنوع تطور أسلوب النثر اللاتينى الـتاريخى فـيما بعـد علـى يد تيتوس ليفيوس (T. Livius) وتاكيتوس (Tacitus) اللـذان درسا أسلوبه وكانا من أشد المعجبين به، وكذلك الناقد الـرومانى كوينتيلـيانوس (Quintilianus)، الـذى يـرى أن مقدمات ساللوسـتيوس فـى مؤلفاتـه الـثلاثة: كاتيليـنا (Catilina)، يوجورتا (Iugurtha)، الـتواريخ (Historiae) أبعد ما تكون عن التاريخ وأقرب إلى الخطابة والفلسفة[٢].

مؤلفاته وأعماله:

أ- عن مؤامرة كاتيلينا (De Coniuratione Catilinae)

ألـف ساللوسـتيوس كتابه "عن مؤامرة كاتيلينا" تقريباً فى الأعوام ٤٤- ٤٠ ق.م[٣]، واسـتمد معلوماتـه ومادته مباشرة من خطب وأعمال شيشرون الأخرى.

يتـناول هـذا الكتاب موضوع مؤامرة كاتيلينا، ويصور شخصية كاتيليـنا بصـورة بغيضة جداً بأنه إنسان قاسى، وعنيف، ومجرم، وعديم المـبادئ والأخلاق، ولا يحترم القوانين، ويحقق أغراضه الدنيئة بارتكاب أبشـع الجرائم. ويتحدث عن رغبة كاتيلينا وتصميمه على الفوز بمنصب

---

(1) Apuleius, Apologia 95.

(2) Quint. Instit. Orat. III. 8. 9.

(3) Reynolds, L.D., Catilina, Iugurtha, Historiarum Fragmenta Selecta; Appendix Sallustiana.

القنصلية، ثم يتناول بعد ذلك مؤامرته لقتل القناصل وقلب نظام الحكم، ويصف أعوان كاتيلينا بأنهم أشخاص بدون مبادئ أو أخلاق، ومنبوذين، وعاطلين، ورعاع.

يوضح ساللوستيوس فى كتابه "عن مؤامرة كاتيلينا" أن الدوافع الحقيقية لمؤامرة كاتيلينا ترجع إلى الديون الكثيرة، وفساد الأخلاق والذمم التى نشأت نتيجة للجشع والطمع. ويركز ساللوستيوس على هذه الدوافع فقط، ولا يناقش الظروف السياسية والاقتصادية.

يعتقد معظم المؤرخين والباحثين أن هدف ساللوستيوس الأساسى من تأليفه كتاب "عن مؤامرة كاتيلينا" هو تبرئة قيصر من الشكوك فى تورطه فى مؤامرة كاتيلينا فى عام ٦٣ ق.م، أو إنه كان له صلة وثيقة بكاتيلينا[١].

يشوب كتاب "عن مؤامرة كاتيلينا" لساللوستيوس عدم الدقة وبخاصة بالتواريخ، وتحريف الحقائق. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يخطئ ساللوستيوس فى تحديد تاريخ مؤامرة كاتيلينا حيث إنه يحدد تاريخ بداية المؤامرة وكشف الستار عنها فى شهر يوليو عام ٦٤ ق.م بدلاً من عام ٦٣ ق.م، بينما يذكر شيشرون بالتحديد أنه لم يوجد أى شك فى أى مؤامرة قبل عام ٦٣ ق.م[٢]. يذكر شيشرون أنه جاء فارسان لقتله فى الصباح الباكر فحين أن ساللوستيوس يقول إنه جاء فارس وسناتور[٣].

---

(1) Mommsen, Th., Röm. Gesch. IV. 489, Not. 1; Hardy, E.G., "The Catilinarian Conspiracy in Its Context. A Restudy of the Evidence", 171.

(2) Cic. Pro Sull. 65; I Cat. IV. 6.

(3) Sallust. Cat. 28; Cic. In Cat. I. 8-10.

لعلـــنا نســـوق هـــنا مثالاً يدل على مبالغة ساللوستيوس للصورة البغيضـــة الـــتى رسمها لشخصية كاتيلينا، وتتضح تلك المبالغة فى روايته لاجتماع كاتيلينا السرى المنعقد فى منزله فى شهر يونية عام ٦٤ ق.م[١]. إذ يـــروى ساللوستيوس أنه عندما انتهى كاتيلينا من خطبته العصماء التى ألقاهـــا أمـــام أعوانه، وكان يبلغ عددهم حوالى خمسة عشر رجلاً، ألزمهم بقسم مقدس (coniuratio)، وقدم لهم شراباً من دم بشرى مخلوطاً بالنبيذ قبل أن يكشف لهم عن تفاصيل خطته[٢].

وتقـــدم لـــنا قصـــة شراب الدم البشرى المخلوط بالنبيذ هذه، على فـــرض أنها كانت فعلاً حقيقية صورة بغيضة لبشاعة كاتيلينا وتطرفه، إذ يعقـــب المـــؤرخ فلوروس (Florus)[٣] ــ وهو فيما كتبه لم يكن مكترثاً بـــتوخى الحقـــائق ــ أن تقديم هذا الدم البشرى للمجتمعين، وتناول الجميع لهـــذا الشـــراب المخلـــوط، يعتبر دليلاً على ترابط المتآمرين فيما بينهم، وتآخيهم لارتكاب الشرور والآثام.

فى رواية ساللوستيوس[٤] فيما يتعلق بقرار مجلس السناتو النهائى، (Senatus Consultum Ultimum)، نـــرى أنه يخطئ عندما يذكر أن قـــرار مجلـــس السناتو يمنح الحاكم الرومانى (القنصل) الحق فى أن يعد جيشـــاً، ويشـــن حرباً، وإنه لم يكن يستحوذ على هذا الامتياز إلا بأمر من الشعب:

---

(1) Sallust. Cat. 17.

(2) Ibid., 22.

(3) Florus 2, 12. 14.

(4) Sallust., Cat. 29.

Itaque quod plerumque in atroci negotio solet senatus decrevit, darent opram consules ne quid res publica deterimenti caperet. Ea potestas per senatum more Romano magistrati maxuma permittitur, exercitum parare, bellum gerere, coercere omnibus modis socios atque iudicium summum habere; aliter sine populi iussu nullius earum consuli ius est.

"وهكـــذا كما يحدث غالباً فى أوقات الخطر، صوت مجلس السناتو على ضرورة أن يأخذ القناصل حذرهم حتى لا تتعرض الدولة لخطر ما. وطبقاً لهذا القرار، تُسبغ على الحاكم الرومانى الذى يُكلف به سلطة كبيرة، كانـــت تســـمح له بأن يعد جيشاً، ويشن حرباً بجميع الوسائل ضد كل من يلحق الضرر بالدولة، وكان يمتلك كذلك السلطة العسكرية والقضائية، ولم تكن تُسبغ هذه السلطة على القنصل إلا بأمر من الشعب".

جدير بالذكر أن كلام ساللوستيوس هذا ليس صحيحاً، فالقنصل كان بالفعل يمتلك سلطة الإمبريوم (imperium)، وهى الحق فى تعبئة القوات العسكرية، ولا يحتاج لأمر من الشعب، إذ أن قرار مجلس السناتو النهائى (SCU) صـــادر من هيئة سياسية حاكمة تمنح القنصل سلطة غير محددة فى الشئون المدنية والعسكرية.

تختلف رواية ساللوستيوس[1] فيما يتعلق بمؤامرة كاتيلينا الأولى فى عـــامى ٦٦-٦٥ ق.م فى تفاصيلها الجوهرية عن الروايات الأخرى، حيث إن معلوماته عنها تعتبر غامضة وناقصة ولا يمكن الوثوق فيها[2].

---

(1) Sallust. Cat. 29.

(2) Syme, R., Sallust, p. 75, note 69.

كذلــك يســجل ساللوســتيوس فى كتابه "مؤامرة كاتيلينا" خطبتين مؤثرتيــن[1] ألقاهمــا قيصر وكاتو فى مجلس السناتو بشأن تحديد مصير أعــوان كاتيلينا، المتآمرين الخمسة المقبوض عليهم، ولكنه كعادته يضيف إليهما تعبيره الذى يشوب ما قيل: "شئ من هذا القبيل" (huiusce modi)، ويوضــح هــذا لنا أنهما ليست الخطبتان اللتان ألقاهما قيصر وكاتو، وإنما جاءتا بأسلوب ساللوستيوس وبلاغته المميزة.

عــندما طلــب شيشــرون من البريتور المنتخب، جايوس قيصر، الإدلاء برأيه بشأن تحديد مصير المتهمين الخمسة، أعوان كاتيلينا، الذين تم القبض عليهم ووضعهم تحت التحفظ ألقى قيصر كلمة حفظها ساللوستيوس كاملة.

بــدأ قيصــر كلمته مستحثاً مجلس السناتو بأنه يجب أن يتحكم فى عاطفــته حــتى يســتطيع تمييز الحقيقة بوضوح، وذكر أمثلة من التاريخ ليوضــح لهم كيف أن السلف عندما تحكموا فى عاطفتهم، حكموا بالعدل، وأنــه ينــبغى علــيهم الآن أن يفعلوا الشئ نفسه. وقال إنه متأكد تماماً أن سيلانوس (Silanus) قدم اقتراحه بدافع من اهتمامه بمصالح الدولة، وليس بدافع إرضاء أى شخص أو بدافع شخصى.

لمــحَ قيصــر إلى موضوع فى غاية الأهمية، وهو انتهاك قانون بوركــيوس (Lex Porcia)، والقوانيــن الأخرى الخاصة بحق الاستئناف (de provocatione) التى تنص على أنه لا يجب الحكم على المواطنين بــالموت قــبل الســماح لهم بالذهاب إلى المنفى الاختيارى، واللجوء إلى الاستئناف أمام الجمعية المئوية (comita centuriata). كما قال إن تنفيذ

---

(1) Sallust. Cat. 51, 52; Schmid, W., Sallust, die Reden Caesars und M. Catos. Gymn. 63 (1962), pp. 336-350.

رأى سيلانوس سيصبح سابقة خطيرة على الرغم من أنه موجه ضد الخونة والقتلة "in parricidas rei publicae"، فجميع النماذج السيئة قد بدأت فى بداية الأمر من إجراءات عادلة، وعندما تقع إدارة الدولة، ورئاستها فى أيدى أناس غير أكفاء أو أشرار، فإن هذه النماذج ستجلب عقوبة قاسية للمظلومين وأشار إلى عهد الطغاة الثلاثين فى أثينا سنة ٤٠٤ ق.م، والديكتاتور سلا (Sulla) فى روما كأمثلة لهذه النماذج التى بدأت بإجراءات عادلة، وانتهت بنهاية سيئة، فالطغاة الثلاثون بدأوا حكمهم بإعدام الأشرار المكروهين بدون محاكمة، ولكن بعد فترة ما، قتلوا الصالحين والأشرار على السواء بدافع من نزوة ما، وقاموا بإدخال الفزع والرعب فى قلوب جميع الناس. وكذلك بدأ سلا بأن أمر بإعدام أعوان ماريوس (Marius)، المتهمين بقتل الأشراف البارزين، ولكن سرعان ما أن طمع فى مصادرة أملاك خصومه، ووضع أسماء الكثير منهم فى لوائح المحكوم عليهم بالإعدام. وقال قيصر إنه لا يتوقع حدوث هذا من جانب القنصل شيشرون فى الوقت الحاضر، ولكن قد يأتى قنصل آخر فى المستقبل، وتحت إمرته جيش، وعندما يسحب هذا القنصل سيفه، فمن ذا الذى سوف يتصدى له.

حثّ قيصر أعضاء السناتو بألا ينتهكوا قانون بوركيوس، والقوانين الأخرى التى وضعها أسلافهم الذين كانوا يمتازون بالفطنة، والحكمة، وسمحوا للمجرمين المتهمين بالهرب من الموت إلى المنفى الاختيارى، واقترح قيصر مصادرة ممتلكات المتهمين الخمسة، وسجنهم فى بلديات (municipiae)، ووضعهم تحت الحراسة. كما اقترح أنه لا ينبغى لأحد بعد ذلك أن يقترح قراراً على مجلس السناتو، أو قانوناً على الشعب بخصوصهم، ومن يفعل ذلك وجب على مجلس السناتو أن يعتبره خارجاً

علـــى الدولة، والصالح العام. واقترح قيصر كذلك عقوبة صارمة على أى مدينة تسمح للمسجونين بالهرب إليها.

وفـــيما يلى نسجل مقتطفاً من خطبة قيصر التى نقلها ساللوستيوس حرفياً[1] فى كتابه "كاتيلينا":

Plerique eorum qui ante me sententias dixerunt composite atque magnifice casum rei publicae miserati sunt. Quae belli saeuitia esset, quae uictis acciderent, enumeravere: rapi uirgines, pueros, diuelli liberos: complexu, matres familiarum pati quae uictoribus conlibuissent; fana atque domos spoliari; caedem, incendia fieri; postremo armis, cadaueribus, cruore atque luctu omnia compleri. Sed, per deos inmortalis, quo illa oratio pertinuit? An uti uos infestos coniurationi faceret? Scilicet quem res tanta et tam atrox non permouit, eum oratio accendet [Non ita est; neque cuiquam mortalium iniuriae suae paruae uidentur; multi eas grauius aequo habuere. Sed alia aliis licentia est, patres conscripti. Qui demissi in obscuro uitam habent, si quid iracundia deliquere, pauci sciunt; fama atque fortuna pares sunt. Qui magno imperio praediti in excelso aetatem agunt, eorum facta cuncti mortales nouere. Ita in maxuma fortuna minima licentia est: neque studere, neque odisse, sed minime irasci decet.
Quae apud alios iracundia dicitur, ea in imperio superbia atque crudelitas appellatur. Equidem ego sic existumo, patres conscripti, omnis cruciatus minores quam facinora illorum esse. Sed plerique mortales postrema meminere, et, in hominibus impiis sceleris eorum obliti, de poena disserunt, si ea paulo seuerior fuit.

---

(1) Sallust. Cat. 51, 9-24.

D. Silanum, uirum fortem atque strenuum, certo scio quae dixerit studio rei publicae dixisse, neque illum in tanta re gratiam aut inimicitias exercere: eos mores, eamque modestiam uiri cognoui. Verum sententia eius mihi non crudelis – quid enim in talis homines crudele fier potest? – sed aliena a re publica nostra uidetur. Nam profecto aut iniuria te subegit, Silane, consulem designatum, genus poenae nouom decernere. De timore superuacaneum est disserere, cum praesertim diligentia clarissumi uiri consulis tanta praesidia sint in armis. De poena possum equidem dicere, id quod res habet, in luctu atque miseriis mortem aerumnarum requiem, non cruciatum esse; eam cuncta mortalium mala dissoluere; ultra neque curae neque gaudio locum esse. Sed, per deos immortalis, quam ob rem in sententiam non additdisti uti prius uerberibus in eos animaduorteretur? An quia lex Porcia uetat? At aliae leges item condemnatis cibuibus non animam eripi, sed exilium permitti iubent. An quia grauius est uerberari quam necari? Quid autem acerbum aut nimis graue est in homines tanti facinoris conuictos? Sin quia leuius est, qui conuenit in minore negotio legem timere, cum eam in maiore neglegeris?

"إن معظـم هـؤلاء الذين ألقوا كلمتهم قبلى بأسلوب متقن ومؤثر عـبروا عـن يأسهم من حال الدول، وذكروا مساوئ الحرب، وما ينتظر المهزومين: سبى البنات والأولاد، الأطفال المخطوفين من أحضان آبائهم، الـزوجات اللاتـى سيخضعن لملذات المنتصرين، المعابد والمنازل التى سوف تُسلب، الحرق والذبح بالأسلحة، الجثث والدم والنواح فى كل مكان. ولكن بحق الآلهة الخالدة ! إلى ماذا ترمى هذه الخطبة البليغة؟ لكى تجعلكم تكرهون المؤامرة؟ ولكن إذا كان الواقع المؤلم لم يستطع أن يحرك مشاعر

ذلك الشخص، فهل سوف تؤثر فيه الخطبة البليغة؟ هذا لن يكون أبداً، ولن يقلل الناس من أخطائهم. إذ أن العديد من الناس مستاءون منها بشدة، ولكن جميع الناس لا يعرضون جميع الأمور، يا أيها الآباء المسجلين!

ولكـــن إذا دفـــع الغضب الناس العاديين الذين يعيشون حياتهم فى غمـــوض لارتكاب الخطأ، فإن قليل من الناس يعلم به لأن قليل من الناس يعلمـــون أى شـــئ عن مثل هؤلاء الناس غير المهمين. ولكن الناس الذين يشغلون المراكز ذات السلطة الكبيرة يعيشون فى شأن رفيع، وجميع الناس تعـــرف أفعالهم. فكلما ارتفع مركزنا، فكلما أصبحت حريتنا أقل. يجب أن نتجنـــب التحـــيز والكراهية، وفوق كل شئ الغضب، لأن ما يُسمى ثورة الغضـــب عـــند الآخرين، يُطلق عليه الغرور والوحشية عند هؤلاء الذين يستحوذون على السلطة. أما من ناحيتى، يا حضرات الآباء المسجلين ! أن أعـــتقد أن أى عـــذاب ســـوف يكون عقوبة أقل لما تستحقه جرائم هؤلاء الـــرجال. ولكـــن معظم الناس يتذكرون فقط ما يحدث أخيراً. فعندما يُتهم المجـــرمون فإنهم ينسون جريمتهم، ويتحدثون فقط عن عقوبتهم إذا كانت قاسية أكثر من المعتاد.

أنا متأكد أن ديكيموس سيلانوس، أشجع وأقوى رجل، تكلم فى هذا الموضـــوع الخطير بدافع من اهتمامه بمصالح بلده، وليس لأنه يرغب فى أن يرضى شخصاً، أو يظهر عداءً شخصياً لأننى أعرف أخلاقه وتواضعه. ومـــع ذلـــك، فإن اقتراحه ليس صعباً بالنسبى لى ــ لأن التعامل مع أمثال هؤلاء الرجال لا يمكن أن يتصف بأنه صعب، ولكنه يتفق مع نظام دولتنا.

بالتأكـــيد، يـــا ســـيلانوس، أن الخوف أو الإساءة أجبرتك كقنصل منتخـــب أن تقرر نوعاً جديداً من العقوبة. ويمكن أن يُستبعد الخوف بعيداً عـــن النقاش بفضل الاحتياطات التى اتخذها القنصل المشهور جداً وبصفة

خاصـــة حيث يوجد مثل هذا الحرس المدجج بالأسلحة. أما بالنسبة للعقوبة التى اقترحتها، يمكن أن نقول إن الموت راحة من معاناة الإنسان فى حالة الحزن واليأس، وليس عقوبة، لأنه يضع نهاية لجميع شرور الإنسان، وبعد ذلك لا يوجد مجال سواء للحزن أو السرور.

ولكن بحق الآلهة الخالدة ! لماذا لم تقترح كذلك أنه يجب أن يُعذب المســاجين بالسياط قبل إعدامهم؟ هل ذلك لأن قانونا بوركيوس يمنع ذلك؟ لكــن هناك قوانين أخرى تشترط أن المواطنين المتهمين لا يجب إعدامهم، وإنمــا يجــب أن يُســمح لهم بالذهاب إلى المنفى. هل ذلك، لأن الضرب بالسوط عقوبة أشد من عقوبة الموت؟

ولكن ما هى العقوبة التى تعتبر صعبة أو متجاوزة بالنسبة للإنسان الــذى تثبت إدانته بمثل هذه الجريمة؟ ولكن إذا كان ذلك كذلك لأنك فكرت فى أن الضرب بالسوط تعتبر عقوبة أخف، فكيف يمكن أن يكون منطقياً أن نحــترم القــانون بشأن مسألة أقل أهمية بينما أنت لم تهتم به بالنسبة لأمر أكثر أهمية؟"

ب- "عن حرب يوجورتا" (De Bello Iugurthino)

يكشــف كتاب "حرب يوجورتا" لساللوستيوس الفساد والعجز الذى أصــاب أعضــاء مجلس السناتو فى الحقبة الأخيرة من تاريخ الجمهورية الرومانــية. فقــد استطاع يوجورتا (Iugurtha) ملك نوميديا الواقعة فى شــمال إفريقــيا، أن يشــترى بهداياه وأمواله ذمم وضمائر أعضاء اللجنة الدبلوماسية التى أرسلتها روما عام ١١١ ق.م للتحقيق معه حول موضوع حصــاره لعاصــمة كــيرتا (Cirta) الــتى كــان يحكمها عمه أدهربال (Adherbal)، وكــان يتواجد فيها عدد كبير من التجار الإيطاليين. وبعد

مغـــادرة تلـــك اللجـــنة، قام بمحاصرة المدينة ودخلها وذبح جميع التجار الإيطاليين، وعاقب أهلها بقسوة، وعندما علمت روما بذلك، اشتعلت بثورة قادهـــا الفرســـان ونقباء العامة، وأعلن نقيب العامة جايوس مميوس (G. Memmius) أن بعـــض أعضـــاء مجلـــس السناتو حصلوا على رشاوى وهدايا من يوجورتا.

أرسلت روما جيشاً بقيادة القنصل كالبورونيوس (Calpurnius Bestia) لمحاربة يوجورتا، ولكنه بدل من محاربته عقد معه اتفاق سلام، ورجع إلى رومـــا، فأتهمـــه الفرســـان والشعب بالرشوة والفساد، وطالب نقيب العامة ممـــيوس باســـتدعاء يوجورتا إلى روما وسؤاله عن النبلاء الرومان الذين حصـــلوا على رشوة منه[1]. وعندما حضر يوجورتا إلى روما وامتثل أمام الجمعية القبلية، فشل مميوس فى الحصول منه على أى معلومات أو أسماء النـــبلاء وأعضـــاء مجلـــس السناتو المرتشين. وفى أثناء ذلك الوقت دبر يوجورتا حادثة اغتيال لأحد أبناء عمومته الذى كان موجوداً فى روما من أجـــل المطالـــبة بحقه الشرعى فى مُلك نوميديا. عندئذ أمر مجلس السناتو بطـــرده من روما على الفور. وبينما كان يوجورتا راكباً سفينته، نظر إلى روما وقال عبارة سجلها لنا ساللوستيوس[2] بأسلوبه الذى يفتقر إلى الدقة، تصـــور حقيقة تدهور الأحوال فى روما وتفشى الفساد والرشوة بين حكام روما من النبلاء وأعضاء مجلس السناتو:

---

(1) K. and Von Fritz, "Sallust and the attitude of the Roman nobility at the time of the wars against Jugurtha", ATPhA 74 (1943), pp. 134-168.

(2) Sallust. Bell Iugurth. 35, 10.

Urbem venalem et mature periturum si emptorem invenerit.

"يا لها من مدينة سوف تزول وتفنى إذا وجدت لها مشترياً"

يعتــبر كــتاب "عن حرب يوجورتا" أفضل من كتاب "عن مؤامرة كاتيليــنا" لأنه راعى الترتيب الزمنى للأحداث المتعاقبة، وتضمن تصوير جميل لشمال إفريقيا، وكذلك احتوى على وصف شيق للشخصيات البارزة المؤثرة التى لعبت دوراً هاماً فى مجرى الأحداث التاريخية أمثال: الضابط الشــاب الكفء سلا (Sulla)، وهو ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية، وكان القــائد مــاريوس قد اختاره مساعداً له فى حربه ضد يوجورتا عام ١٠٧ ق.م. القنصــل ماريوس (Marius)، الرجل العصامى (novus homo)، وينــتمى إلــى طبقة العامة. القنصل ميتيللوس (Metellus)، ذلك الرجل الأميــن الــنزيه، الصارم، وينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية. نقيب العامة ميميوس (Memmius)، الإنسان الجاد الأمين الذى يضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار. وأخيراً ملك نوميديا، يوجورتا (Iugurtha)، ذلك الرجل الماكر، الذى لا ضمير له ولا أخلاق.

كذلك يسجل كتاب "عن حرب يوجورتا" خطبتين مؤثرتين:

الأولــى ألقاها نقيب العامة مميوس، وتمثل رغبة نقباء العامة فى الانتقام، وإثــارتهم لغضــب الشــعب، أما الثانية فقد ألقاها ماريوس، القائد الشعبى العصــامى، وفيها قارن نفسه بالنبلاء، وصب غضبه عليهم، وأعلن أنه لا مــيزة لهــم سوى التفاخر والتباهى بإنجازات أسلافهم، وإقامة التماثيل لهم بينما هو ليس لديه أسلاف يتشدق بهم. ولا يملك تماثيلاً لأجداده ولا يعرف الأدب الإغــريقى، ولكنه يفخر بالأخطار والمعارك التى خاضها وبالجراح

التى فى صدره. ويمكن أن نذكر هذه الخطبة ماريوس التى يذكرها الكُتاب والمؤرخـــون المحدثيـــن لتوضـــيح قدرة ساللوستيوس، الفائقة على تحليل الشخصيات ــ على النحو التالى:

Comparate nunc, Quirites, cum illorum superbia me hominem nouun. Quae illi audire aut legere solent, eorum partem uidi, alia egomet gessi; quae illi litteris ea militando didici, Nunc uos existumate facta an dicta pluris sint. Contemnunt nouitatem meam, ego illorum ignauiam; mihi fortuna, illis prohra obiectantur. Quamquam ego naturam unam et communem omnium existumo, sed fortissumum quemque generosissumum. Ac si iam ex patribus albini aut Bestiae quaeri posset, mene an illos ex se gigni maluerint, quid responsuros creditis, nisi sese liberos quam optumos voluisse? Quodsi iure me despiciunt faciant idem maioribus suis, quibus, uti mihi, ex uirtute nobilitas coepit. Inuident honori meo: ergo inuideant labori innocentiae periculis etiam meis, quoniam per haec illum cepi. Non possum fidei causa imagines neque triumphos aut consulatus maiorum meorum ostentare, at, si res postulet, hastas uexillnum phaleras alia militaria dona, praeterea cicatrices aduorso corpore. Hae sunt meae imagines, haec nobilitas, non hereditate relicta, ut illa illis, sed quae ego meis plurumis laboribus et periculis quaesiui. Non sunt composita uerba mea. Parui id facio. Ipsa se uirtus satis ostendit. Illis artificio opus est ut turpis facta oratione tegant. Neque litteras Graecas didici: parum placebat eas discere, quippe quae ad uirtuten doctoribus nihil profuerant. At illo multo optuma rei publicae doctus sum hostem ferire, praesidium agitare, nihil metuere nisi turpem famam, hiemem et aestatem iuxta pati, humi requiescere, eodem tempore inopiam et laborem tolerare. His ego praeceptis milites hortabor.

" قـــارنوا الآن، أيهــا المواطنون! بينى أنا الرجل العصامى وبين غطرســتهم. أنا رأيت أو أنجزت بنفسى الأشياء الأخرى التى اعتادوا أن يســمعوا عنها أو يقرؤها. أنا تعلمت فى الخدمة العسكرية ما قد تعلموه فى الكتــب. أصـــدروا حكمكم الآن أيهما أكثر قيمة: الأفعال أم الأقوال. إنهم يحــتقرون عصاميتى، وأنا احتقر جبنهم، إنهم يحتقرون حظى، وأنا أحتقر فصـــائحهم. وبالـــرغم مـــن إننى اعتقد أن طبيعة جميع الناس واحدة، فإن الأشـــجع هـــو الأكـــرم. وإذا استطعنا الآن أن نسأل أجداد أشخاص أمثال ألبينوس أو بيستيا: مَن يفضلون أن يكون ابناً لهم؟ هل أنا أم هؤلاء؟ فماذا تعتقدون سيكون جوابهم إذا لم يرغبوا أن يكون أبناءهم هم الأفضل؟ ولكن إذا كان من حقهم أن يحتقروننى، فدعوهم يحتقرون أجدادهم أيضاً. إن النبل نشأ معهم مثلما نشأ نبلى فى الفضيلة. إنهم يحقدون على منصبى، فدعوهم يحســـدون مجهـــودى، ونزاهـــتى والأخطار التى صادفتنى، حيث إننى قد حصـــلت عليه من خلالها. أنا لا أستطيع أن أعرض عليكم تماثيل أجدادى أو انتصـــاراتهم، أو قنصلياتهم لكى أكسب ثقتكم، ولكن إذا استدعى الأمر ذلـــك، فأنا أحمل رماحاً، وعلماً، وأوسمة، ومكافآت عسكرية أخرى، وندباً فـــى صدرى. فهذه تكون تماثيلى، وعلامات نبلى التى لم أرثها مثلما يرث الآخرين، ولكننى حصلت عليها بمجهوداتى وبالأخطار التى واجهتها.

إن كلمـــاتى غـــير مرتبة، فذلك لا يهمنى، فالفضيلة تعلن عن نفسها تلقائياً بدرجـــة كافـــية. إنهم يحتاجون إلى الصنعة لكى يخفوا أعمالهم الدنيئة من خلالها. أنا لم أدرس الأدب الإغريقى، ولا يسعدنى أن أدرسه لأنه لم يقدم نفعـــاً إلـــى القائميـــن على تدريسه لعرض فضيلتهم. وأنا تعلمت من أجل مصـــلحة الدولة العليا أن أهاجم العدو، وأتعهد بالحراسة، ولا أخشى شيئاً ســـوى السمعة السيئة، وأن أتحمل الشتاء والصيف على السواء، وأن أنام

على الأرض، وأن أتحمل الجوع والتعب فى نفس الوقت. وأنا سوف أحث جنودى لكى يتبعوا هذه الأسس".

ج- كتاب "التواريخ" (Historiae)

يتـــناول كتاب "التواريخ" (Historiae)(١) أحداث تاريخية استمرت أكـــثر من عشر سنوات ابتداء من موت الديكتاتور سلا (Sulla) فى عام ٧٨ حـــتى عـــام ٦٧ ق.م، وهو عام رحيل بومبيوس إلى آسيا الصغرى لمحاربة الملك ميثراداتيس (Mithradates). ولم يصل إلينا من هذا العمل سوى بعض الشذرات القليلة، ورسالتان، وأربع خطب.

يوضـــح لنا ما تبقى من هذا العمل أن ساللوستيوس حاول أن يقدم أسباباً للأحداث التى كان يسردها من خلال الغوص فى أعماق الشخصيات الـــبارزة المؤثرة وتحليلها، تلك الشخصيات التى كان لها دوراً أساسياً فى مجرى الأحداث التاريخية مثلما رأينا من قبل، مثل قيصر، كاتو، كاتيلينا، ماريوس، سلا، وغيرهم.

وقـــد اتبع أسلوبه هذا المؤرخ تاكيتوس (Tacitus) (حوالى ٥٤ – ١٢٠ ميلادية)، وبخاصة فى كتابه أجريكولا (Agricola).

٣- كورنيليوس نيبوس (Cornelius Nepos)

وُلـــد كورنيليوس نيبوس (حوالى عام ١٠٠- ٢٥ ق.م) فى شمال إيطالـــيا، ونحن لا نعرف مسقط رأسه على وجه التحديد، وهو ينتمى إلى طـــبقة الفرسان. وقد اهتم بدراسة الأدب وابتعد عن السياسة تماماً. وكان

---

(1) Sallust, The Histories, Vol. I, By Patrick Mc Gushin.

صـــديقاً لكـــل من شيشرون وصديقه أتيكوس، وفارو (Varro)، والشاعر الغنائى كاتوللوس (Catullus) الذى أهداه مجموعة من الأشعار.

تخصـــص كورنيلـــيوس نيبوس فى كتابة السير (vitae)، وتشمل مؤلفاته التى لم تصل إلينا ثلاثة كتب تُسمى تاريخ عام (Chronica)، وهى ملخـــص لتاريخ إيطاليا، ونماذج (Exempla) تتكون من خمسة كتب عن الأعمـــال أو الإنجازات التاريخية البارزة، وسيرة حياة كاتو، وسيرة حياة شيشرون، وكتاب فى الجغرافيا يذكره لنا بلينيوس (Plinius) الأكبر.

لقد وصل إلينا من أعماله مؤلفه "عن مشاهير الرجال" (De Viris Illustribus) الـــذى ويحـــتوى على ستة عشر كتاباً، ويتناول سير حياة مشاهير الرجال فى مختلف فروع العلوم والمعرفة السياسية، وكذلك مؤلفه "عن القادة البارزين من الأمم الأجنبية" (De Excellentibus Ducibus Externarum Gentium)، الـــذى يحـــتوى على تسعة عشر سيرة لقادة إغريق، وسيرة قائد فارسى، وقائدين من قرطاجة: هاميلكار(Hamilcar)، وهانيبعال (Hannibal)، وكذلك سيرة حياة كاتو وأتيكوس[1].

يتميز أسلوب كورنيليوس نيبوس بجمله البسيطة التى تناسب سرده للشخصـــيات، وبالإيجـــاز (brevitas) الشـــديد الـــذى يؤدى أحياناً إلى الغموض.

٤-ماركوس تيرنتيوس فارو (Marcus Terentius Varro)

وُلد ماركوس تيرنتيوس فارو فى رياتى (Reate) (حوالى ١٠٦-٢٧ ق.م)، وهـــو وطـــنى غـــيور، وكاتب موسوعى، إذ يشير إليه الناقد

---

(1) Horsfall, N., Cornelius Nepos: A Selection, Including the lives of Cato and Atticus,

الــروماني كوينتيليانوس (Quintilianus)[1] بإعجاب، ويصفه بإنه أكثر الرجال الرومان علماً (vir Romanorum eruditissimus).

فقــد كتــب فــارو (Varro) مؤلفــات فى الجغرافيا، والزراعة، والحساب والفلك، والآثار والتاريخ، والفلسفة، والقانون، والشعر والشعراء، والخطابة والبلاغة، والنحو، والمسرح. وجمع كم كبير من الشعر اللاتينى المبكر، وحاول استخراج قاعدة عامة منهجية للشعر. كما قام بتحقيق إحدى عشر مسرحية كوميديا لــ بلاوتوس (Plautus)[2].

درس فــارو فــى روما على يد العالم الرومانى المشهور، إيليوس ستيلو (Aelius Stilo)، وبعد ذلك سافر إلى أثينا طلباً فى المزيد من العلم والمعــرفة حيــث درس هــناك علــى يد الفيلسوف الأكاديمى أنتيوخوس (Antiochus) من عسقلان (Ascalon).

شغل فارو عدة مناصب حكومية وكان حاكماً قضائياً (praetor)، ومشــرفاً إداريــاً (aedilis). واشترك فى الحملات العسكرية التى قام بها القنصــل بومبيوس. وعندما اندلعت الحرب الأهلية بين قيصر وبومبيوس، تولى فارو قيادة فصائل فى جيش بومبيوس فى أسبانيا، واضطر للاستسلام لقيصر الذى عفى عنه، وعهد إليه بالإشراف على المكتبة العامة التى كان يــزمع فــى إنشائها. وبعد اغتيال قيصر وضع أنطونيوس اسمه فى قائمة مصادرات الذين أهدرت دماؤهم، ولكن بفضل تدخل بعض الأصدقاء رُفع اســمه مــن تلك القائمة. وأمضى سنوات عمره الأخيرة فى هدوء وتفرغ للدراســة والتأليف، حيث كتب أعمالاً كثيرة بلغت أربعة وسبعين عملاً ما

---

(1) Quint. Instit. Orat. 10. 1. 95; Cic. Ad. Att. XIII. 18, 2.

(2) Gellius, A., Noctes Atticae 3. 3, 2-4.

بين شعر ونثر شملت ستمائة وعشرين كتاباً لم يصل إلينا منها سوى عملين اثنين أحدهما بعنوان "عن اللغة اللاتينية" (De lingua Latina)، والآخر بعنوان "عن الزراعة" (De Re Rustica)، وكذلك ستمائة بيت من هجائياته المُسماة "الهجائيات المنيبية (Saturae Menippeae). وقد حفظ لنا بعض الكتاب الرومان "أمثال جيلليوس (Gellius)، ونونيوس (Nonnius) أجزاء متناثرة أو بمعنى أصح شذرات من أعماله التى لم تصل إلينا.

مؤلفاته وأعماله

أ- عن اللغة اللاتينية (De Lingua Latina)

ألف فارو (Varro) مؤلفه "عن اللغة اللاتينية"، ويقع فى خمسة وعشرين كتاباً أو جزءاً لم يصلنا منه سوى الأجزاء من الخامس حتى العاشر فقط[1]، وأهداه إلى صديقه شيشرون.

يظهر تأثير المذهب الرواقى فى هذا المؤلف واضحاً جداً ويتمثل فى الإحساس بقيمة الكلمات، وضرورة وجود مبادئ عامة ترتكز على أشكال وصور مبكرة، وقد ناقش هذا المؤلف قضايا لغوية مثل الاشتقاق (derivativa)، وتركيب الجملة (compositio sententiae)، وأخيراً قضية القياس (analogia) واللاقياس (non-analogia) (الشواذ أو الاستثناءات اللغوية)، وهى القضية التى تناولها الكتاب الثامن والتاسع والعاشر، وكانت مثاراً للجدل والنقاش بين النحويين الرومان فى عصر فارو. إذ كان هناك مذهبان أحدهما يرى أن قواعد اللغة قياسية وينبغى أن

---

(1) Kent, R.G., Varro on the Latin Language, p. 17 ff.

تكون قواعد محكمة مطردة وذات منطق محدد وأن الشواذ أو الاستثناءات (exceptions)، وهـــى الـــركام اللغـــوى للظواهر اللغوية المندثرة تمثل خروجاً على القاعدة المطردة الحاكمة. أما المذهب الثانى فقد نادى بأهمية الـــدور الـــذى تلعبه الاستخدامات الشائعة للكلمات فى إثبات وجود صور مســـتثناه. وبالرغم من أن فارو كان من أنصار مذهب القياس، فإنه حاول التوفيق بين أنصـار كل من المذهبين لأنه رأى أن كل من المذهبين: القياس واللاقياس له دوره فى مجال تطوير اللغة اللاتينية.

يتضـــح من كتب فارو "عن اللغة اللاتينية" وما تناوله من مفردات اللغـــة ــ أن اللغـــة كائـــن اجـــتماعى يخضع لظروف المجتمع، ويتطور بتطوره، ولا دخل لأى قوة إلهية أو خفية فى تنشئته أو تنميته أو تطوره.

ب- عن الزراعة (De Re Rustica)

كتـــب فارو (varro) مؤلفه "عن الزراعة" فى أواخر سنين حياته، وقـــد وصلت إلينا منه ثلاث كتب كاملة. يتناول الكتاب الأول الموجه إلى زوجـــته فوندانيا (Fundania) – بهجة الزراعة وفوائدها ويتحدث الكتاب الـــثانى الموجه إلى تاورانيوس نيجر (Tauranius Niger) ــ عن تربية المواشى، أما الكتاب الثالث الموجه إلى كوينتوس بينيوس (Q. Pinnius) فهـــو يـــتكلم عن حظائر تربية المواشى وأحواض السمك. كان الهدف من تألـــيفه هذا العمل هو ذم البطالة وحياة الترف، وإسداء النصائح المفيدة إلى المواطـــن الرومانى الذى ترك الريف وهاجر إلى مدينة روما سعياً وراء الترف والملذات ــ وتوجيه عنايته إلى حب الحياة الريفية الشريفة المفيدة.

ج- الهجائيات المنيبية (Saturae Menippeae)

ألــف فــارو (varro) فى بداية حياته هجائيات أطلق عليها اسم الهجائــيات المنيبية (Saturae Menippeae) لأنها بنيت على محاورات الفيلســوف الكلــبى[١]، مينيــبوس (Menippus) الذى عاش فى حوالى منتصــف القــرن الثانى قبل الميلاد وابتدع نوعاً من الهجائيات "الساتورا" (Satura) اللاذعــة الجافة. وتتألف هجائيات فارو من مائة وخمسين كتاباً وصــلت إليــنا مــنها ستمائة بيت فقط، وكانت خليطاً من النثر والشعر، وتحتوى على أوزان متنوعة.

كــان فــارو يهــدف إلى تقديم الأفكار العلمية إلى القارئ البسيط العادى من خلال الهجائيات، ويذكر شيشرون منهجه وأهدافه فى محاورته الثانية "الأكاديمية"[٢].

تناولــت الهجائيات المنيبية الحياة الرومانية الخاصة والعامة على السواء، فقد تهكم فارو من الفلاسفة وتهكم من رجال حكومة الائتلاف الثلاثى حيث وصــفهم بــأنهم مثل الوحش ذو الرووس الثلاثة وسخر من الصراع بين المدارس الفلسفية المختلفة والعبادات الدينية الأجنبية داخل روما، وعارض

---

(١) أســس الفيلســوف أنتيثنــيس (Antisthenes)، تلميذ جورجياس (Gorgias) وســقراط (Socrates) ــ مدرســة فلسفية فى أثينا فى النصف الثانى من القرن الخــامس قــبل الميلاد، كانت تنادى بأن الطريق إلى السعادة يكمن فى الفضيلة، والــتحرر مــن الرغــبات والشهوة. وكان البطل هيراكليس (Hercules) هو النموذج الأمثل فى فضيلة التحمل، ومواجهة التحديات فى العالم. وقد تأسست هذه المدرســة فى الجمنازيوم (gymnasium)، واشتق اسمها "كلبى" (cynicus)، مــن الكنــية (kuon) بمعــنى "الكلب" ــ التى أطلقت على الفيلسوف ديوجنيس (Diogenes) الذى رأس هذه المدرسة فيما بعد.

(2) Cic. Acad. 2. 1, 2. 8.

الأساطير، وكذلك تهكم من رجال الحكومة الثلاثية حيث وصفهم بأنهم مثل الوحش ذو الرؤوس الثلاثة.

٥- النثر اللاتيني في العصر الأوغسطي (The Augustan Age)

تطـــور النثر اللاتيني ووصل إلى قمة ذروته في الفترة الأولى من العصـــر الذهبي وهي العصر الشيشروني حيث ازدهرت الخطابة والتاريخ وبعــد ذلك جاء العصر الأوغسطي (٣١ ق.م - ١٤ ميلادية) الذي شاهد انتصـــاراً كبـــيراً للحركة الأدبية تحت تأثير الثقافة الهلينستية ومولد فجر عصـــر ذهبي للشعر. فلقد وضعت معركة أكتيوم (Actium) في ٣١ ق.م نهاية للصراعات الأهلية والحروب الدموية بين القادة العسكريين في روما، وأصبحت السلطة كلها في الدولة في يد قائد واحد (imperator)، أو حاكم واحــد هو أوكتافيانوس (Octavianus)، الذي سيطر على جميع الأمور، وأصـــبح القـــائد الأعلى، ورئيساً لمجلس السناتو (princeps senatus)، والمسئول الأول والأوحد عن جميع المؤسسات الإدارية والدينية في الدولة. واتخـــذ أوكتافـــيانوس لقب "أوغسطوس" (Augustus) بمعنى المقدس أو المـــبجل، واحـــتفل بـــه الشـــعب الروماني وكرمه ومجده باعتباره الإله، المحســـن، المخلـــص، والمـــنقذ الـــذي وضع نهاية للصراعات والحروب الدمويـــة، وجلـــب الأمـــن والهـــدوء والـــرخاء والسلام الروماني (pax Romana) لشعب روما والعالم كله.

اهـــتم أوغســـطوس (Agugstus) ومعظـــم رجـــال دولـــته من الشخصـــيات الراقـــية المتعلمة بالشعر والشعراء، لذلك انتشرت الدراسات الشعرية والبلاغية، ووصل الشعر إلى أوج الكمال بينما اندثر النثر، وفقدت الخطابـــة والـــتاريخ مكانتهما وأهميتهما، لأن الوظائف الحكومية الشرفية

(cursus honorum) فقدت قيمتها الحقيقية والتى كانت تمثل تاريخ وسيرة حـياة المواطن الرومانى ـ ولم يعد المواطن الرومانى يكترث بها. كذلك فقدت دور المحاكم والمجالس النيابية والسياسية أهميتها التى حظيت بها فى عصـر شيشـرون لعدم وجود قضايا سياسية أو أحزاب سياسية متنافسة، حيـث إن الحـياة السياسـية أصـبحت منصـبة ومركزة حول شخصية الإمبراطور أوغسطوس.

لقـد اخـتفى كُـتاب الحولـيات وكُـتاب السير الذاتية فى عصر أوغسطوس، وظهر كُتاب تاريخ الأمم والشعوب مثل تيتوس ليفيوس (T. Livius) الـذى كتـب تـاريخ رومـا منذ نشأتها، وبومبيوس تروجوس (Pompeius Trogus) الذى كتب تاريخ الأمم الأخرى.

هـناك عـدة عوامـل ساعدت على النهضة الأدبية فى روما فى العصـر الأوغسطى عامة، وتطور الدراسات الشعرية بخاصة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

اهـتم أوغسـطوس بالشـعراء، وساعدهم لأنه أدرك مدى تأثير مسـاندتهم للحـاكم على سير الأمور فى الدولة، وكذلك تبنى رجال دولته البارزيـن مـثل مايكناس (Maecenas)، وأسينيوس بولليو (Asinius Pollio)، وفالـيريوس ميسـالا (Valerius Messala)، وأجريـبا (Agrippa) الشـعراء، ومـنحوهم المكانـة الاجتماعية، وأغدقوا عليهم بالهـبات والمـنح والعطايـا السخية. فمثلاً، كان الشعراء الرومان أمثال هوراتـيوس (Horatius) وتيـبوللوس (Tibullus) وبروبرتـيوس (Propertius)، وأوفـيديوس (Ovidius)، وفيرجيلليوس (Vergilius) يُكـرمون ويُبجلون فى بلاط الإمبراطور أوغسطوس. وبذلك ارتقت مكانة الشعراء فى نظر العامة، واتصفت مهنتهم بالاحترام والتبجيل.

ازدهرت روما فى عصر أوغسطوس بالمعابد والمسارح الجديدة، وأنشأت ثلاث مكتبات جديدة: الأولى افتتحها أسينيوس بولليو (Asinius Pollio) فى أواخر عام ٣٩ ق.م فى ساحة معبد الحرية، والثانية فى معبد أبوللو (Apollo) على تل البلاتين، والثالثة فى ساحة أوكتافيا (Octavia).

تدهورت أخلاقيات الشعب الرومانى فى أواخر عصر الجمهورية، وتـــزايدت مظاهـــر الـــبذخ والإســـراف مع تزايد اتساع رقعة الفتوحات والممـــتلكات بفضل انتصارات الجيوش الرومانية الغازية(١). وظهر الفساد الأخلاقى بصورة واضحة عند الشباب الذى اتبع الإبيقورية مذهباً، وانساق وراء العواطـــف والنزوات والرذائل فى مدينة روما، العاصمة المتحضرة الـــتى جذبت إليها كثير من الأجانب النازحين إليها من كل حدب وصوب وبخاصـــة مـــن الشـــرق، وجلبوا معهم الأفكار والشعائر الدينية المتنوعة الإنحلايـــة والإباحية التى اكتسحت التعاليم الدينية الرومانية، والموروثات الأخلاقـــية القديمـــة للـــرومان(٢). فدخلـــت إلى روما عبادة الإله باخوس (Bachus) أو ديونيســـوس (Dionysius) عـــند الإغـــريق، إله الخمر، وعبادة الإلهة كيبيلى (Cybele)(٣) وزوجها أتيس (Attis)، وعبادة إيزيس (Isis) الـــ إلاهـــة المصرية(٤). علاوة على ذلك، هاجر أهل الريف إلى

---

(١) أحمد عتمان: كليوباترا وأنطونيوس، دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقى. الطبعة الثانية، "أيجيبتوس"، القاهرة، ص ص ١٤١-١٤٥.

(2) Ferguson, F., The Religions of the Roman Empire, pp. 14-16.

(٣) فايـــز يوســـف محمـــد: عبادة الربة كيبيلى فى روما، بحث غير منشور، القاهرة، ١٩٩٠.

(4) Griffiths, J. Gwyn, Plutarch's De Iside et Osiride, University of Wales Press 1970; Witt, R.E., Isis in the Graeco-Roman World, London, 1970.

روما سعياً وراء تلك الإغراءات والحياة السهلة ولا سيما أن الحكومة اعتادت أن توزع القمح مجاناً على الشعب.

عندما ازدحمت مدينة روما بالسكان فى عصر أوغسطوس، واكتظت بالعائلات التى هجرت مزارعها، والعائلات التى أُنتزعت منها ملكية أراضيها، وبدأ شبح المجاعة يلوح فى الأفق، بادر أوغسطوس بوضع خطط للإصلاح الاقتصادى والدينى والأخلاقى. فأوقف توزيع القمح المجانى على الشعب، وأوعز إلى مايكناس (Maecenas) بأن يكلف فيرجيلليوس بتنظيم قصائد يُشيد فيها بمآثر ومفاتن الحياة الريفية. وبالفعل كتب فيرجيلليوس قصائد بعنوان "الزراعيات" (Georgica) حاول فيها أن يغرس فى الرومان حب حياة الريف، ويجذبهم إلى تلك الحياة البسيطة الهادئة. كما ناشدهم كذلك بالذهاب إلى الريف وأن يعيشوا حياتهم هناك مع الطبيعة، ومع جداول المياه، ومع آلهة الريف بعيداً عن السياسة، والإمبراطورية ومشاكلها، والمدن التى تنشأ ثم تنهار، وبعيداً عن المحاكم ومنازعات المطامع والجشع، وبعيداً عن التعرض للذهاب إلى المنفى.

يقول فيرجيليوس فى قصيدته الثانية من الزراعيات:

"ما أسعد الفلاح الذى يقدر الخيرات الممنوحة له، ولا يهتم بمتطلبات المدينة المبالغ فيها، ومظاهرها، ومبانيها، وتجهيزاتها الفاخرة. إنه ينعم بالهدوء والبساطة، والحرية التى تمنحها إياه حياة الريف البدائية. وكذلك ينعم بأنغام الحقول، والمواشى، والعبادة الريفية البسيطة، واحترام المُسنين، والاستقامة المتبقية قبل أن تندثر".

=انظر كذلك ترجمة د. حسن بكرى: "رسالة بلوتارخوس عن إيريس وأوزيريس" الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

اتجـــه أوغســـطوس نحـــو إحـــياء الشعور الأخلاقى والدينى عند الـــرومان وأن يبث فى نفوسهم من جديد الشعور بالخوف من الآلهة، فأمر بفـــتح جميع المعابد، وبخاصة معبد نوما (Numa) الذى أقامه الملك نوما للإلـــه يانوس (Ianus)، الذى سُمى باسمه شهر يناير. والجدير بالذكر أن أبـــواب هـــذا المعبد كانت تُغلق فى وقت السلم بينما تُفتح فى أيام الحرب. وأُغلقت أبوابه لمدة أربعة وثلاثين عاماً، وهى فترة حكم الملك نوما، ولكنها فُتحت بعد وفاته وبقيت مفتوحة حتى أمر الإمبراطور أوغسطوس بفتحها. وهذا يعنى أن روما كانت فى حروب مستمرة ومتواصلة لمدة سبعمائة عام تقريـــباً، وهـــى الفترة ما بين حكم الملك نوما والإمبراطور أوغسطوس[1] كذلـــك شرع أوغسطوس فى إعادة إصلاح وترميم المعابد التى انهارت أو تحطمـــت أثـــناء الحـــروب الأهلية، وبخاصة أثناء حرب العصابات التى شهدتها روما بين النقيب كلوديوس وميلو. كما أنشأ أوغسطوس كذلك معابد جديـــدة مـــثل معـــبد الإله أبوللو على تل البلاتين. وفى عام ١٧ ق.م أمر بتنظـــيم الأعياد الدينية وإقامتها فى مواعيدها المعتادة بعد أن توقفت لفترة طويلـــة. وطلـــب من هوراتيوس أن ينظم نشيداً دينياً فى مدح الإله أبوللو (Apollo) والإلهة ديانا (Diana). وبالفعل تغنى هوراتيوس بالآلهة التى كانـــت تحمـــى رومـــا، وامـــتدح الآلهة: مارس (Mars)، وميركوريوس (Mercurius)، وجوبيـــتر (Juipter)، وأبوللـــو، وديانـــا ــ فى أغانيه (odes أو carmina) التى كتبها فى أربعة كتب. وأثنى هوراتيوس على الإمـــبراطور أوغسطوس ومدحه لأنه أعاد بناء المعابد التى تهدمت، ونظم الأغنية الزمنية (carmen saeculare) التى مدح فيها الآلهة، وأُنشدت فى

---

(1) Bulfinch, Th., Mythology of Greece and Rome, pp. 21, 265, 268.

عام ١٧ ق.م لإحياء مناسبة وطنية أمر أوغسطوس بإقامتها، حيث أنشدها سبعة وعشرون فتى وفتاة من الأصول العريقة فى موكب يسير إلى معبد جوبيتر على تل البلاتين. ويمكن أن نذكر جزءاً منها على النحو التالى:

"حيث أن روما من صنع أيديكم، أيتها الآلهة الخالدة ! وحيث أن هؤلاء المحاربين المستقرين على ساحل توسكانيا قد جاءوا بالتأكيد من طروادة، وهم الذين قد حصلوا على وطن جديد ومدينة جديدة، وأتموا رحلتهم بفضل توجيهاتكم، والذين قادهم إينياس ذو القلب الطيب بعدما نجا من طروادة المحترقة بدون أن يصيبه أى ضرر لكى يعيش بعد دمار بلاده. ولقد أرشدهم طريق شاسع إلى مصير أعظم من جميع ما تركوه وراءهم. أنا أسألكم أيتها الآلهة الخالدة ! أن تنعموا على شبابنا القادر على الدراسة والتعلم بوسائل الاستقامة، وأن تمنحوا الهدوء والراحة للمسنين، وأن تسبغوا على نسل رومولوس بالثروة وكثرة الأبناء والأمجاد. إن الثقة الحسنة، والسلام والكرامة، والتواضع التى كانت سائدة فى الأزمنة السالفة،والفضيلة التى أُمتهنت لفترة طويلة ـ بدأت تسترجع قوتها مرة أخرى. وكذلك الرخاء الذى يشهده الجميع هنا. إن فويبوس الذى يملك القوس الفضى ذو الزخارف والحلى، والذى يتنبأ بالمستقبل، هو الصديق الذى تستقبله ربات الفنون والآداب التسع فى روما، والذى يمنح القوة للأعضاء المُضنية بفضل مهارته فى العلاج. إنه ينظر إلى تلال روما الشامخة برحمة وعدل، ويمنح العظمة لروما، والرخاء لـ لاتيوم لكى تمر بدورة أخرى جديدة، وأزمنة أخرى يسودها الرخاء الدائم".

كذلك تطرق هوراتيوس فى أغانيه للحديث عن الديانة فى مواضع مختلفة. فمثلاً، فى الأغنية الحادية عشر من الكتاب الأول يقول إنه على الإنسان أن يستسلم لإرادة الآلهة، وأن يكون مُخلصاً للدين. وفى الأغنية

السادســة وكذلــك فـــى الأغنية الثالثة والعشرين من الكتاب الثالث يذكر هوراتيوس أن ما تقاسيه دولة روما من نتائج الحروب الأهلية وما أصابها من كوارث يرجع إلى إهمال المواطنين الرومان لإمور دينهم.

٦- تيتوس ليفيوس (Titus Livius):

وُلد تيتوس ليفيوس (حوالى عام ٥٩ ق.م - ١٧ ميلادية) من أبرز كُـتاب النثر اللاتينى فى العصر الأوغسطى، وهو مؤرخ رومانى لا يقل شهرة عن ساللوستيوس ــ فى بلدة باتافيوم (Patavium) الواقعة فى شمال إيطالــيا، وينتمى إلى عائلة أرستقراطية انحازت إلى جانب بومبيوس فى صراعه ضد يوليوس قيصر. وقد درس ليفيوس الفلسفة والتاريخ فى روما.

لــم يشغل ليفيوس أى منصب حكومى، بل تجنب الحياة السياسية تماماً، ومع ذلك، كان وطنياً غيوراً، فقد التزم فى منهجه التاريخى بإظهار الــدروس الأخلاقــية والعبر، وكان يستشهد بالأسلاف القدماء عند سرده لأحداث الماضى لكى يتذكر القارئ دائماً أمجادهم وإنجازاتهم.

أظهــر ليفيوس بإيمان واقتناع دور الآلهة فى حياة البشر وتدبيرها (ministeria deorum)، وأنهــا تســتخدم علامات ودلائل لتبين رغباتها ومشــيئتها. وهــو يذكر دائماً أن إهمال الناس للآلهة يسبب الشرور التى تصــيب الآثمين والشعب الرومانى على السواء، ويستشهد بأمثلة على ذلك فى أعماله ومؤلفاته التاريخية مثل معركتى تراسيمينوس (Trasimenos) عــام ٢١٧ ق.م، وكانــاى(Cannae) عام ٢١٦ ق.م، حيث انتصر القائد القرطاجنى هانيبعال (Hannibal) فى المعركة الأولى على القائد الرومانى فلامينــيوس (Flaminius) وأباد جيشه تماماً عن بكرة أبيه، وانتصر فى

المعركة الثانية على القائد الرومانى تيرنتيوس فارو (Terentius Varro) ودمر جيشه.

يـروى لـنا ليفـيوس أن مجلس السناتو بعد الهزيمة فى هاتين المعركتين سعى لإرضاء الآلهة وكذلك لإرضاء النزعة الرومانية الغيبية، فأمـر بدفن إحدى راهبات الـ إلاهة فيستيا (Vestia) حية لأنها خرجت عـن العـرف والسـلوك الدينى واتخذت عشيقاً لها، كما أمر بذبح رجلين وامرأتين من الإغريق والغاليين لتقديمهم قرباناً لـ آلهة العالم السفلى حيث ذهب الآلاف من الجنود الرومان الذين ذُبحوا على يد هانيبعال.

وبالرغم من إن ليفيوس كان ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية، فإنه كـان مـتوازناً ومحايداً فى أحكامه بالنسبة للعامة والأشراف، فنجده يدين اضطرابات العامة وتذمرهم دائماً لأنه يرى أنها تسبب تدميراً لنظام الدولة، وكذلـك يديـن الظلـم والسـلب والنهب الذى يقوم به الأشراف لأنه يولد الكراهية بين الطرفين.

كذلـك تـبرز قدرة ليفيوس وإحساسه العميق وتفاعله مع التاريخ عـندما يجعلـه عملاً فنياً حياً ناطقاً من خلال تصويره الدقيق للشخصيات المعبرة، والأحداث وأماكن حدوثها، وتحركات الجيوش والمعارك الحربية.

يفتقر ليفيوس إلى أسلوب التحليل الذى يبحث فى أغوار المشكلات والقضايا التاريخية، ويجلب الأسباب التى أدت إليها. فمثلاً، نجده قد أدرج أثناء سرده للوقائع والأحداث بعض الخطب التى تلقى الضوء على أسباب الأحـداث ولكنه لا يناقشها ولا يحللها. تلك الخطب التى كان يلقيها الساسة والحكـام الرومان أمام الشعب سواء فى الفوروم، أو أمام أعضاء الحكومة فـى مجلـس السناتو، والتى كان يلقيها القادة العسكريين قبل بدء المعارك الحربية. وهو يذكر فقط تلك الخطب كنوع من المحسنات البديعية والحلى

لأنه كان متيماً بالزخرفة البلاغية والإيقاع الموسيقى فى نثره (numerosa oratio) ويهدف التأثير فى الجمهور.

مؤلفاته وأعماله

١- منذ تأسيس المدينة (Ab Urbe Condita)[١]

يتـــناول مؤلـــف ليفيوس التاريخى "منذ تأسيس المدينة" فترة ستة قرون ونصف منذ إنشاء مدينة روما أو منذ مجئ إينياس إلى إيطاليا حتى وفـــاة دروســـوس (Drusus)، ويزخر هذا العمل بالأساطير والخرافات. وكـــان ليفـــيوس يهـــدف فى المقام الأول إلى تمجيد قيصر وأوغسطوس، فعندما روى قصة إينياس ذكر أنهما من أحفاده ونسله.

يـــتكون هذا المؤلف من مائة واثنين وأربعين كتاباً وصل إلينا منه فقـــط الكتب من ١ حتى ١٠ التى تغطى الأحداث التاريخية منذ نشأة مدينة روما حتى عام ٢٩٣ ق.م، والكتب من ٢١ حتى ٤٥ التى تتناول الأحداث التاريخـــية، من عام ٢١٨ ق.م حتى عام ١٦٨ ق.م وتتحدث عن الحرب البونـــية الثانـــية حـــتى تـــاريخ الاستيلاء على مقدونيا وانتصار باولوس إيميليوس (Paulus Aemilius) على الملك بيرسيوس (Perseus)، ملك مقدونـــيا فـــى معركة فاصلة سقط فيها ما يقرب من عشرين ألف مقدونى قتيلاً، وتم أسر الملك بيرسيوس وأرسل أسيراً إلى روما فى موكب النصر.

---

(1) Ogilvie, R. M., Ab Urbe Condita. Libri I-V, 2nd Edn; Conway, R.S. and Walters, C. F., Libri VI- X; Ibid., XXI- XXV; Conway, R S and Johnson, S. K., Libri XXVI- XXX; Mac Donald, A H Libri XXXI- XXXV; Walsh, P G, Libri XXXVI- XI

٢- الملخصات (Periochae)

تعتبر الملخصات إعادة لصياغة كُتب ليفيوس المفقودة "منذ تأسيس المدينة" (Ab Urbe Condita). وقد وصلت إلينا كاملة فيما عدا الكتابين ١٣٦، ١٣٧. وينسب البعض هذه الملخصات إلى المؤرخ فلوروس (Florus).

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أحمد عتمان: الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى العصر الذهبي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ١٩٨٩.
كليوباترا وأنطونيوس، دراسة في فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي، الطبعة الثانية "أيجيبتوس"، القاهرة، ١٩٩٠.

حسن بكري: رسالة بلوتارخوس عن إيزيس وأوزيريس، الهيئة المصرة العامة للكتاب، القاهرة.

عبد المعطي شعراوي: النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩.

على عبد التواب: هوراتيوس والسفينة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٦٣، عدد (١) يناير ٢٠٠٣.

فايز يوسف محمد: عبادة الربة كيبيلي في روما، بحث غير منشور، القاهرة، ١٩٩٠.

محمد رضا قطب علام: الخطبة السياسية عند شيشرون في ضوء خطبه الأربع "ضد كاتيلينا" بحث م. كلية الآداب – جامعة القاهرة، ١٩٩٨.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Atkins (J. W. H) Literary Criticism In Antiquity, 2 Vols. Mthuen 1952.

Badian (E.) "Tiberius Gracchus and the Beginning of the Roman Revolution", in: Aufstieg und Niedergang der römischen Welt I (1972), pp. 668-73.

Barwick (K.) Caesars Commentarii und das Corpus Caesarianum. Philologus Suppl. 31.2.

Bulfinch (Th.) Mythology of Greee and Rome, Collier Books. New York, 1962.

Carcopino (J.) Les secrets de la Correspondance de Cicéron (Translated by Lorimer, E. O., London, Routledge and Kegan Paul, 1951.

Collinge (N. E) The Latin Language. The Classical World. Aldus Books. London, 1972.

Conway (R. S) and Walters (C.F.) Ab Urbe Condita. Libri VI-X. Oxford, 1920.

__________ Ab Urbe Condita. Libri XXI- XXV Oxford, 1929.

Conway (R. S.) and Johnson(S. K.) Ab Urbe Condita. Libri XXVI-XXX Oxford, 1935.

Dorey (T. A.) Latin Historians. London. 1966.

Fantham (E.) The Roman World of Cicero's De Oratore. Princeton University, Princeton 2004.

Ferguson (J.) The Religious of the Roman Empire, Thames and Hudson. Reprint 1982.

Fowler (M.) Wolfe (R. G.) Materials for the Study of the Etruscan Language. Roma, L'Erma, 1980.

Fuhrmann (M.) Römische Literature. Neues Handbuch der Literaturwissenschaft 3. Frankfurt, 1974.

Gesche (H.) Caesar. Darmstadt. 1976.

Gelzer (M.) Cicero. Paulys Realencyklopädie 7 A 827-1091.

__________ Cicero, ein biographischer Versuch, Wiesbaden, 1969.

__________ "War Caesar ein Staatsmann?', HZ 178 (1954), pp. 449-470.

__________ Caesar als Historiker, Kleine Schrift 2, Wiesbaden, 1963, pp. 286-306.

Griffiths (J. Gwyn) Plutarch's De Iside et Osiride, University of Wales Press, 1970.

Groebe (P.) C. Julius Caesar, Paulys Realencyklopädie 10 (1918), 186-259.

Hadas (Moses) A History of Latin Literature. Columbia University, 1964.

Hardy (E. G.) "The Catilinarian Conspiracy in Its Context. A Restudy of the Evidence", Journal of Roman Studies 7 (1917), pp. 153-228.

Harder (R.) Die Einbürgerung der Philosophie in Rome, Die Antike 5 (1929), pp. 291-316.

Heinze (R.) Auctoritas. Hermes 60 (1925).

Heuβ (A.) Römische Geschichte, Braunschweig1960.

Horsfall (N.) Cornelius Nepos: A Selection, Including the lives of Cato and Atticus. Translated with Introductions and Commentary, Clarendon Press, 1989.

Hutchinson (G.O.) Cicero's Correspondence. A Literary Study. Clarendon Press, Oxford, 1998.

Ippoliti (L.) Il Luogo di nascita di Marco Tullio Cicerone. Roma 1963.

Judeich (W.) Die Gesetze des Gaius Gracchus Historische Zeitschrift 3 (1931), pp. 473-494.

Kent (R. G.). Varro On the Latin Language. Loeb Classical Library. London, 2 Vols., 1951.

Knoche (U.) Caesars Commentarii, Ihr Gegenstand und Ihre Absicht, Gymnasium (1951), pp. 139-160.

________	Caesar. Wissenschaftliche Forschung 43 (1967), pp. 224-254.
Landgraf (G.)	Kommentar zu Ciceros Rede Pro Sex. Roscio Amerino. Leipzig. Berlin, 1914[2].
Leeman (A.D.).	Orationis ratio. 2 Vols. Amsterdam 1963.
Lieberg (G.)	Caesars Politik in Gallien. Interpretationen zum Bellum Gallicum. Bochum, 1998.
MacDonald (A.H.)	Ab Urbe Condita. Libri XXXI- XXXV. Oxford, 1965.
Malcovati (H.)	Oratorum Romanorum Fragmenta Liberae Rei Publicae. Torino, 1976[4].
Mc Gushin (P.)	Sallust. The Histories. Clarendon Ancient History Series, Transl. with Introduction and Commentary, Cambridge, 1992.
Meyer (Ed.)	Untersuchungen zur Geschichte der Gracchen. Klassische Schrift. Halle (1924), pp. 363-398.
Mitchell (Th. N.)	"Cicero and the S. C. Ultimum", Historia 20 (1971), pp. 47-61.
Mommsen (Th.)	Römische Geschichte. Bde 1-3. Berlin, 1933[14].
Münzer (F)	Paulys Realencyklopädie 2A, S.V. "C. Sempronius Gracchus". 1375-1400.

Nägelsbach (C.F.) Lateinische Stilistik. Reprint. Darmstadt, 1963.

Ogilvie (R. M.) Ab Urbe Condita. Libri I-V, 2nd Edn. Oxford, 1974.

Otto (A.) Die Sprichwörter und Sprichwortlichen Redensarten der Römer. Hildesheim 1890. Reprint 1962.

Radista (L.) Julius Caesar and his Writings, ANRW 1, 3 (1973), pp. 417-456.

Reinhardt (T.) Cicero's Topica, Edited with an Introduction, Translation, and Commentary. Oxford Classical Monographs. Oxford, 2004.

Reynolds (L.D) Catilina, Jugurtha, Historiarum Fragmenta Selecta: Appendix Salustiana, Oxford University Press, 1991.

__________ De Finibus Bonorum et Malorum, Oxford, 1998.

Schmid (W.) Sallust, die Reden Caesars und M. Catos. Gymnasium 63 (1962), pp. 336-350.

Scullard (H.H.) A History of the Roman World 753- 146 B.C., Methuen. London- New York, 1980[4].

Shackleton Bailey(D. R.) Epistulae. Vol. II. Part II. Ad Atticum 9-16. Oxford, 1961.

Strasburger (H.) "Concordia Ordinum. Eine Untersuchung zur Politik Ciceros", Borna, 1931.

Syme (R.) Sallust. Berkeley Univ. of California Press, 1964.

Tyrrell (L.C. Purser) The Correspondence of M. Tullius Cicero. 7 Bd. London 1961-1933.

Von Albrecht (M.) Meister römischen Prosa von Cato bis Apuleius: Interpretationen, Heidelberg, 1971.

Von Fritz, K., "Sallust and the attitude of the Roman nobility at the time of the wars against Jugurtha", TAPhA 74 (1943), pp. 134-168.

Walser (G.) Bellum Helveticum, Zum Beginn der Caesarischen Eroberung von Gallien. Stuttgart, 1998.

Walsh (P.G.) Ab Urbe Condita. Libri XXXVI-XL, Oxford, 1999.

Watt (W.S.) Epistulae. Vol. III. Ad Quintum Fratrem. Ad Brutum. Fragmenta Epistularum. Oxford, 1958.

———————— Epistulae. Vol. II. Part I. Ad Atticum 1-8. Oxford, 1965.

———————— Epistulae. Vol. I. Ad Familiares. Oxford, 1982.

Witt (R.E.)	Isis in the Graeco-Roman World, London, 1970.
Winterbottom(M.)	De Officiis. Oxford University Press, 1994.



46/1763